

مِنْتَاجِي

بقلم
عميد الأدب العربي
الكتور طه حسين

مطبعة مكتبة الإسكندرية

كتاب للجميع

١٠

العدد

٩٨

يناير ١٩٥٦

صَنْعُ الْأَيْمَنِ

يقدم عميد الأدب العربي
الدكتور ناهض حسبي

تصدر عن دار الجمهورية

هذا المؤلف



ولد الدكتور طه حسين في مقاورة في سنة ١٨٨٩ ، فهو الان في السادسة والستين من عمره المديدة السعيد بمشيئة الله .

وقد تلقى دراسته في الازهر الشريف ، ثم في الجامعة المصرية القديمة . وكان أول من منح منها درجة الدكتوراه في سنة ١٩١٤ . ثم سافر الى فرنسا حيث أتم دراسته في السوربون .

وقد عين أستاذًا للآداب العربي بالجامعة المصرية في سنة ١٩٢٥ . ثم عميداً لكلية الآداب في سنة

١٩٣٠ . ثم مرتقبًا للثقافة في سنة ١٩٣٩ . ثم مستشاراً لوزارة المعارف ومديراً لجامعة الاسكندرية في سنة ١٩٤٢ . ثم وزيراً للمعارف في سنة ١٩٥٠ . ثم رئيساً للجنة الثقافية بالجامعة العربية في سنة ١٩٥٤ .

والدكتور طه حسين عميد الآداب العربي غير منازع . وقد كتب ما يزيد على خمسين كتاباً في مختلف أنواع الآداب . من نقد ، وبحث ، وتصص ، وقارن .

وقد نال الدكتور طه حسين من الاوسمة ارفعها . وهو عضو بالجمع
اللغوى ، والمجمع العلمى المصرى ، و مجتمع آخر فى الشرق والغرب .

ومن ماسنر الدكتور طه حسين التي لا تنسى ؛ عمله على تيسير التعليم
لكلافة أبناء الشعب ، بتقديم بجانية في مراحله الابتدائية المتوسطة
والثانوية ، وقد شجع على نشر التعليم بكل وسيلة ممكنة . واليه يرجع
الفضل في إعادة اعفاء المعاهد التعليمية من التصرائب بعد الفياء هذا
الاعفاء .

وقد حرصت « كتب للجميع » منذ إنشائها على أن تقدم لقراءتها كتابا
على الأقل من كتب الدكتور طه حسين في كل عام من أعوامها تكيناً للجميع
من الاطلاع على أدبه الخالد . فنشرت له « جنة الحيوان » و « قصص
تمثيلية » و « القبر أو زاديج » عن فولتير و « أديب » و « نفوس للبيع » .

وكان بين الكتب التي حال العهد البائد بين هذه المجلة وبين نشرها
كتاب « المعدبون في الأرض » . فقد خيل للملك السابق من بعض الإعلانات
التي نشرت عنه أن فيه دعوة إلى الشيوعية والانتقام من حقوق السلطان
في سبيل الشعب . فصدر الأمر بصادره بعد طبعه وموافقة الرقابة عليه
واستولت السلطة على نسخ الكتاب وأعادتها مما اضطر الدار التي تقوم
على نشر هذه المجلة إلى رفع دعوى أمام القضاء لا تزال منظورة حتى الآن .

وانه ليس مجله « كتب للجميع » أن تقدم إلى قرائتها بمناسبة العام الجديد
هذا الكتاب « صوت باريس » واترك الكلام عنه للمؤلف العظيم في مقدمته
بأسلوبه البارع الذي لا يبارى .

« دكتور فائق الجوهري »

كلمة المؤلم

هذا كلام نشر لأول مرة منذ عهد بعيد . وقرأه في تلك الأيام شباب عسى أن تكون الشيخوخة قد أدركتهم الآن فتأثروا به واهتموا له وحاولوا أن يعربوا التمثيل ويوطنوه في مصر . ولكن عدت عواد وتسابع خطوب فحيل بينهم وبين ما كانوا يشتتهون .

ثم نشر مرة أخرى منذ خمس عشرة سنة وقرأه شباب آخرون لعلهم قد بلغوا الآن سن الكهول ، ولكنهم شغلوا عن التأثر به بأحداث حدثت وصروف الملت . فلم يزدوا على القراءة ولم يفكروا في تعريب التمثيل ولا في توطينه .

وسيقرؤه الآن شباب ناشئون لم يقرأوه من قبل ، ولعلهم لم يعرفوه ، ومن يلوي لعل بعضهم أن يتاثر به ويحاول تعريب التمثيل وتوطينه في مصر . فقد آن للتمثيل ألا يظل عندنا فنا دخليلا أو لونا من ألوان البيت .

ومن أجل هذا قبالت نشر هذا الكتاب وأمثاله مما يشبهه ، أمخطيء أنا في ذلك أم مصيب !!

« طه حسين »



قصيدة تمثيلية لكتاب الاميركي

أدوارد هتلر

ينبغي أن تفهم هذا العنوان كما تفهمه حين تجده في كتاب الأغانى ، فهو يدل على مقطوعة من الشعر يغنى بها ، وكذلك أراد صاحب هذه القصة التي أريد أن أحذثك عنها في شيء من الإيجاز كثيراً . هائلاً - كما قلت في غير هذا الموضوع - حين أنحو هذا النحو من تلخيص القصص التمثيل أو غير التمثيل لا أريد أن أغنى القارئ العربى عن الأصل الأوربى ، إنما أريد أن أرغبه فيه وأححب إليه قراءته ودرسه . فهذه الفصول المتواضعة

ترغيب في قراءة تلك القصص الممتعة لا أكثر ولا أقل .

وقصتنا هذه ممتعة في موضوعها ، ممتعة في شكلها ، ممتعة في لفتها ، وممتعة بنوع خاص لأنها تمثل التئام التوقين الأمريكي والفرنسي التئاماً بدليعاً .

وضع لها صاحبها هذا العنوان لأنها تبتدئ بصوت من الغناء وتنتهي بهذا الصوت ، ولأن هذا الصوت نفسه رشيق عذب فيه سذاجة ورقه ، ولأنك لا تقاد تمضي في قراءة هذه القصة حتى تجد فيها هذه العذوبة وهذه الرشاقة وهذه السذاجة ملتبسة أحسن الالتفام مع حقائق الحياة الواقعية وما فيها من خسونة وغلظة وتعقيد .

وان أعجب لشيء فانما أعجب لأن هذه القصة لم توقع بعد على الألحان الموسيقية كما أوقعت من قبل قصص تشبيها كل الشبه .

على أنني لا أريد أن أطيل في المقدمات ولا أن أسرف في التحليل ، وإنما أسرع بك إلى القصة نفسها ، وأعتمد على الترجمة أحياناً لأن ذلك على ما فيها من جمال وروعه .

* * *

نحن في مدينة نيويورك في مكتب الأسقف البروتستانتي « توم أرمسترونج » وهوشيخ في السبعين من عمره قد جلس إلى النار يصطليها أول الليل ، وحفيده تقرأ له احدى الصحف . ونحن نحس أنها تقرأ له هذه

الصحيفة في شيء من السم والضجر لأنها تؤثر أن تتحدث إليه أو تلهمه بشيء آخر . وآية ذلك أنها لا تكاد تمضي في القراءة حتى تقف سائلة جدها الأسفى : أليس يؤثر على هذا الكلام صوتاً من أصوات الفنونغراف ؟ ثم تدع الصحيفة وتعمد إلى الفنونغراف فتنطقه بالصوت المعروف :

« أتعرف ذلك البلد الذي يزاهر فيه البر تعال ٠٠٠ ! » : فما هي إلا أن يظهر الشيخ شيئاً من الضيق ويطلب إلى حفيده في رفق أن تدع هذا الصوت إلى صوت آخر ، فإذا سأله الفتاة عن مصدر هذا الضيق أبي عليهما ، وأحسينا نحن أنه لا يكره هذا الصوت ولكن يشقق من استماعه .

وفاتحة لم تدع الصحيفة إلى الفنونغراف إلا لندع الفنونغراف أيضاً إلى الحديث ، فهى ت يريد أن تتحدث إلى جدها في أمر ذى بال ، ت يريد أن تتحدث إلى الشيخ في أمر أخيها الشاب « هنرى » فقد أحبه هذا الشاب فتاة ممثلة جميلة رائعة الطلة يتيمة فقيرة سيئة الحظ ، وهو يريد أن يتزوجها ، وهو يريد أن يتحدث في هذا الزواج إلى جده ، ولكنه كلف أخته أن تعد الشيخ لهذا الحديث ، وقد فعلت . وأقبل الفتى وانصرفت الفتاة وخلا الشاب إلى جده وذكر له قصته وأسرف له في الثناء على هذه الفتاة وأعلن إليه أنه يريد أن يتزوجها له زوجاً . فيأبى عليه الشيخ في رفق معلناً إليه أنه حدث قليل التجربة ، وأن المير في أن يروي ويفكر حتى إذا كانت السنة المقبلة رأى في ذلك رأيه . وليسست السنة المقبلة بعيدة فستبدأ بعد ساعات لأننا في اليوم الأخير من شهر ديسمبر . ولكن أباً الشيخ يشق على الفتى ويؤلمه فيقول بلهده : لو عاش أبواي الشابان لاستطاعاً أن يفهموا عاطفة الحب . ويعذرها فقه تقدمت بك السن حتى نسيت شبابك وعجزت عن فهم عواطف الشباب .

تقع هذه الكلمات في نفس الشيخ موقعاً مؤلاً ، فيدعو الفتى إلى البقاء وكان قد هم بالانصراف ، ويأمره أن يحمل إليه صندوقاً صغيراً على مائدة في ناحية من نواحي المجرة ، فإذا حمل إليه هذا الصندوق فتحه وأخرج منه مendiolas وزهرات من البنفسنجون قد آتى عليها الدهر فاصبحت هشيماء ، وببدأ يقص على حفيده قصة هذا المديل وهذه الزهورات ليثبت له أنه عمل

شيخوخته وتقديم السن به لم ينس شبابه ، ولم ينس أنه أحب وألم للحب .
وهنا يتحول المسرح و تستخفى الحجرة والشيخ والفتى و تمثل أمامك القصة
التي بدأ الشيخ يقصها على الشاب .

* * *

فاما الفصل الأول من هذه القصة فيقع في قصر رجل من أغنياء الأميركيين حين كان الأسقف في الخامسة والعشرين من عمره . وقد أقام هذا الرجل الغنى في قصره حفلًا دعا إليه وجوه المدينة وأغنياءها وذوي المكانة فيها ليسمعوا عنده مغنية إيطالية ذاتمة الصيت قد آتتها الموسيقيان الشهيران « روسييني » و « فردي » ترجمانا لما يضعان من الموسيقى . وهي رائعة فاتنة قد شغف بها من أغنياء أوروبا وأمرائها خلق كثير ، وانتهى الأمر بها إلى هذا الغنى الأميركي الذي يتصل بأسرة فرنسية هاجرت إلى أميركا في آخر القرن الثامن عشر . أحبها هذا الغنى وكلف بها كلها شدیداً فدعاهما إلى نيويورك وقدمها إلى وجوه المدينة وعشاق الفن الموسيقى فيها . ونحن نرى قصر هنا الغنى مزدحماً بمن فيه من الشباب والكهول والشيوخ رجالاً ونساء ، ونحن نرى ونسمع من عبث الأميركيين وحوارهم مايلذ ويضحك وما لا يسبيل إلى أن نلم به في هذا الفصل . ولكن أقف بك عند رجل من الأغنياء قد دعى إلى هذا المحفل فأقبل ، وانه لشديد السخط على القصر وصاحبه ومن فيه ، هو رجل قد أكل الحقد قلبه فهو لا يرضى عن شيء ولا عن أحد ، وهو ضخم الشروة ولكنه شدید البخل مسرف في المحرض عظيم الشره يريد أن يستمتع بكل ما يجده دون أن يعترف بشيء من الاستمتاع . ضاق صدره بالمدعوى ففر منهم إلى أحدى غرف القصر وأمر الخادم أن يحمل إليه طعامه وشرابه ، فإذا دخل الغرفة نظر فإذا علبية فيها سيجار فيلقى على هذه العلبية نظرة احتقار وازدراه ثم لا يلبث أن يتحقق أن ما فيها جيد النوع ، فيأخذ واحداً ، ثم لا يكتفي ما أخذ فيأخذ طاقة أخرى من السيجار ويدسها في جيبه . يأتي الخادم وقد حمل إليه من الطعام والشراب ما استطاع فيلقى إلى ما حمل إليه نظرة ازدراه واحتقار ، ثم ينتهر الخادم لأنه لم يحمل إليه إلا قليلاً ويجلس كارها إلى طعامه ولكنه لا يكاد ينونه حتى يستجيده فيصرف فهو الأكل

والشرب ، وانه لفى ذلك اذ يدخل عليه القسيس الشاب « توم ارمسترونج » وهو ، كما قدمت ، في الخامسة والعشرين من عمره ، جميل الطاعة ، واضح الاُساريـر ، ممتلئ نشاطاً وقوه ، قد عرف بالاخلاص في خدمة الدين ، وبالعناية في خدمة الفقراء والبائسين ، خفيف الظل حلو الروح يحب صاحب القصر ويرجو أن يزوجه من أحدى قريباته . يدخل هذا القسيس على صاحبنا وهو منهوك في طعامه وشرابه فلا يكاد يراه حتى ينصرف عما هو فيه من طعام الى صاحب القصر فيتمال منه في لفظ منكر قبيح ، ويعيب عليه هذه الفتية التي دعا الناس لاستماعها في قصره لأنها خليلته ، ولا أنها معروفة بسوء السيرة ، ويلوم القسيس لأنـه يرضي عن هذه الآثـام ويقتصر في تأدـية واجـبه الـديـني فلا ي肯ـصلـاحـبـ القـصـرـ عنـ هـذـهـ الفـضـيـحةـ ، فيـسـمعـ لهـ القـسـيسـ ، حتـىـ اـذـ فـرـغـ منـ كـلـامـهـ قالـ لـهـ هـذـهـ الجـملـةـ التـيـ تعـطـيـكـ مـنـهـ صـورـةـ واـضـعـةـ : مـنـ هـذـاـ الطـعـامـ الذـىـ تـزـدرـدـهـ ؟ـ وـلـنـ هـذـاـ الشـرابـ الذـىـ تـعـبـ فـيـهـ عـبـاـ ؟ـ وـلـنـ هـذـاـ السـيـجـارـ الذـىـ تـدـسـهـ فـيـ جـيـبـكـ ؟ـ أـلـيـسـ هـذـاـ كـلـهـ لـصـاحـبـ القـصـرـ ؟ـ يـجـبـهـ الغـنـىـ :ـ بـلـ .ـ وـأـنـتـ تـرـىـ أـنـ مـنـ وـاجـبـ القـسـيسـ هـوـ أـنـ يـأـمـرـ الناسـ بـالـعـرـوفـ وـيـنـهـاـمـ عـنـ المـنـكـرـ وـيـأـخـذـهـ بـتـرـكـ ماـ يـتـرـوـطـونـ فـيـهـ مـنـ شـرـ .ـ يـجـبـهـ الـآـخـرـ :ـ نـعـمـ !ـ وـأـذـنـ فـلـأـبـدـ يـكـادـ ،ـ فـقـدـ أـتـيـتـ تـكـراـ لـاـ يـعـدـ لـهـ نـكـرـ حتـىـ اـغـتـبـتـ صـاحـبـ هـذـاـ القـصـرـ عـلـىـ هـذـاـ النـحـوـ القـبـيـعـ وـأـنـتـ فـيـ قـصـرـ تـأـكـلـ مـنـ طـعـامـهـ وـتـشـرـبـ مـنـ شـرـابـهـ !ـ .ـ وـهـمـاـ فـيـ هـذـاـ حـوارـ أـذـ يـأـتـيـ «ـ دـىـ روـشـارـ »ـ صـاحـبـ القـصـرـ ،ـ فـيـنـصـرـفـ هـذـاـ الغـنـىـ .ـ وـلـاـ يـكـادـ القـسـيسـ يـخـلـوـ إـلـىـ صـاحـبـ القـصـرـ حتـىـ يـبـداـ فـيـ تـأـدـيةـ وـاجـبـ الـدـيـنـيـ مـنـ أـمـرـ بـالـعـرـوفـ وـنـهـيـ عـنـ المـنـكـرـ ،ـ وـلـكـنـهـ يـجـدـ فـيـ هـذـاـ مـشـقـةـ ،ـ فـهـوـ يـكـبـرـ صـاحـبـ القـصـرـ وـيـعـلـهـ ،ـ وـهـوـ مـدـيـنـ لـهـ فـيـ مـرـكـزـ مـفـيـ الـكـنـيـسـةـ .ـ عـلـىـ أـنـ هـذـهـ مـشـقـةـ لـاـ تـصـرـفـهـ عـنـ أـدـاءـ هـذـاـ الـوـاجـبـ ،ـ فـهـوـ يـلـومـ صـاحـبـ القـصـرـ عـلـىـ مـاـ يـبـينـهـ وـبـيـنـ هـذـهـ مـفـنـيـةـ مـنـ صـلـةـ ،ـ وـصـاحـبـ القـصـرـ يـجـبـهـ مـعـتـدـلـاـ إـلـيـهـ فـيـ شـيـءـ مـنـ الرـفـقـ وـالـفـلـسـقـةـ وـالـشـكـ فـيـ مـعـنـىـ أـخـيـرـ وـالـشـرـ وـقـيـمةـ الـفـضـيـلـةـ وـالـرـذـيـلـةـ ،ـ وـيـعـلـنـ إـلـيـهـ أـنـهـ يـرـىـ السـعـادـةـ الـحـقـيقـيـةـ فـيـ حـبـ الـخـيـرـ وـالـجـمـالـ وـالـشـبـابـ .ـ وـهـمـاـ قـيـ هـذـاـ حـوارـ وـإـذـ مـفـنـيـةـ قـدـ فـرـغـتـ مـنـ غـنـائـهاـ وـأـقـبـلـتـ يـتـبعـهاـ الـمـعـجـيـونـ بـهـاـ ،ـ فـيـنـصـرـفـ القـسـيسـ وـتـخـلـوـ هـذـهـ مـفـنـيـةـ إـلـىـ صـاحـبـهاـ ،ـ لـيـكـونـ بـيـنـهـماـ حـوارـ نـفـهـمـ مـنـهـ أـنـ وـعـدـ القـسـيسـ قـدـ أـثـرـ فـيـ نـفـسـ

هذا الرجل من حيث لم يشعر . انظر اليه يتحدث الى صاحبته بأنه في الحادية والخمسين من عمره وأن أسباب فهو والنعيم قد تقطعت به . وأن الخير إنما هو في أن يستحيل جبهما الى مودة بريئة، وهي تستمع له راضية حيناً وساخطة حيناً آخر ، غاضبة مرة ، مداعبة مرة أخرى ، مزدرية لما يقول ، حرية على أن يعدل عنه ، ولكنها على كل حال قد رأت القسيس وهو ينصرف فوق من نفسها ، وهي تعلن الى صاحبها في صراحة أنه تكره البروتستانتية من الموسيقى والبعور والاعتراف ، ولكنها تحب البروتستانتية لأن قيسها حسان . وما زالت بصاحبها حتى أقنعته بأنه لم يبلغ الخمسين من عمره وأنه ما زال يستمتع ببقية من شبابه وحتى ضربت معه موعداً للنزهة اذا كانت الساعة الرابعة من مساء . ثم تطلب اليه أن يدعها لستريح قبل استئناف الغناء وأن يرسل اليها شيئاً من الخمر والليمون .

فلا تكاد تخلو الى نفسها حتى يمر القسيس فتتناوم وتدع رداءها يسقط عنها . وقد نظر اليها القسيس وحدق فيها وكأنها وقعت في نفسه ، فيجدنوا منها في خفة ويعيد اليها الرداء وينصرف ، ولكنه لا يكاد يتتجاوز الغرفة حتى يسمع صوتها وهي تشكره . وما هو الا أن يسمع هذا الصوت حتى يضطرب ولا يدرك أيمنى أم يقف ، فتستوقفه وتسندنيه ويجيبها الى ما تريده في شيء من الاضطراب والذهول . ويأخذان في الحديث ، وأذا هي تخفي على القسيس نفسها وتأخذ في اختياب المغنية فيلومها القسيس ويطلب اليها أن تستغفر الله من هذا الاثم فتابى فيفضب وبهم أن ينصرف . ولكن الماحدم قد يقبل بحمل الشراب ، فتطلب اليه أن يصب لها في القدح فيفعل ، ثم تطلب اليه أن يصب في قدح آخر فيفعل ، ثم تدفع اليه أحد القدحين فلا يستطيع أن يرده ، ثم تأمه أن يتحقق فيها وتعلن اليه أنها ستحدق فيه وتقترح أن يشربها قد حبها على هذا النحو . فإذا فرغها من الشرب رأيناها وقد فتن كل منها بصاحبها فتنة قوية . فاما هي فتستغفر الله في اثنها حين اغتابت المغنية ، وأما هو فيطلب اليها موعداً لأنه يريد أن يراها وأن يتحدث اليها باشيه كثيرة منه كانت لتخطر له من قبل . وهما في هذا الموعد اذ يقبل صاحب الضر فيهما على هذه الحال : وهي كالنائمة وهو جاث بين يديها يتأججها .

وأنت تستطيع أن تقدر دهش صاحب القصر حين يرى مكان القسيس من المغنية وهو الذي كان يلومه فيها منذ حين . تنهض المغنية لستانف الغلاء ولكن القسيس يلح عليها في الموعد غير حاصل بمكان صاحب القصر ، فتضرب له الموعد من الساعة الرابعة من مساء غد ، فإذا ذكرها صاحب القصر بأنها قد ضربت له الموعد في هذه الساعة نفسها أجابته : أما موعدك فمؤجل وتنصرف وقد سقط من يدها منديل فيهوى القسيس فيأخذه .

* * *

فإذا كان الفصل الثاني فتحن في بيت القسيس ، في حجرة عمله ، نرى عمتيه قد جلستا تتنازعان ، أحدهما في الثامنة والخمسين ، والأخرى في الستين ، وكلتاها قد وقفت حياتها على القسيس لا تدرى ماذا تصنع لترضيه وتعنى بطعماته وشرابه ولباسه ، والخصوصة بينهما في ذلك متصلة مضحكة ، ولكنها رغم هذه الخصوصة متفقتان في الألم لأن الشاب قد تغيرت حياته شديداً منذ ثلاثة أسابيع ، فهو شديد الكلف بهذه المغنية الإيطالية يقضى معها شطراً من كل يوم حتى نسى خطيبته وحتى أخذ الناس يتحدثون عن كلفه بهذه الفتاة ، وهما تصليحان وتضرعان إلى الله أن يصرف عن القسيس هذا المكرور ، وهم تستعينان بـ « دى روشار » صديقهما وصديق القسيس وعم خطيبته ، وهما يتظاران عودة الشاب بعد حين ، ولكنها لا تعرفان من الذى أرسل هذه الطاقة من الزهر دون أن يرسل اسمه معها ، ولا تفهمان لم لا يريد الشاب أن يأخذ الشائى معهما ، ولا تعرفان هذا الشخص الذى سيتناول الشائى مع القسيس .

وقد أقبل صديقهما دى روشار . قصتا عليه القصة والختا عليه فى أن يحاول صرف الشاب عن هذه المغنية الإنجنبية فيعدهما ، وينبههما بأن الأمر يعنيه كما يعنيهما ، لأنه يحب القسيس كما تحبهانه ، ويعلن اليهما أيضاً أنه سينتظر الشاب ليتحدث إليه ، فتنصرفان عنه . ولا يكاد يخلو إلى نفسه حتى تقبل المغنية فيلقاها دهشاً ؟ أما هي فيصيّبها شيء من الذهول ، ثم يتحدثان فتفهم من حديثهما أن الحب قد اتصل

قوياً عنيفاً بينها وبين الشاب ، وأن هذا الحب على قوته وعنفه ظاهر برىء يقوم على أكذوبة أو على طائفة من الــكاذيب ، فان الفتاة لم تستطع أن تنبئ صاحبها بحقيقة أمرها ولا بما تشتمل عليه حياتها من الآلام ، وإنما تركته يصورها كما أراد له خياله وحبه نقية طاهرة مثلاً للفضيلة والبراءة والطهر . وهي تستعبد هذا الحب الإفلاطونى ، ولا تريده أن تكذب ظن الشاب . ولم تكذب ظنه وستعود إلى أوربا بعد خمسة عشر يوماً فتقطع بينهما الأسباب ، وتكون قد سعدت في حياتها بحلم لذيد . ولكن دى روشار ، يلفتها إلى أن الامر أشد خطراً مما تظن ، فالشاب يعجبها حقاً وسيطلب إليها أن تكون زوجة وليس إلى ذلك من سبيل ، وهو يقترح عليها أن تسافر من الفد وأن تصرف الان دون أن تراه ، وهي مستعدة للانصراف ، ولكن القيس قد أقبلَّ وما يكاد يراها وتراه حتى ينسيا كل شيء وينصرف كل منها إلى صاحبه ، ويضطر دى روشار إلى أن يدعهما حيناً . وهنا موقف بين العاشقين شديد التأثير حقاً ، فيه لين ودعة وعنوبه ، وفيه حب يبلغ به العنف أقصاه ، ولكنه سعيد كله غبطة وأمل ، ثم فيه أمل تتفتر له القلوب وتتفرق له النفوس شعاعاً . انظر إليه راضياً مغبطاً شديداً الابتهاج بزيارتها أيامه ، انظر إليه في وداعه الطفل يظهرها على ما في غرفته من متع ، انظر إليه يظهرها على صورة أمه التي ماتت شابة ، واسمع له يتحدث عن أمه : يصفها بالجمال وعنوبه الخلق ورضاء النفس ، واسمع له يذكر أمه وما كانت تشعر به لو أنها رأت صاحبته ، ثم انظر إليه يهدى إلى صاحبته عقد أمه وهي تأخذ هذا العقد وتطوق به جيدها ، ثم اسمع لها يغنيان معاً صوتاً كانت أمه تغنى به ، ثم انظر إليهما وقد نسيَا كل شيء وفني كل منها في صاحبه وقد أقبل إليها فضمها بين ذراعيه لحظة ثم أطلقها وهو يطلب إليها أن تكون له زوجاً . هنا تعود الفتاة إلى نفسها وتذكر حياتها الآتية ويحس منها أهذا ، ولكنه قيس و هو يحب ، فما أسرع ما ينتهي به حبه ودينه ومركته الدينى أيضاً إلى العفو ، فهو ينسى ما ضيئها بل يمحوه وهو يلعن عليها في أن تكون له زوجاً ، وهو يعلن إليها مبتهمجار أنه سيعود عقيمه ردى روشار ليتبئها النبا .

فلا تكاد تسمع اسم دى روشار حتى تضطرب ويريه هذا الاضطراب والعجب أنه نسى كل ماضيها وعفا عن آثامها جميا ، ولكن شديد المحرص على أن يعلم أنه لم يكن بينها وبين هذا الرجل شيء ، هو يلح عليها وهي تتردد حتى اذا أشفقت عليه من الحق كذبت وزعمت له أنه لم يكن بينها وبين لهذا الرجل شيء ، فيستحلوها على التوراة فتهم باقسام اليمين ، ولكن دى روشار قد أقبل ، خينبئه القيسس بحبه وخطبته ، ولكنه لا يرى منه ابتهاجا فيه ذلك ، وانظر اليه قد اندفع به الحب والرعب حتى انتهى الى ذهول يشبه الجنون ؛ فهو مائل امام هذا الرجل وهذه المرأة يستحلفهم على التوراة أن لم يكن بينهما شيء ، فاما الرجل فقد رق له فكذب عليه ، وأما المرأة فقد كان حبها من القوة والصدق والاخلاص بحيث حال بينها وبين الكذب مرة أخرى . فاسمع لها تعلن في صراحة وألم أنها كذبت وأن هذا الرجل قد كذب أيضا ، وأنها كانت خلته منذ سنتين ، وأن آثامها في الحياة أكثر عددا من صلوفات القيسس ، وأنها اتخذت جسمها تجارة ، وأنها لاتصلح له زوجا ، وأنها تنبئه بهذا كله لأنها تعجبه حقا . أما هو فقد فقد رشده أو كاد ، وهو الآن جالس مطرق وقد انصرف عنه الرجل وهمت هي أن تحدثه فلم يسمع لها فتنصرف ، حتى اذا سمع الباب يغلق من دونها أغرق فى البكاء كأنه طفل .

* * *

فإذا كان الفصل الثالث فنحن في الفندق الذي تقيم فيه المغنية وقد مضت أيام على ما كان في الفصل الثاني . ونحن نرى خادم المغنية قد جلس إلى النار تهويه طعام سيدتها ، وفي الغرفة اضطراب يدل على استعداد للسفر . وأنا أعفيك - كارها - من ضروب الحوار المضحك بين هذه الخادم وأهل الفندق ، وأعفيك أيضا من كثير من الحوار الذي لا ينتهي بك مسرعا إلى القصة .

فقد أقبل دى روشار معلنا أن المغنية قد ظفرت في مسرح الاوبرأ بفوز لا يشبهه فوز ، وأنه ينتظرها في هذه الغرفة ، وما هي إلا أن تقبل الفتاة رائعة مروعة أيضا قد أتفقت جهدا عظيما لتتحقق ما تحس من الالم ، ولتؤدي

واجبها في الأوبرا . وقد أنتهت من هذا الجهد ووصلت الآن إلى غرفتها فتستطيع أن تستسلم للألمها وهي مستسلمة لهذه الآلام . أليست منصرفة عن صاحبها هذا ، منصرفة عن خادمها ، منصرفة عن هذه الجموع التي أقبلت من الأوبرا تشيعها وتهتف باسمها ، منصرفة عن كل شيء ، قد القت نفسها على الأرض مفكرة أو كالمفكرة والناس يحاورونها ويملعون عليها وهي لا تجيب إلا في كره وسخط ، وانظر إليها تنهر خادمها في عطف ثم لا تلبث أن ترق لهذه الخادم فتقيلها في حنان ، وانظر إليها معرضة عن صاحبها حتى إذا هم أن ينصرف أمسكته ، هي ذاهلة لا تفكر إلا في صاحبها القسيس وما بعشت في نفسه من الألم منذ حين ، وهي تتحدث بذلك إلى نفسها مرة ومرة صاحبها مرة أخرى ، حتى إذا عجزت الخادم وعجز صاحبها عن تسليتها أو حملها على أن تأكل أنصرفا عنها فخلت إلى نفسها ، وما هي إلا أن أقبلت على الصلة جاثية . ولكن بابها يطروه ، مرة ومرة ومرة أخرى فتنهض وتفتح الباب وإذا القسيس مقبل في شلل بشمع رائع ، مضطرب أشد الأضطراب ، ظاهر التهول ، حائر الطرف ، لا يكاد يبيّن ، قد جبل الثلج ثيابه ، ودللت هيئته على أنه قد هام على وجهه غير قليل ، وهو يوتعش من البرد . فإذا سأله فيم أقبل أجابها أجمل جواب وأبدعه وأشهده في النقوس تأثيراً . أجابها : لقد خرجت فهمت ساعات لا أدرى أين أنا ومرة أخرى أقصد ، ولقيتني فتاة سالتني عن طريقها وكنت أنت هذه الفتاة . منذ ذلك الوقت اختلفت على صور منك لا تحصى ، رأيتك طفلة بائسة تعسة ، ورأيتك فتاة تتغنى في الشوارع ، ورأيتك باغية تسرف في الأثم ، ورأيتك لاهية ، ورأيتك جميلة ، ورأيتك ذميمة ، رأيتك في عزة ، ورأيتك في ذلة ، وأحاطت بي منك صور لا تحصى ، ومضيت وهذه الصور من حولي حتى مررت بكنيسة كاثوليكية من كنائسكم تدخلت وجئت وصلت وفهمت . فهمت أنني آثم .. آثم حقاً ، مسرف في الأثم ، فهمت أنني أشر ، فهمت أنني مقصري لم أؤدي واجبي ، كان حقاً على أن أنفذك بعد أن رأيتك فيما رأيتك فيما من آثم وذل وألم ، ولكنني آثرت نفسي عليك ففررت منك .. نعم فهمت وجئت الآن لا أؤدي هذا الواجب .

اما هي فما كادت تسمع حديثه هذا حتى أخذته شيئاً من الذهول أشبه
شيء بذهول الصوفية . وفي الحق أنها تغيرت تغيراً تاماً وانقطعت الصلة بين
حياتها القديمة وحياتها الجديدة . فاسمع لها تهون على صاحبها القسيس
وتنبهه بأنه قد بلغ ما كان يريد لأنّه قد استنقذها من الآلام وظهرها من
الرجس ، فبحاجة حياتها الماضية وابتداط حياة جديدة ، أو قل خلعت
شخصها الأول واستعالت شخصاً جديداً . واسمع له وهو يسألها أن تعدد
الآ تقوم منه اليوم على اثم ولا تكون منذ آليوم أداة لهو وعيث . فتدفع له
كتاباً قد كانت كتبته فيه هذا الوعد ، ولكن قراءة هذا الكتاب تغير من
صاحبنا كل شيء ، فانظر إلى نفسه وعواطفه وشهواته الإنسانية وقد ثارت
ثورة عنيفة منكراً فمزقت ثياب القسيس وألقتها عنه ، وإذا هو رجل قائم
يحس ويشعر ويحب ويستهوي ويروي أمامه موضوع حبه وشهواته ، وإذا
هو يعلن هذا إلى الفتاة في عنف ويسرع إليها فيضمها إليه ، وإذا هي
تضطرب بين ذراعيه اضطراب الطامع المشقق ، يرغبها حبها في الأسماح ،
ويصرّفها ما ندرت عن اللهو ، وإذا هي تتضرع إليه أن يخلّيها وترغب إليه في
الإيكون كغير من الناس ولأنّها تستخدم جسمها كما تخدمه متاعاً ، وإذا هي تعلن إليه في
ضراوة وشفاق ورهبة أن أمرها بين يديه أن شاء تركها صالححة وإن شاء
ردها إلى حيث كانت من الأثم والفساد . وإذا كلماتها ورغبتها وشقاها
تؤثر في هذا الرجل فتنطلق ذراعاه عنها قليلاً قليلاً . وإذا هو جاث مطرق
مغرق في تفكير عميق ، ولكن الليل انتصف وابتداط السنة ودققت أجراس
الكنائس ، وأنطلقت بالصلوات السنة المؤمنين ، وكان هذا كلّه قد انتهى
إلى القسيس فايقظه من نومه ، فينهض متناقلًا ، ويمر يده على جبينه ، يعتذر
ويستاذن في الانصراف ليلحق بالمصلين . وانظر إليه يخرج متناقلًا وإن
الظلمة لتشعر في الغرفة شيئاً فشيئاً حتى تضرّرها وتختفي فيها كل شيء .
وإذا المسرح يتغير فجأة كما تغير في أول القصة ، وإذا نحن في حجرة
الأسقف حين تركناه في أول القصة يقص على حفيده ما كان من أمره في
شبابه . والفتى يسأله : ثم ماذا كان من أمر هذه المغنية ! فيجيبه : لم
أعلم من أمرها شيئاً ، إنما قصصت عليك هذه القصة لتعلم أن تقدم السن

بى لم ينسى أنى كنت شاباً وأنى قد أحببت ، ففكـر فى أمر زواجك قبل أن تقدم عليه ، وادع لـى اختك فانها لم تتم لـى قراءة الصحيفة .

ويخرج الفتى فيدعـو اخته فتقبل و تستأنـف القراءـة ، فإذا هـي في الأخـبار البرـقـية و إذا هـي تقرأ هـذا العنـوان : مـوت مـغـنية شـهـيرـة « كـافـالـينـي » ، فإذا سـمع الـأسـقـف هـذا الـاسـم اضـطـرب قـليـلاً و طـلب إـلـى الفتـاة أـن تـقـرأ ، فـتـقـرأ أـن هـذه المـغـنـية الـتـي مـاتـت قد انـقطـعت عنـ الـفـنـاء و انـصـرـفت عنـ الـمـجـد و زـخـرـف الـحـيـاة فيـ رـيـانـ شـيـابـها مـنـذ سـنة ١٨٧٣ و وـقـفت ثـرـوـتها الضـخـمة عـلـى أـعـمالـ الـبـرـ . وـاـنـ الفتـاة لـتـقـرأ وـاـذا الـأـجـراس تـدقـ ، فـقـد اـنـتـصـف الـلـيل وـاـبـتـدـأـتـ السـنـة . وـاـلـقـتـ الفتـاة صـحـيقـتها وـتـقـبـل عـلـى جـلـها تـهـنـئـه وـتـقـبـلـه ، وـلـكـنـها تـرـقـدـ عـنـه قـائـلـة : أـرـى خـدـكـ مـبـتـلاـ ! .. وـخـدـكـ الـآـخـرـ .. اـنـكـ تـبـكـيـ .. كـلـاـ يـاـ أـبـنـيـ وـلـكـنـ أـيـنـ أـخـوكـ ؟ فـتـدـعـو لـهـ الفتـى ، فـاـذـا أـقـبـلـ مـهـنـثـا دـفـعـ الشـيـعـ اليـهـ الصـحـيـفـةـ وـقـالـ لـهـ : أـقـرـأـ هـذـاـ . فـاـذـاـ حـاـوـلـ الفتـىـ أـنـ يـظـهـرـ شـيـئـاـ مـنـ الـلـاهـشـ دـعـاهـ الشـيـعـ إـلـىـ الصـمـتـ قـائـلـاـ : أـتـذـكـرـ صـاحـبـتـكـ الـمـمـتـلـةـ ، أـتـخـذـهـا زـوـجـ ، وـاـنـهـ لـيـقـولـ ذـلـكـ وـاـنـ الـقـصـةـ لـتـنـتـهـيـ بـيـنـماـ تـصـلـ إـلـىـ الـآـذـانـ مـنـ بـعـيدـ جـداـ أـنـغـامـ هـذـاـ الصـوـتـ الـذـيـ سـمـعـنـاهـ أـوـلـ الـقـصـةـ .

« أـتـعـرـفـ ذـلـكـ الـبـلـدـ الـذـيـ يـزـهـرـ فـيـهـ الـبـرـ تـقـالـ .. ٩٠٠٠ »



وكان الكاتب يستطيع أن يسميه غير هذا الاسم ، وان يتخد أي اسم من أسماء أشخاصها عنواناً لها . فجميع أشخاص هذه القصة خليقون أن يعطواها أسماءهم لأنهم جميعاً خليقون بالعناية ، مثرون في نفسك رغبة الاستطلاع ، وباختلاف فيها عاطفة قوية ، عاطفة الاعجاب حيناً وعاطفة الاشفاق حيناً آخر ، وعاطفة الغضب مرة ، وعاطفة الرضا مرة أخرى . كلهم خليق بالعناية ، وكلهم يصلح موضوعاً لبحث نفسي متبع قوى يلد العقل ويولد الشعور معاً . وقد يكون هذا الاسم الذي اختاره المؤلف أظهر أسماء القصة ، وقد يكون هنا الشخص الذي آثره الكاتب أشد أشخاص القصة استثارة لاعجاب الجماهير وعامة القراء والنظراء . ولكنني أوثر على هنا الشخص مع اعجابي به وعطفي عليه شخصين آخرين : أحدهما يستحق الاعجاب المطلق والاجلال الذي لا حد له ، والآخر يستحق شيئاً من الاشتقاق غير قليل ويدعو مع استحقاقه للاشتقاق إلى شيء كثير من الروية والتفكير .

وليس هؤلاء الأشخاص الثلاثة وحدهم هم الذين يستحقون العناية ويضطرون القاريء إلى التأمل فيهم والتفكير في أمرهم ، بل هناك أشخاص ثلاثة آخرون كلهم خليق بالتفكير ، وكلهم يستثير في نفسك عاطفة قوية كما قلت . وفي الحق أنني لست أدرى أنحن بازاء قصة واحدة أم قصتين أم قصص ثلاث أم أكثر من هذه القصص الثلاث أيضاً . بل في الحق أنني لست أدرى أنحن بازاء قصة أو قصص تدرس الأشخاص وحياتهم النفسية القيمة ، أم نحن بازاء قصة أو قصص تدرس طائفه من الأخلاق وضروريات أطوار النفس الإنسانية عامة والوأنا من الحياة الإنسانية من حيث هي . وقد تكون بازاء هذه القصص جميعاً ، وقد نستطيع أن ننظر إلى هذه القصة من جميع هذه الأبعاد . فمن أراد درس الأشخاص وما يمتازون به من قوة وضعف وما يتصرفون به من خلال تدعوه إلى الاعجاب ونقاوصه تثير الغضب وجد فيها حاجته ، ومن أراد درس الآراء والنظائرات الخلقية والعلمية وما بينها وبين حياة الناس من صلة وما لها في حياة الأفراد

والجماعاتـ من أثر يجد فيها حاجتهـ . ماذا أقول ! إنك تستطيع أن تلتمس فيها شيئاً آخر غير الأشخاص وحياتهم وعواطفهم وغير النظريات العلمية وصلاتها وآثارها ، تستطيع أن تلتمس فيها السياسة ومكانها من أهواء الأفراد والجماعات وأثرها في نفوس الأفراد والجماعات أيضاً . تستطيع أن تجد في هذه القصة الممتعة هذا كلـهـ وأكثر من هذا كلـهـ ، وأنـتـ تجدهـ في دعـةـ وهـدوـةـ واطـمـئـنانـ لاـ يـحـولـ بـيـنـكـ وـبـيـنـ الحـزـنـ الشـدـيدـ ولاـ يـحـرـمـكـ الـابـتسـامـةـ الـمـالـصـةـ الصـافـيـةـ ،ـ ولـكـنـ يـعـطـيـكـ مـنـهـماـ حـظـاـ مـعـدـلاـ يـتـيـعـ لـكـ أـنـ تـسـعـظـ وـلـكـنـ فـيـ غـيرـ يـأسـ ،ـ وـأـنـ تـرـضـىـ وـلـكـنـ فـيـ غـيرـ اـسـرافـ ،ـ وـيـجـلـيـ لـكـ الـحـيـاةـ كـمـاـ هـيـ مـمـلـوـةـ بـالـخـيـرـ وـالـشـرـ ،ـ قـدـ اـمـتـزـجـ فـيـهاـ الـحـلـوـ وـالـمـرـ وـالـتـامـ فـيـهاـ الـنـعـيمـ وـالـشـقـاءـ .ـ وـأـنـتـ إـلـىـ هـذـهـ الـلـذـةـ الـعـقـلـيـةـ وـالـقـلـبـيـةـ لـاـ تـحـرـمـ الـلـذـةـ الـفـنـيـةـ أـيـضاـ ؛ـ فـالـلـفـظـ سـهـلـ حـلـوـ مـنـوـعـ رـشـيقـ ،ـ وـالـأـسـلـوبـ عـذـبـ سـائـغـ مـرـيعـ .ـ تـقـرأـ فـلـاـ يـخـيـلـ إـلـيـكـ أـنـكـ تـقـرأـ ،ـ وـأـنـماـ تـحـسـ أـنـكـ تـعـيـاـ وـتـشـهـدـ هـذـهـ الـحـرـكـاتـ وـالـأـطـوارـ الـمـخـتـلـفـةـ الـتـىـ تـكـوـنـ النـاسـ وـحـيـةـ النـاسـ .ـ

ولـكـنـ لـاـ أـرـيدـ أـنـ أـطـيلـ فـيـ تـقـيـيـظـ الـقـصـةـ أـوـ نـقـدـهـ ،ـ فـهـيـ فـيـ تـفـسـيـهاـ طـوـيـلـةـ ،ـ وـأـنـماـ أـرـيدـ أـنـ أـظـهـرـكـ عـلـيـهاـ فـيـ تـلـخـيـصـ شـدـيدـ وـدـونـ الـحـاجـ فـيـ الـمـقـدـمـاتـ .ـ وـكـيـفـ أـظـهـرـكـ عـلـىـ هـذـهـ الـقـصـةـ الـتـىـ هـىـ فـيـ حـقـيـقـةـ الـأـمـرـ طـائـفـةـ مـنـ الـقـصـصـ دـوـنـ أـنـ أـقـدـمـ إـلـيـكـ اـشـخـاصـهـاـ قـبـلـ كـلـ شـىـءـ ؛ـ فـعـيـاتـهـمـ مـعـقـدـةـ ،ـ وـنـفـوـسـهـمـ عـلـىـ سـدـاجـتـهـاـ شـدـيـدـةـ التـرـكـيـبـ ،ـ وـكـلـهـمـ يـمـثـلـ لـوـنـاـ مـنـ الـوـانـ النـاسـ وـنـاحـيـةـ مـنـ نـوـاـحـيـ الـحـيـاةـ الـاجـتمـاعـيـةـ ،ـ فـهـمـ لـيـسـواـ أـفـرـادـ ،ـ وـأـنـماـ هـمـ جـمـاعـاتـ ،ـ وـحـظـوـظـهـمـ مـنـ الـحـيـاةـ لـيـسـتـ حـظـوـظـ الـأـفـرـادـ ،ـ وـأـنـماـ هـىـ النـتـائـجـ الـطـبـيـعـةـ الـتـىـ تـنـتـهـيـ إـلـيـهاـ حـيـةـ الـجـمـاعـاتـ وـمـاـ يـخـتـلـفـ عـلـيـهاـ مـنـ الـأـطـوارـ .ـ

تجـدـ فـيـ هـذـهـ الـقـصـةـ شـخـصـ هـذـاـ الرـجـلـ الـذـىـ كـانـ غـنـيـاـ وـاسـعـ الـغـنـيـةـ وـمـشـرـيـاـ ضـخـمـ الـثـرـوـةـ ،ـ وـشـرـيفـاـ مـؤـثـلـ الـمـجـدـ ،ـ نـشـأـ فـيـ أـسـرـةـ مـنـصـرـفـةـ إـلـىـ مـاـ يـدـعـوـ إـلـيـهـ الـشـرـفـ مـنـ ضـرـوبـ الـمـجـدـ وـالـزـخـرـفـ وـالـزـينـةـ وـالـلـهـوـ ،ـ وـلـكـنـهـ انـصـرـفـ إـلـىـ الـعـلـمـ فـاحـبـهـ وـتـهـالـكـ عـلـيـهـ وـوـقـفـ عـلـىـ تـحـصـيـلـهـ وـالـنـبوـغـ فـيـ جـهـودـهـ وـأـوقـاتـهـ وـثـرـوـتـهـ ،ـ وـأـبـلـيـ فـيـ ذـلـكـ أـحـسـنـ الـبـلـاءـ ،ـ وـلـكـنـهـ لـمـ يـظـفـرـ مـنـ هـذـاـ كـلـهـ بـشـىـءـ ،ـ وـأـنـماـ اـسـتـقـبـلـ الـهـرـمـ وـالـشـيـخـوـخـةـ فـيـ فـقـرـ وـبـؤـسـ وـشـقـاءـ .ـ

على أن هذا كله لم يغير من هذه النفس الراضية التي كونها البحث العلمي وعلمتها أن تكون جلد قوية شديدة الاحتمال ، فهي مبتسمة أبداً ، وهي راضية أبداً ، وهي طيبة شديدة الميل إلى العفو والمغفرة ومعونة الضعفاء والأغصاء عن هفوات الناس . هذا الشخص هو البارون «فون دير هلويك» .

وتتجدد في القصة شخصا آخر نشأ في أسرة بائسة معدمة ، فذاق ألوان الألم وتقلب في ضروب الشقاء ، ولكنـه أحب العلم كما أحبـه ذلك الرجل الغـنى ، ولم يقف عليه مـالـا ولا ثـرـوة ، وـانـما وـقـفـ عـلـيـهـ ذـكـاءـ وـقـوـةـ فـوـقـ لـكـثـيرـ ، وـاـذـاـ هـوـ يـظـفـرـ بـالـاخـتـرـاعـ بـعـدـ الـاخـتـرـاعـ ، وـاـذـاـ هـوـ يـسـتـعـينـ بـالـاغـنـيـاءـ وـاـصـحـابـ الـثـرـوةـ عـلـىـ تـحـقـيقـ آـمـالـهـ الـعـلـمـيـةـ ، فـيـخـدـعـونـهـ وـيـعـبـشـونـ بـهـ ، وـيـسـتـغـلـونـ ذـكـاءـ وـعـلـمـهـ ، وـهـوـ يـعـلـمـ هـذـاـ وـلـاـ يـعـسـنـ الدـفـاعـ عـنـ نـفـسـهـ ، فـيـتـعـزـىـ عـنـ آـلـامـ الـحـيـاةـ بـالـعـلـمـ مـرـةـ وـبـالـحـمـرـةـ مـرـةـ أـخـرـىـ ، حـتـىـ يـعـرـضـ لـهـ الـحـبـ ، فـاـذـاـ هـوـ قـدـ أـضـاءـ نـفـسـهـ وـمـسـلـاـ قـلـبـهـ وـنـظـمـ حـيـاتـهـ وـبـرـأـهـ مـنـ دـاءـ الـحـمـرـ ، فـاـنـصـرـفـ إـلـىـ الـعـلـمـ وـجـدـ فـيـهـ ، وـفـرـغـ لـلـحـبـ وـاسـتـعـانـ بـهـ ، وـاـذـاـ هـوـ عـالـمـ ، وـاـذـاـ هـوـ غـنـىـ قـدـ ظـفـرـ بـكـلـ مـاـ كـانـ يـرـيدـ مـنـ عـلـمـ وـحـبـ وـسـعـادـةـ . وـلـكـنـهـ لـاـ يـكـادـ يـسـتـمـتـعـ بـنـتـيـجـةـ هـذـهـ الـحـيـاةـ الطـوـيـلـةـ الشـاقـةـ حـتـىـ تـظـهـرـ لـهـ الـخـيـانـةـ فـتـهـضـىـ عـلـىـ كـلـ مـاـ كـانـ قـدـ حـصـلـ وـأـفـادـ ، وـتـصـرـفـهـ عـنـ هـذـاـ الـبـحـثـ المـنـظـمـ الـمـنـتـجـ إـلـىـ ذـكـرـ الـبـحـثـ المـشـوشـ المـضـطـربـ . تـصـرـفـهـ عـنـ الـعـلـمـ وـالـحـبـ وـالـحـمـرـ ، فـمـاـ يـزـالـ يـبـحـثـ وـيـشـرـبـ حـتـىـ يـقـتـلـهـ الـبـحـثـ وـالـشـرـبـ . وـهـذـاـ الـشـخـصـ هـوـ «مـيشـيلـ بـوـبـيرـ»ـ وـالـذـىـ اـتـخـذـ الـكـاتـبـ اـسـمـهـ عـنـوانـاـ لـهـذـهـ الـقـصـةـ .

وتتجدد فيها شخصا آخر ذكيا قوي الذكاء ، غنيا موفور الغـنى ، قد اجتهـدـ فـيـ اـنـ يـجـعـلـ ذـكـاءـ وـثـرـوـتـهـ وـسـيـلـةـ إـلـىـ اـسـتـغـلـالـ الـعـلـمـ وـالـعـلـمـاءـ ، وـلـكـنـ ذـكـاءـ أـعـظـمـ مـنـ ثـرـوـتـهـ ، وـأـمـلـهـ أـوـسـعـ مـنـ جـهـهـ ، فـهـوـ يـمـضـيـ أـمـامـهـ غـيـرـ مـقـدـرـ لـلـظـرـوفـ وـلـاـ مـتـبـصـرـ فـيـ الـعـوـاقـبـ ، مـسـتـغـلـ هـذـاـ الـعـالـمـ وـآـثـارـهـ فـيـفـقـرـهـ وـيـفـقـرـ نـفـسـهـ ، وـلـكـنـهـ يـجـدـ فـيـ نـفـسـهـ مـاـ يـنـهـضـهـ مـنـ كـبـوـتـهـ ، فـمـاـ يـزـالـ يـمـضـيـ فـيـ طـرـيقـهـ مـتـخلـصـاـ مـنـ كـلـ ضـائـقـةـ ، نـاهـضاـ مـنـ كـلـ عـشـرـةـ ، حـتـىـ يـعـرـضـ لـهـ الـحـبـ الـآـثـمـ مـنـ جـهـةـ وـالـحـرـصـ عـلـىـ الشـرـاءـ مـنـ جـهـةـ أـخـرـىـ ، وـاـذـاـ هـوـ قـدـ اـنـتـهـىـ إـلـىـ الضـائـقـةـ التـيـ لـاـ مـخـلـصـ مـنـهـ ، وـاـذـاـ هـوـ بـيـنـ اـثـنـيـنـ : الـمـوـتـ

والسجن ، فيؤثر الموت ، وهذا الشخص هو : « ديلا روزويه » زعيم الأسرة التي تدرسها هذه القصة .

ثم تجده في هذه القصة شخصا رابعا هو امرأة . هذه المرأة خليقة باعجابك كله ، وخليقة باشفاقك كله ، وخليقة أن تكون المثل الأعلى للنساء . أحببت زوجها وكلفت به وأخلصت له وقدمت له ثروة ضخمة يوم تزوجته ، ووقفت حياتها كلها على معونته وتشجيعه ومواساته وتربيته ابنتها . أخلصت في هذا كله راضية مبتسنة ، ثم أحسست من زوجها الحيانة والائم فتألمت ولكن في صمت ، وبكت ولكن في استخفاء ، ثم رأت زوجها وقد تورط في الائم وألمت عليه انتقال الحياة فعفت له عن خيانته ورددت إليه قلبها وجهاً كاملين ، وبدأت تفتبط بهذه الحياة الم قبلة يملؤها المؤس والشقاء ، ولكن يضئها الحب والوفاء . غير أن زوجها يسألها أيهما خلائق بالعناية والحرص : الحياة أم الشرف ؟ فتجيبه : الشرف ، فتقتل زوجها بهذا الجواب وتعرض أسرتها لحياة ملؤها الشر والمكره ، على أنها تحتمل هذا الشر راضية مطمئنة ، وتجاهده قوية جلدة وتکاد تنتصر عليه . قد أخلصت لزوجها ما عاش ، وهي الآن مخلصة لابنتها ، وهي تکاد تجني ثمرة هذا الأخلاص ، ولكن الحيانة كانت تنتظرها ، فهى لا تظفر من هذه الحياة الطويلة الشاقة الا بمنها الاذعان المر الهادىء للقضاء . وهذه المرأة هي زعيمة الأسرة التي يدرسها الكاتب في هذه القصة .

وامرأة أخرى تجدها في هذه القصة ، خليقة بالتفكير والرواية ، خليقة بالعناية والدرس ؟ لأنها تمثل التربية السيئة واثرها في الحياة ، ولأنها تمثل هذه الظروف المنكرة التي تعرض للشباب وما يتهدى مقاومتها فتفسد عليه أمره وتصرفه عن طريق الرشد الى طرق الفساد . نسات في ثروة وعز بين أب يحبها ويصرف في حبها وأم تؤثرها وتحنون عليها ، فلم تنق للشقاء طعما ولم تبل مراوة الحاجة ، ولم تعرف كيف تحتمل الحرمان ، وإنما كانت موضوع عنابة هذين الآباء حتى شبت ناعمة راضية طامعة ، لا ترضى من الحياة بما فيها وإنما تستزيدها الخير وتطلب إليها ما لا تملك . وقد قرات كتابا وقصصا أفسدت عليهما عقلها أو كادت تفسده ، فهي منصرفة

إلى الخيال مغرقة في الأُمُل ، لا ترى الحياة كما هي ولا ترضيها كما هي . ثم عرض لها فتى جميل فاتن غني ، أظهر لها الحب فأحبته وما كان إلا مخدعا ، ثم حاولت أن تقاومه وتقى شره فلم تجد إلى ذلك سبيلا فتورطت في الأثم ، ولكنها استطاعت بعد ذلك أن تنعم وتمحو خطيبتها . وما كان سعادها بأن تجد الحياة الهدئة المستقيمة وأن تخلص لزوج يحبها ويكلف بها ، وقد وجدت هذا كله وكادت تظفر بالسعادة لو لا أنها أرادت أن تكون هذه السعادة خالصة صافية ، فاعترفت لزوجها بالاثم فقتلته زوجها بهذه الاعتراف ، واضطررت هي إلى أن تترد في الهوة التي كانت قد خلصت منها فعاشت فيها حينا ، ثم جاهدت حتى خلصت منها مرة أخرى ، ولكنها لم تجد بعد هذا الخلاص إلا الحزن والشقاء والندم الذي اتخذته قريباً لحياتها ، وهذه الفتاة هي « هيلين » بطلة هذه القصة .

وهل أذكر لك هذا الفتى المخادع الذي أشرت إليه والذي لا يرى الحياة إلا لعباً ولهملاً ، ولا يرى إلا خلاقاً إلا سخفاً وهزواً ، والذي لا يرى النساء إلا لذة ومتنة ؟ ..

وهل أذكر لك هذه الخادم التي أحببت سادتها ووفت لهم وشاركتهم في الخير وأعانتهم على الشر ، ولكنها رأت آثام الحياة ونقاصلها فانثرت أن ترك هذه الآثام والنقائص وأن تفارق باريس .

هؤلاء هم أشخاص القصة . كلهم كما قلت خلائق بالعنایة والتفكير . أقامتحتاج بعد هذا كله أن الخص لك القصة تلخيصاً مفصلاً ، أم ترى مثل أنني أستطيع بعد هنا التفصيل أن أوجز لك هذا التلخيص أيجازاً ؟ .

* * *

نعن في باريس في بيت « ديلا روزريه » نرى ذلك العالم الشيف الذي أشرت إليه في أول هذا الفصل يتحدث إلى زعيمة الأسرة ، وهو ما يعرضان

الحياة وما فيها من لذة ومن المم ، يذكران الفقر والغنى ، والصحة والمرض ، والموت والحياة . وصاحبة البيت تسأل جليسها عن قريب له من الأشراف هو الكونت « دى ريفاي » ، قدم إليها منذ حين ، وكأنها تفكر في أن تتخذه زوجاً لابنته ، فلا يذكره الشيخ إلا بسوء ، فهو شريف مؤذل المجد ، ولكنه رجل لا خلق له ولا دين ولا كرامة ولا مبدأ ، ينفق مائة ألف فرنك في الميسر ، ولكنه لا ينفق فلساً واحداً في الصدقة . ويتصال بين الجليسين هذا الحديث حتى تحس المرأة أن زائرين قد أقبلوا ، فتنصرف ، فإذا الخادم يدخل ومعه رجل آخر ينمازعه ويدافعه وهو ميشيل بوبير ، فيتصرف الخادم ويتحدث الرجلان فتعرف من حديثهما ما قدمت لك في وصفهما ، وتعرف أن ميشيل بوبير هذا رجل ذكي عالم بمختبراته ولكنه فقير ، يستغل التجار الذين يتجررون بمختبراته ، ومنهم صاحب هذا البيت . وقد أقبل هذا العالم المخترع بعد أن أسرف في شرب الخمر متعمداً؛ ليحاسب هذا الرجل وليس تخالص منه حقوقه . وما هي إلا أن يقبل صاحب البيت فيدافع العالم عن نفسه حيناً ، حتى إذا أحسن منه الاصرار على المقاومة أراد أن يفرغ له ، فيسأل الشيخ عن حاجته . فإذا الشيخ قد أقبل يسأله المعونة على الحياة ، ولكن الرجل يعتذر ويصرخ الشيخ العالم راضياً عاذراً . ويخلو صاحب البيت إلى مطالبه ، فلا يكادان يتحدثان حتى تفهم أن ميشيل بوبير صاحب حق ، وأنه قد استكشف في عمله طائفه من الألوان يستغلها صاحب البيت ولا يعطيه من ربعه شيئاً . وقد أقبل يطلب حسابه ، وصاحب البيت يدفعه عن نفسه بشيء من المال يعرضه عليه فيما إلا الحساب . وهذا غنى هذا الجدال إذ تقبل « هيلين » ، فتحدث إلى أبيها في دعوه ودل ودعابة ، وتسخر من هذا الرجل السكران الذي يهدى ويصبح ، ويتحدث إليها أبوها في رفق وحبه وأكباه ، حتى إذا انصرفت الفتاة كان قد تغير في نفس هذا العالم السكران كل شيء ، لأنـه أحب الفتاة وكلف بها ، فهو لا يطلب حساباً وهو لا يقبل ملاعاً ، وهو يحسن أن صاحبـه في حاجة إلى المعونة فيعرض عليه معونـته ، ولكنه يخطبـ إليه ابنته ، قيـابـيـ الرجل : لأنـ ابنته لا ينـبغـيـ أنـ

تكون سلعة يتاجر بها ؛ ومع ذلك فان الرجلين يفترقان على خير ما يفترق الناس .

* * *

فإذا كان الفصل الثاني فنحن حيث كنا في الفصل الأول ، وقد مضى حين على ما قدمت لك ، ونعن نرى صاحبة البيت وحدها محزونة كثيبة تنتصب وتتحدث إلى نفسها بكلام يقطر القلوب ، فيه رثاء لحال المرأة المخلصة الوفية التي قدمت نفسها وحبها وما لها للرجل ، فانتفع بهذا كله في أثره وعقوله ، ثم انصرف عن أمراته إلى ائمه وخياناته . وقد دخلت عليها ابنتها ، فهما يتحدثان ، ونفهم من حديثهما أن زعيم الأسرة شقي مثقل بالهموم يكتم أمره عنهما جميما ، وأن أمراته تريد أن تتبين مصدر هذا فلا توفق ، وهي تلوم زوجها على اسرافه ، وتعاتب ابنتهما في ترفها . وما هي إلا أن تعرضها للزواج ، فإذا الامر تذكر ميشيل بوبير الفتاة تزدريه لأنها رأته سكران . ولكنها قد انصرف عن الخمر وأصلح من أمره ونظم حياته ، فهو رجل مستقيم طيب النفس ظاهر القلب ذكي الفؤاد خليق أن يكفل السعادة لزوجته . ولكن الفتاة لا تسمع لشيء من هذا وهي لا تريد أن تتزوج ، وقد تركتها أمها وانصرفت تريد أن تزور قبر أبيها .

أحق أن الفتاة لا تريد أن تتزوج ؟ كلا ! أنها تعجب ، وتريد أن تتزوج . انظر إليها ، لم تكن تخلو إلى نفسها حتى دعت الحارم وأمرتها أن تذهب إلى الكونت دي ريفاي فتنبه بأنها وحدها الآن ، وأنها تريد أن تراه . وانظر إليها وقد خلت إلى نفسها وهي تذكر حبها لهذا الشاب وألمها بهذا الحب واعجابها بهذا الفتى الذي يحبها ويأبى الزواج . وقد أقبل هذا الفتى ، فلا يكاد يتحدث حتى نحس منه غرورا وفجورا وحرصا على اللذة وحدها أو ازدراه لقواعد الأخلاق والحياة الاجتماعية . وهو يدعو الفتاة إلى الهرب معه والفتاة تأبى إلا الزواج ، وقد اختصا وهما يكادان يفترقان . ولكن زعيم الأسرة قد أقبل ذاهلا مضطربا ، وقد دفعت إليه الحارم كتابا ، قرأه فلم يزدد إلا ذهولا واضطرابا ، وانظر إليه يمسك صاحب ابنته ويزيد أن يخلو إليه

إذا انصرفت ابنته وتحدث الرجلان رأينسا زعيم الأسرة يطلب إلى صاحبه المعونة المالية فيأباهما عليه ، وقد أنهى به المزعزع إلى أقصاه ، فهو بقص أمره ويا شر ما يقص ! فقد اضطرته أعماله المالية إلى التزوير ، فاما أن يجد المال واما أن يلقى في السجن . وقد سمع صاحبه لهذا ثم نهض وهو يرى أنه ليس من هذا المأذق مخرج إلا الموت . وتقبل زعيم الأسرة فتخلو إلى زوجها وتسأله عن أمره ، وما تزال تلح عليه حتى تظفر منه بالجواب ، وتعلم أن الأسرة قد فقدت ثروتها كلها . ولكن هذا شيء ميسور يمكن احتماله إذا ظفرت الأسرة بما كان يجمعها من حب ، وأنى لها هذا الحب والرجل يخون امرأته وينفق حياته في اللهو والاثم ! ولكن الرجل تائب معتذر ، وهو يستعطف امرأته ويتصبر إليها وقد طابت له نفسها فهي تعفو عنه ، وهما خليقان أن يستأنفا حياة سعيدة على ما فيها من فقر وبؤس . ولكن الرجل يسأل امرأته وقد عرف أن الفقر لا يخيفها : هي برجلا بين اثنتين أما أن ينقد حياته ، وأما أن ينقد شرفه ، فما أخلق الأمرين بهذا الرجل ؟ تجيئه : إنقاذ الشرف . فيقول الرجل لنفسه : لقد قتلتني ، ثم يطلب إلى امرأته بعض الأمر ، فإذا انصرفت إلى الغرفة المجاورة قتلت نفسها .

* * *

فإذا كان الفصل الثالث فقد مضت أشهر على هذا ، ونحن في ضاحية من ضواحي باريس في بيته لا تظهر عليه النعمة ولكنه ليس سعيداً الحال . ونحن نرى الأم تتحدث إلى ذلك الشيخ العالم الذي رأيناه في الفصل الأول ، ونفهم من حديثهما أن المرأة تلتمس لابنتها عمل مربية في أسرة غنية شريفة ، وأن هذا الشيخ قد وجد لها ما تريده ، ولكنه ينصح لها ألا تقر ابنتها على هذا ، وأن تتجنب إليها الحياة وتأسس أسرة ، فتجيءه : إن ابنتها ترفض الزواج رفضاً قاطعاً ، وإنما قد سمعت هذه الحياة في هذا البيت الذي أسكنهما فيه ميشيل بوبيه قريباً من معمله . وقد فهمنا أن ميشيل بوبيه قد صلّع أمره حتى أصبح رئيس مصنع ضخم ، وحتى أصبح غنياً يحبه العمال ويخلصون له . وهذا في هذا الحديث أذ يقبل أحد العمال فيدعوه السيدة إلى

المصنع ويلح في هذه الدعوة ، فتنصرف المرأة وترى الشيخ مع ابنتهـا فينصحـ الشيخ للفتاة ألا تتمـ ما أرادـتـ وينصحـ لهاـ بالزواجـ ولـكنـهاـ تأبـيـ وماـ يزالـ بهاـ حتىـ تنبـئـهـ جـلـيةـ أمرـهاـ .ـ ذلكـ أنهاـ لـقيـتـ بـعـدـ مـوـتـ أـبـيهـ عـاشـقـهـ الكـوـفـتـ ،ـ فـأـظـهـرـ حـبـاـ لـهـاـ وـعـطـفـاـ عـلـيـهـاـ ،ـ ثـمـ أـرـادـهـاـ عـلـىـ الـآـثـمـ فـدـافـعـتـهـ وـامـتنـعـتـ عـلـيـهـ ،ـ وـلـكـنـهاـ رـأـتـ مـنـهـ الشـرـ وـعـلـمـتـ أـنـ يـتـرـكـهـ حـتـىـ يـفـتـكـ بـهـاـ وـلـوـ جـنـاـ هـامـدـةـ فـأـسـمـحـتـ ،ـ وـهـىـ الـآنـ تـرـيدـ أـنـ تـكـفـرـ عـنـ سـيـئـتـهـ بـعـيـاةـ هـادـئـةـ لـأـنـهـ فـيـهـاـ وـلـأـحـبـ .ـ وـلـكـنـ الـخـادـمـ أـقـبـلـتـ تـسـأـذـنـ لـهـذـاـ الـعـاشـقـ ،ـ فـيـنـصـحـ الشـيـخـ بـرـدـهـ ،ـ وـتـأـبـيـ الـفـتـاةـ الـأـسـتـقـبـالـهـ ؛ـ لـأـنـهـ تـطـمـعـ مـنـهـ فـيـ أـنـ يـتـزـوجـهـ ،ـ فـيـنـصـحـ الشـيـخـ أـنـ تـرـكـهـ مـعـهـ حـيـنـاـ فـتـفـعـلـ .ـ وـيـتـحدـثـ الرـجـلـانـ ،ـ فـإـذـاـ الشـيـخـ يـلـومـ الشـابـ وـيـؤـنـبـهـ ،ـ وـإـذـاـ الـفـتـىـ لـاـ يـظـهـرـ أـمـامـ هـذـاـ اللـوـمـ الـأـزـدـرـاءـ لـكـلـ خـلـقـ وـعـبـنـاـ بـكـلـ فـضـيـلـةـ وـاحـتـقـارـاـ لـلـزـوـاجـ ،ـ بـلـ اـحـتـقـارـاـ لـصـاحـبـتـهـ ،ـ فـهـوـ اـنـمـاـ أـقـبـلـ لـيـلـتـمـسـ عـنـدـهـ الـلـذـةـ .ـ أـلـيـسـ قـدـ أـسـمـحـتـ لـهـ مـرـةـ ؟ـ فـلـمـ لـاـ تـمـضـيـ فـيـ هـذـاـ الـاسـحـاجـ حـتـىـ إـذـاـ أـنـصـرـفـتـ عـنـهـ نـفـسـهـ التـمـسـ الـلـذـةـ عـنـدـ غـيرـهـ ؟ـ وـالـفـتـاةـ تـسـمـعـ هـذـاـ كـلـهـ فـيـ مـخـبـتـهـ ،ـ وـإـذـاـ هـىـ قـدـ أـقـبـلـتـ مـغـضـبـةـ ثـائـرـةـ فـبـلـغـتـ مـنـ تـحـقـيرـ هـذـاـ الشـابـ وـأـزـدـرـائـهـ بـكـلـامـ غـلـيـظـ مـاـ شـاءـتـ أـنـ تـبـلـغـ .ـ وـلـكـنـاـ نـسـمـعـ ضـجـيجـاـ ،ـ وـنـرـىـ الـأـمـ مـقـبـلـةـ وـمـعـهـ مـيـشـيلـ بـوـبـيرـ وـمـنـ وـرـائـهـمـ طـائـفـةـ مـنـ الـعـمـالـ وـأـهـلـ الـقـرـيـةـ وـكـلـهـ يـصـبـحـونـ بـعـيـاةـ مـيـشـيلـ بـوـبـيرـ ،ـ وـلـسـتـ أـطـيلـ عـلـيـكـ بـتـلـخـيـصـ هـذـاـ القـسـمـ الـلـذـيـدـ مـنـ الـقـصـةـ ،ـ فـخـسـبـكـ أـنـ تـعـلـمـ أـنـ مـيـشـيلـ بـوـبـيرـ قـدـ عـرـضـ حـيـاتـهـ لـلـخـطـرـ لـيـنـقـذـ عـمـالـهـ مـنـ كـارـثـةـ ،ـ وـأـقـبـلـ الـعـمـالـ يـشـكـرـونـهـ وـيـهـنـئـونـهـ .ـ وـكـانـتـ فـيـ ذـلـكـ خطـبـ تـمـسـ السـيـاسـةـ الـفـرـنـسـيـةـ عـقـبـ الـحـربـ .ـ وـانـصـرـفـ هـؤـلـاءـ النـاسـ جـمـيعـاـ أـلـاـ مـيـشـيلـ بـوـبـيرـ .ـ وـإـذـاـ نـعـنـ نـرـىـ الشـيـخـ يـتـقدـمـ إـلـىـ الـأـمـ يـخـطـبـ إـلـيـهـاـ اـبـنـهـاـ لـنـفـسـهـ .ـ فـنـرـىـ اـضـطـرـابـ الـأـمـ وـالـفـتـاةـ وـغـضـبـ مـيـشـيلـ .ـ وـلـكـنـاـ فـهـمـنـاـ أـنـ هـذـاـ الشـيـخـ لـمـ يـتـقدـمـ بـهـنـهـ الـخـطـبـةـ أـلـاـ لـيـعـلنـ أـمـامـ مـيـشـيلـ وـأـمـامـ الـفـتـىـ أـنـهـ عـلـىـ شـرـفـاـ وـمـكـانـتـهـ يـكـبـرـ الـفـتـاةـ وـيـرـاهـاـ أـهـلـاـ لـلـاقـتـرـانـ يـارـفـعـ النـاسـ مـكـانـةـ وـأـعـظـمـهـ شـرـفـاـ .ـ

* * *

فـإـذـاـ كـانـ الـفـصـلـ الـرـابـعـ فـنـحـنـ فـيـ بـارـيسـ فـيـ بـيـتـ لـمـ نـعـرـفـهـ مـنـ قـبـلـ ،ـ وـقـدـتـمـ الـزـوـاجـ بـيـنـ هـيـلـيـنـ وـمـيـشـيلـ بـوـبـيرـ .ـ وـلـسـتـ أـخـصـ لـكـ مـاـ بـيـنـ الـأـمـ وـابـنـهـاـ مـنـ

حدث ، ولا هذه الصلوات الحارة التي يتقدم بها الزوج الى امراته ، ولكن يكفي أن تعلم أن هذا الزوج ما زال يذكر حبه وتأثيره هذا الحب في حياته حتى ظر في امراته تأثيرا شديدا فأحبته ، ولكن أرادت إلا تخدعه ولا تشغله فاعترفت له بائتمانها وسألته أن يغفو عنها . ولم يكدر الرجل يسمع هذا حتى ظار ثائره وهم بامرأته يريد أن يقتلها ، ثم انصرف عنها صائحا وترك البيت . هي الآن تبكي وتنتصب ، ولكنها قيد سلسلة العصابة وندمت على ما كان منها من صدق وانخلاص ، وإذا هي تدعوا الخادم وترسلها إلى عاشقها . وما هي إلا لحظات حتى يأتي هذا العاشق وقد أذاعت الفتاة باكية أن تعيش عيشة الأثم بعد أن لم توفق لعيشة الطهر ، وقد أسدل الستار رفع . وإذا أنت ترى ميشيل بوبير يترنح سكران يتنفس سكرانا وهو يتغنى سوأ حظه ، وما زال يتغنى حتى يسقط صريعا أمام باب الدار ، وإذا هذا الباب يفتح وتخروج منه امرأته ومعها عاشقها فيقادان يطآن جسمه في طريقهما .

* * *

فإذا كان الفصل الخامس فنحن في معمل ميشيل بوبير نرى هذا الشيئ العالم يتحدث إلى الطبيب فنفهم من حديثهما أن ميشيل بوبير قد جن وأنه أشرف على الموت ، وأن الحمر هي التي أنهت به إلى هذه الحال ، ثم يخرج الطبيب وتأتي أم الفتاة . فنفهم أنها قد وقفت نفسها على صهرها منذ ظهر أثم ابنتها فانقطعت للعناية به والشهر عليه ، وهي تحبه كما تحب ابنها وتشفق عليه أشقاها شديدا . والشيخ يذكر لها ابنتها ويستعطفها عليها وبينها بأن قد فسد ما بينها وبين عاشقها فلا يبعد منها إلا سخطا واعراضا ، فهي لا تعرف ابنتها ولا تزيد أن تعرفها ، ولكنها تنظر فإذا ابنتها مقبلة ، وإذا هي قد نسيت كل شيء وأطبقت ذراعيها على هذه الفتاة آلائمة تقبيلها وتصفع عنها وتلعن عليها في العودة إلى حيث كانت حتى لا يراها زوجها . غير أن هذه الفتاة إنما أقبلت لترى زوجها وهي تلعن في هذا ، وأمهما تدافعها . ولكن أنظر لهذا ميشيل بوبير قد أقبل ذاهلا مفقود الرشد يخيل إليه أن أم امراته أمه وهو بهذه بكلام لا يغير فيه . فإذا رأى امرأته انكرها ولم يعرف من أمرها شيئا . ولكن امرأته تلعن حتى يغلو إليها ، فتحاول أن تعدداته عن

نفسها وان تذكره ما كان من أمرها فلا يذكر شيئاً أو قُل أنه يالم ويشتند المله لهده الذكرى ، وإذا هو مختنق ، وإذا هو يدعو إلى المعونة ، فتحاول امراته أن تدعوه أمها فيتبعها صائعاً : إنك تسرقين الماس . وانظر إليه قد عمد إلى شيء فاستخرجه ، فإذا قطع ضخمة من الماس ملايين المعمل نوراً ، تلك هي نتيجة بعثه العلمي قد انتهت إليها بين السكر والبحث ، قامستطاع ان يحول الفحم إلى ماس ، وإلى هذه النتيجة كان يسعى طول حياته وقد ظفر بها . ولكن أدركه الجنون . وانظر إليه الآن يظهر هذه النتيجة ويحرص عليها ، ولكنه مضطرب ذاهب القوى ، فهو يسقط صريعاً ، وتسقط قطعة الماس من يده فتحطم ويدخل الشيخ وصه أم الفتاة ، فإذا نظر إلى هذا الصريح ومن حوله قطع الماس قال : لقد فقد الناس عالماً كبيراً ، وفقد العلم سراً عظيماً .

رمان بـ المحبين

قصة شهادية للطائفة الفرنسية

الفريدريك بو



هي احسنى هذه القصص التي يتقنها كبار الكتاب
الفرنسيين ، والتي انقرؤها او تشهدها تشعر بشيء كثير من
الراحة لقراءتها او رؤيتها ، وتشعر بأن الكاتب لم يستكمل
جهدأ ولا مشقة حين كتبها ، بل تشعر بأن الكاتب قد استراح
إلى كتابتها ، ووجد من الللة في تنسيق نصوصها ومناظرها
مثل ما تجده أنت في قراءتها او النظر إليها . بل تشعر بأن
الكاتب قد ابتسم عندما خطر له موضوعها ، ونشد لكتابته في
هذا الموضوع فأخذ قلمه باسمه ، وظل يكتب باسمه ، وانتهى
من الكتابة ولم تفارقه بسمته ، او قل انتهى من الكتابة وهو
يضحك .

على أنك تشعر فوق هذا كله بأن ابتسامة الكاتب وابتسامتك أنت حين
تقرأ القصة او تشهدها ليست ابتسامة حلوة كلها وإنما تشوب حلاوتها
مرارة ما . ليست ابتسامة عبث ، ولا ابتسامة سخرية ، وإنما هي احدى
هذه الابتسamas التي تمثل الأمرين جميعا : فيها العبث لأن بين الأشخاص
وفى أخلاقهم وحركتاتهم ما يدعى إليه . وفيها السخرية لأن فى هذه الأخلاق
والحركات ما يجعل الرجل المستقيم ذا المزاج المعتدل على أن يهز كتفيه .
وفيها إلى هذا العبث وهذه السخرية شيء من الألم الهادئ ، والأمل الذى
يخلق بالفيلسوف : لأن هذه الأخلاق والحركات – عسل أنها خليقة بشيء
من الأذلاء وعلى أنها شائعة وعلى أنها قوام الحياة – ليست خالدة جامدة ،
ولا عسيرة مستعصية على الاصلاح ، فهي منكرة بعض النكر ، ولكنها قابلة
لأن يعتدل منها ويستقيم بعض ما فيها من العوج .

تجد هذا كله حين تقرأ القصة او تشهدها . وتشعر بشيء من القبطنة
والرضا وال الحاجة الى أن تشكر للمكاتب أنه قد أرضاك والهاك دون أن يشير
في نفسك هذه الانفعالات الحادة التي تثيرها القصص المحزنة ، ودون أن
يسلط عليك هذا الضحك العنيف الذى تبعه القصص المضحكة بالمعنى الذى
يفهمه الممثلون لهذه الكلمة ، وإنما أرضاك والهاك في هدوء ودعة ، أو قل

انه حق ما انت تحتاج اليه من هذه الراحة التي يطمع فيها العاملون وقد انفقوا يومهم في المجهد والمشقة .

ثم انت واجد في هذه القصة ناحية من الحياة الفرنسية قلما تجدها فيما الفت قراءته ورؤيتها من القصص التمثيلية ، وهي حياة طائفة من أهل الأقاليم . ولكتابنا هذا عنابة بأهل الأقاليم نعرض عليك منها نموذجا في هذا التلخيص ، ونرجو أن نعرض عليك منها نموذجا آخر في غير هذا الفصل . ثم انت واجد في هذه القصة ما تجده في قصص هنا الكاتب جميما من هذا المنصب الفلسفى الذى يقوم على المصادفة ويضيف إليها الآخر الأكبر فيما يملأ الحياة من عمل ، وما يعترض الناس من خطوب .

ولقد أحب أن أسلك في هذه القصة نفس الطريق التى تعودت أن أسلكها في القصص الأخرى ، فاقدم إليك أشخاصها فى شيء من الإيجاز . ولكننىأشعر بأن هذه التقدمة لن تكون قوية ولا خلابة لأن الأشخاص فى أنفسهم ليسوا أقوىاء ولا خلابين . وأشعر أيضا بشيء من الخوف لأننى أحس أنى سأتورط فى تقصير شديد عن أن أبعث فى نفسك مثل الكاتب فى نفسى من الراحة والرضا والابتهاج . ذلك لأن لذة هذه القصة وأمثالها تأتى من اللفظ فى كثير من الأحيان ، وتأتى من اللفظ لنفسه أى من حيث يصعب أن يترجم وينقل من لغة إلى لغة . ولكننى على هذا كله مجتهدة فى تلخيص هذه القصة .

وإذا لم يكن بد من تقديم هؤلاء الأشخاص فلا بدأ بأشدتهم قوة وأعظمهم أثرا فيها ، وهو « فالنتين بريدو » شاب فى الثامنة والعشرين من عمره ، وسيم الطلة حين تقع العين عليه ، ولكنه ليس بالجميل حقا إذا أحسنت التحديق فيه ، قد ظفر بالشهادة الثانوية فى الآداب ، وهو إذا تكلم أو كتب خيل إلى من يسمعه أو يقرؤه أنه عظيم الحظ من العلم ، كاتب متعدد منطلق اللسان ، فإذا حق النظر فيه ظهر أنه ليس شيئا أو لا يكاد يكون شيئا . هو ، كما يقول الكاتب ، من هؤلاء الأشخاص الذين يعجبون النساء لأن عليهم سمة الجمال ولهم مظهر الذكاء ، وليسوا بالحسان ولا

الاذكاء ، وهو مدير مكتبة المدينة التي يعيش فيها ، يتغاضى راتبها ضئيلاً ولكنه ضخم بالنسبة الى مدن الاقاليم . وهو بطبيعة الحال شديد الاعجاب بنفسه ، شديد الطمع ، شديد الازدراء للناس ، مقتنع كل الاقتراح بأنه يشهد عصر انتقال يفني فيه جيل وينهض فيه جيل آخر . فاما هذا الجيل الفانى فقد استنفذ قوته وأصبح غير صالح للبقاء . وأما هذا الجيل الناهض فهو ممتنع قوة ونشاطاً ، ولكن الشيوخ يأخذون عليه الطريق ولا بد له من أن يقهرهم . وصاحبنا ساخت لا يرضي عن حاله ولا يطمئن ألا اذا ظفر في باريس بالمكانة التي تلائمه .

وله في مكتبه رفيق يعينه ، هادئ الخلق ، ساذج الطبع ، راض بما قسمه الله له ، حريص على مكانته ، جاد في طاعة النظم والقوانين ، منكر على صاحبه طيشه ونزقه وطمعه .

ثم شخص آخر هو « جونيـل » في السادسة والأربعين من عمره ، ضخم الثروة ، معتدل المزاج ولكنه لا يخلوا من طمع ، يريد أن يكون عضواً في مجلس الشيوخ ، وهو مخالف للحكومة القائمة في الرأي ، على أن ثروته وجمال امرأته يشجعان على الطمع في الانتصار على مرشح الحكومة .

ولهذا الرجل امرأته « كلوتيلد » شابة جميلة ، معتدلة المزاج أيضاً ، شديدة البغض للسياسة والانتخابات والأعمال العامة ، لا تطمع إلا في أن يبقى لها زوجها منقطعاً إليها ويمتعها بشرطه الشخصية . وهي تبذل ما تملكه من جهد لتصرف زوجها عن مجلس الشيوخ ، وهي تنذره بالخيانة إن أصبح شيئاً ، لأن ذلك لا يلائم سنتها ، ولأن بين الناس من يتلقها وقد وعدته بالاسماح له يوم يصبح زوجها شيئاً . ولكن زوجها يأبى إلا أن يكون شيئاً ، ولا يأبى على نفسه التفكير في أنه قد يصل إلى الوزارة . وهو مطمئن إلى زوجه لا يحفل بوعيدها ، ولا يشك في أنها وفية له مهما يكن من شيء .

وهناك فتاة أخرى « مارت أوبرى » معلمة في المدينة ، رائعة الجمال ، طيبة النفس ، مستقيمة في الخلق ، أدركتها اليمى هي وأختها ولا يتم تعليمهما

فمضت حتى أتمتاه . فاما اختها فاكثرت العاجلة وانطلقت مع أول رجل غنى عرض عليها الترف والثروة . واما هي فاكثرت الاستقامة والحياة الشريفة ، وقنعت بمنصب المعلمة في احدى مدن الاقاليم . وهي تحب فالنتين بورينو » مدير المكتبة هذا الذي قدمته لك منذ حين ، وهي تطمع في ان تفتون به ، وهي تتردد على المكتبة في كل يوم تزعم أنها تريد البحث في دائرة المعارف ، ولكنها لا تريد في حقيقة الأمر الا ان ترى هذا الشاب يحبها ولا يكره ان يفتون بها ، ولكنه يحب قبل كل شيء ان يظفر بمكانة ثلاثة في باريس .

وهل تحب أن أتم هذه المقدمة فاذكر لك هذا الشخص الآخر الذي ستراه في الفصلين الثالث والرابع ، وهو « بلوك » مدير مكتب للخدمات يعرف كل شيء ، ويسعى في كل شيء ، ويقدر على كل شيء ، وان كان في حقيقة الأمر لا يعرف شيئا ولا يكاد يقدر على شيء . هؤلاء هم الأشخاص ، وهم كما ترى ، عاديون لا يمتاز أحدهم بشيء ما ، ولا يمكن أن تكون القصة التي تقع بينهم الا عادية لا اثر فيها للانفعال العاد ولا للضحك العنيف .

* * *

فاما الفصل الأول من هذه القصة فيقع كما قدمنا في مدينة من مدن الاقاليم . ونحن اذا رفع الستار في المكتبة ، واما هنا مساعد مدير كانه يرتدي كتابا . على اتنا لا نلبيت ان نشعر ان هذه المكتبة كغيرها من مكتبات المدن فقيرة كل الفقر ، لا تكاد تشتمل الا على دائرة المعارف وبعض الكتب او المجلدات السياسية . وقد دخل خادم مامور المركز ، يطلب مدير المكتبة ليجيئ سيده ، وهو يعلن في ثرثرة ظريفة ان المأمور مغصب لأن مدير المكتبة قد كتب في صحيفية المدينة فصلا سياسيا عضد فيه مرشحا في مجلس الشيوخ معاديا للحكومة وذم فيه مرشح الحكومة وهو قريب المأمور . ولا يكاد يخرج الخادم حتى يأتي مدير المكتبة ، فاذا هو كما قدمنا فتشي ظاهر الرشاقة واللباق ، ولكنه في حقيقة الأمر ليس شيئا لولا انه شديد الطمع قوى الارادة . فاذا أخبر

بأن المأمور يدعوه وأنه مغضوب منه لم يحصل بذلك ، وإنما أخذ يحدث صاحبه عن الفصل الذي كتبه في صحيفة « المستقبل » وهاجم فيه قريب المأمور في قوة وعنف ودافع فيه عن خصمه دفاعاً شديداً ، فإذا سأله صاحبه : فيم هذا الهجوم ؟ أني أهان قريب المأمور هذا قد ذكره بسوء فيما بلغة ، وأنه لا يعرف خصمه ، ولكنه مع ذلك يؤيده ويبيّن في ترشيحه ما يملك من قوة . ويكون بين الرجلين حوار تفهم منه أن أحدهما وهو المسديري يتحرق شوقاً إلى باريس لعله يظفر فيها بما يريد من هذه المكانة العالمية ، وأنه واثق بالوصول إلى ما يرغب ، فكل شيء يدل على ذلك : انظر إلى هذا الجيل الذي يريد أن ينقضي كيف ضعف وأضحم ، وكيف عجز وانحل ، وكيف أخذ الفساد يعمل فيه من كل ناحية ، فلا خلق ، ولا قوة ، ولا إرادة ، ولا مهارة ، ولا استقامة في الأعمال . وهذا مأمور المركز : ما قيمته ! وماذا عمل وهو يخدم الحكومة منذ خمس عشرة سنة ؟ وهذا المدير أتى منه وصل إلى منصبه لو لا أنه أصهر إلى سكريتير الوزير ! والأمر كذلك في جميع طبقات هذا الجيل وفي أنحاء الحياة الاجتماعية كلها : جيل يفتى ، وجيل آخر ينهض . وهذا الجيل الناهض منتصر من غير شك : ففيه حب الحياة وطموح إلى الرقي ، وفيه قوة على الجهد وصبر على المكروه ، وفيه نبوغ واستعداد للنبوغ . انظر إلى صاحب الصحيفة التي تصدر في هذه المدينة ، لقد عرض على الفتى المدير ١٥٠ فرنكاً في الشهر على أن يكتب لصحيفته فصلاً في كل يوم . فهو إذا يستطيع أن يعيش خارج المكتبة ، وهو يستطيع أن يغضب المأمور . وهذا كله في الأقاليم ، فكيف به لو ذهب إلى باريس !

أما صاحبه فهو داعي معتدل قانع فيلسوف ، ينصح لرئيسه بالهدوء والدعة والرضا بما هو فيه ، وينصح له بنوع خاص بألا يلتمس في الحياة إلا هذه السعادة الهدئة العادية . وما له لا يفكر في هذه الفتاة المعلمة التي تحبه وتتردد على المكتبة من أجله ، وتتمنى أن تكون له زوجاً ! أليس هو يحبها أيضاً ؟ بل ! ! هو يحبها ، ولكنه لا يتسرع هذه السعادة ، وإنما يريد أن يصل إلى الثروة والمكانة قبل أن يفكر في الزواج .

فاما وقد تحدث الرجالان في الحب ، فلم يكن بد لصاحبنا المساعد الفيلسوف من ان يذكر حبه أيضا ؛ فهو ايضا يحب ، ولكنه يحب من غير امل . يحبه امرأة لا يعرفها ولا يتضرر ان يعرفها ، رآها مرة في باريس وقد كان يمشي الهوينا في الغابة فاذا هي تنزل من عربتها واذا منديلها يسقط فيلتقطه هو ويدفعه اليها فتأخذه شاكرة ، وهذا يكفي ليذكى في قلب صاحبنا للحب جنوة متقدة . وصاحبنا افيليوف يحتمل هذه الجنة وما لها من الذع ، ولكنه يعلن انه ان رأى هاتين العينين السوداويتين مرة أخرى فلن يستطيع ان يضبط نفسه ولن يكون له على حبه سلطان .

وهذه الفتاة المعلمة قد أقيمت تكلف مساعد المكتبة ان يعد لها جزءا من «لاروس» لتنظر فيه بعد حين . ولكنها رأت المدير فتتحدث اليه ، ويدعوها هو الى مكتبه ليظهرها على بعض الصحف التي وصلت من باريس فتتمعن عليه . فاذا سألاها لماذا ؟ أجابت : لأنني ان تبعتك الى المكتب حاولت أن تقيلنى كما حاولت في المرأة الماضية ، فأمتنع عليك فنتفاوض . وفيهم نتفاوض وتحن صديقان ! على أنه لا أكره أن تقيلنى بل قد أجد في ذلك سعادة ، ولكن قبل أن اسمع لك بهذه اللذة ولنفسى بهذه السعادة يجب أن تخطبني ، ويجب أن أعرف متى نفترن ، ولم لا نفترن ؟

فاذا ذكر لها طمعه في الثروة والمكانة دهشت وأعلنت اليه أنها راضية بمكانتها ومكانته ، وأنها ترى أنها يستطيعان أن يعيشَا سعيدَين ، وأخذت ترغبه في الزواج وتذكر له أمورا من شأنها أن تشجعه عليه ومن هذه الأمور أنها تحبه . ولكنه مصر على الثروة قبل كل شيء ، فتدعه على أن تعود لتنظر في دائرة المعارف . وما تقاد تخرج حتى ياتيه « جونيل » هذا الرجل الغني الذي يرشح نفسه لمجلس الشيوخ ، يأتي لأنّه قرأ الفصل الذي نشره الفتى في الصعيبة فجاء شاكرا . وما هي أن يرى الفتى ويتحدث اليه حتى يعجب به فيعرض عليه أن يكون سكرتيره ، وأن يرافقه إلى باريس . ولا يحتاج إلى الالحاد على الفتى في ذلك فقد قبل الفتى . وما له لا يقبل وهو سيذهب إلى باريس ، وسيعمل في السياسة ، وسيكون يد هذا الرجل اليمنى حتى يصل إلى مجلس الشيوخ ثم إلى الوزارة . ومن

يدرى ! ماذما يجئنى هو فى أثناء هذا كله ! على أن صاحبنا الشيخ ينبعه بأنه يخوض غمار الانتخابات على كره من زوجه فهى لا تحب السياسة ، ولكنها واثق بالانتصار عليها ، وهو يعلم أن أمراته ستغضب حين تعلم أنه قد اتخد له سكريرا ولكن غضبها لن يطول فهو يوصى الفتى بالانفصال والرفق . أما الفتى فقد قبل كل شيء وهو يترك صاحبه ليكتب الاستقالة . ولا يكاد يخلو إلى نفسه حتى تأتى أمراته ، فإذا هي ، كما تدعمنا ، شديدة السخط على السياسة ، شديدة البغض لاندفاع زوجها فيها . ولا يكاد زوجها ينبعها بأنه اتخد له سكريرا حتى تثور . ولكن السكرير قد أقبل وقد نظرت إليه فتحس أنه موقع من قلبها ، وهي تتلقاه متكلفة بعض الفتور ، وتدعوه إلى العشاء متكلفة بعض الفتور أيضا .

وينصرف الزوجان وتعود الفتاة المعلمة ، فلا تكاد تتحدث إلى صاحبها وتعلم باستقالته وأعتزامه السفر إلى باريس حتى يأخذها الحزن والحزن والاضطراب ، وهو يهدئها ويخطبها ويعدها ، ولكنها لا تحفل بذلك ولا تكاد تصدق منه شيئا . وهي تدع صاحبها وتنصرف إلى الكتاب تريده ان تنظر فيه فلا تستطيع . وأنى لها ذلك وقد ملكها الاضطراب فهى لا ترى إلا صاحبها ، ولا تفكرا إلا في سفره . وهي في ذلك وإذا امرأة تدخل وتسعى في خفة حتى تصل إليها ختقبها ، فإذا التفت رأت اختها « بوليت » وهي لم ترها منذ سنتين ، منذ انقطعت هي إلى التعليم ومضت الأخرى مع أول رجل غنى لقيها . وأختها تنبئها بأنها كانت مسافرة معه إلى نيس ، حتى إذا وصلا إلى ديجون ذكرت اختها فقالت له يعجب أن نفترق هنا لأرى أخرى سالقا آخر النهار . فإذا سالت اختها من هو ؟ أجابت : هو ! هو الذي تعرفيه ، هو جوستاف ! على أنني سالقا آخر النهار ، ولم أشا أن أصطحبه حتى لا أغرضك السوء القالة . فإذا سالك عنى أحد فقولي أنني معلمة في باريس وانت تذكرين أنى كنت أكون معلمة في باريس لولا أن وصل جوستاف . ألا ! لم يكن جوستاف ، وإنما كان لدوار . ثم تمضي في هذا الحديث السريع حتى تسأل اختها عن حالها ، فما أسرع ما تتبين أنها محزونة ! وما أسرع ما تفهم سبب هذا الحزن ، وما أسرع ما يظهر حبها لاختها وحماستها في الدفاع عنها . وبينما اختها تجذبها للخروج من

المكتبة اذ يقبل مدير المكتبة ، افما أسرع ما تعرف هذه المرأة انه هو الذى تحبه اختها ، فتأخذ فى لومه وتصنيفه وترغيبه عن باريس .

* * *

وإذا كان الفصل الثاني فنحن نراه جالسا الى المنضدة وفي يده القلم وصاحب الشیوخ يعلی عليه بدء منشور انتخابی . ولكن الرجل لا يکاد يقيم الجملة الأولى من المنشور ، فهو يترادد ويضطرب ويستأنف القول ثم يعيده ثم يستأنفه دون أن يستطيع التقدم . فيعرض عليه كاتبه أن يفعل كما فعل في المرة الماضية . فما أسرع ما يقبل مسرورا ، وإذا هو قد جلس الى المنضدة وأخذ القلم ونهض السکاتب فأخذ يمشي في الحجرة ممليا ، وإذا الكلام متصل مستقيم ، والجمل يتبع بعضها بعضا في غير تردد ولا اضطراب ، والشیوخ راض بتهجيج يعلن في سذاجة أنه لا يحسن الكتابة الا اذا جلس هو وأخذ القلم ومشي كاتبه وأمل .

وهما في ذلك وإذا امرأته قد أقبلت ، فإذا رأت ذلك دهشت وأخذها شيء من الضجر لم تحاول قط اخفاءه . ثم تأخذ في لوم زوجها على السياسة ودخوله فيها ، وتسأله عن حفلة راقصة يريدان اقامتها : تكون في الرابع عشر او الخامس عشر من الشهر ؟ فيتردد ثم يذكر أن بينه وبين الناخبين موعدا في هذين اليومين ولكنه لا يعرف أيهما ، ثم يلتمس كتاب الناخبين إليه فلا يجد فيذهب كاتبه لالتقائه . ولا يکاد يخلو إلى امرأته حتى تطلب إليه أن يقليل هذا الكاتب فيعاتبها لأنها تلقى هذا الشاب بفتور بعد أن كانت قد لقيته أول الأمر في شيء من الظرف واللطف . ولكنها تلح عليه فیأبى . ونفهم من حديثهما ومن الحاحها أن بينها وبين هذا الفتى حبا أو شيئا يشبه الحب ، وهي تريد إلا تصل إلى خيانة زوجها . ولكن الرجل سليم القلب لا يفكر إلا في السياسة والانتخاب ومجلس الشیوخ . فإذا أبى عليها وينسبت منه تركته وجاه الفتى ، وهذا باستثناف العمل ، ولكن معين الفتى في المكتبة قد جاء فتوكلها الشیوخ على أن يستأنفا العمل بعد حين . وما هي إلا أن يتحدث الفتى إلى مساعدته القديم حتى نفهم أنه قد رأى العينين السوداويين مرة أخرى : رأهما هناك في المكتبة في ذلك اليوم

المشهد يوم كانت المعلمة تنظر في الكتاب فجاءت أختها . هو إذا عاشق لا يخت هذه المعلمة ، وقد كان صادقا حين أعلن أنه لن يملك نفسه أن رأى عينيها مرة أخرى . وقد رأى عينيها بل جلس معها إلى مائدة المعلمة فقد الرشد أو كاد ، واستقال على كل حال وأقبل إلى باريس ولن يفارقها . وهو سيء الحظ ؛ فقد ذهب إلى دار هذه الفتاة واستأنف عليها فتركته يتضرر نحو الساعة ، ثم خرجت ومعها ثلاثة رجال فمررت به مسرعة وهي تقول : إذا لقيت أختي فبلغها تحبني . وهو سيء الحظ ؛ فقد التمس العمل فلم يظفر بشيء ، وذهب إلى « بلوك المخدم » وبينهما صلة ، فأبى هذا الرجل أن يلقاء . فلما ألح عليه أمره بالعودة إلى الأقليم . وصاحب الفتى يأمره بمثل هذا ، ويضرب له موعدا بعد ساعات ليطعما معا على أن يسأله هو بعد العشاء . أما هذا الرجل فيقبل الموعد ويقبل العشاء ولكنه يرفض السفر . وقد خرج وجاءت امرأة الشيخ ، فأتياه الفتى أن زوجها قد خرج يتروض ، وأنها تريد أن تتحدث إليه ، ثم أعلنت إليه نفي صراحة أنها قد طلبت إلى زوجها إقالته فرافض . وإذا فهى تطلب إليه أن يقبل نفسه لأنها تحب زوجها ، وتكره أن يعاشرهما ثالث . أما هو فيبعدها بالاستقالة والسفر ، ولكنه ينتهز هذه الفرصة لن يراها بعدها ليعلن إليها في صراحة أيضا أنه يحبها حبا لا حد له ، وأنه لو شاء لاظهر لها هذا الحب ، ولكنه أراد أن يكون رجلا شريفا فكتم حبه . فاما الآن وسيفارقها غرaca لا لقاء بعده غلا جناح عليه أن يعلن إليها هذا الحب . فإذا أرادت أن تأخذه بالصمت مضى في الحديث وأعلن إليها أنها شجعته على هذه الحب . أليست قد أعتمدت على يده مرة في الملعب وبقيت معتمدة عليها ما استمر التمثيل !! أليست قد التصقت به التصاقا مرة في العربية يوم عادا إلى البيت منفردتين !! فهو لم يكن رجلا شريفا لانتهز أحدي هاتين الفرحتين وأعلن إليها حبه ، ولكنه لم يفعل ، وهو اذ يفارقها لا يؤلمه الا أنها ليست وفية لزوجها . فإذا أخذت تنكر عليه ذلك أخذ يتهمها بأنها تحب فلانا وتداعب فلانا حتى تتحقق به ذرعا فتعلن إليه أنها لم تخن زوجها ، ولو لا حرصها على البقاء لزوجها لما طلبت إليه الرحيل ، ولكنها تعبه وتخشى أن أقام أن تقع في الأثم . فإذا سمع هذا فهو سعيد ، وهي أيضا سعيدة ، وهي لا تتوجه

في السفر بل تطلب اليه البقاء ولكنها قلقة . أما هو فجريء ! انظر اليه يسرع اليها يريد أن ياخذها بين ذراعيه ، ولكنها تخرج وتأتي عليه الا حبا بريئا ، ولا تسمع له الا بقبضة يعينها يضعها بين شعر رأسها لا يتبعاوز هذا الشعر . وانه لفى هذه القبلة اذ يحسان حركة غيفرقان ، واذا الزوج قد أقبل ، فتلقاءه متسمة ، وتعلن اليه أنها قرأت بعض منشورات الاتخابية فرضيت عنه . وهو يبتهج حين يراها مسرورة راضية . ولسته لم يقبل وحده بل أقبل ومعه أحد الناخبيين ، فهو يدعوه سكريبه ليتحدث مع هذا الناخب . وتخلو المرأة الى نفسها فتجلس مفكرة وفي يدها ورق كانها تتظر فيه . وبينما هي في ذلك اذ يقبل زوجها دون ان تحسه . فاذا نظر اليها جالسة هكذا راقته فسعي اليها في خفة ورشاقة حتى يضع شفتيه من شعرها حيث كان الآخر قد وضع شفتيه . أما هي فقد أحسست شفتيه في شعرها فلم تفكر الا في صاحبها ، واذا هي قتول له : فالنتين ! انت مجنون . . . ان زوجي يستطيع ان يأتي الآن . قدر انت وقع هذا الكلام في نفس الشيخ حين يسمعه .

* * *

فاذًا كان الفصل الثالث فنحن في مكتب المخدم « بلوك » ، وأنا أغريك من وصف هذا المخدم وأعماله وأعوانه . ولكننا نرى في مكتبه مساعد المكتبة الذي رأيناه في أول القصة ، وقد أقبل الآن يلتمس عملا ، والمخدم يأبى أن يلقاء ، حتى اذا ألح دفع اليه بعض النقد وصرفه وأخذ في عمله . وإذا « كلوتيلد » زوج الشيخ قد أقبلت تستاذن عليه فاذا أذن لها أنياته بأنها تلتمس شابا يقال له « فالنتين بريدو » وقد جاءت تستعين به على أن تلقاء وقد افتقدته منذ شهرين ، فيعدها خيرا ويطلب إليها صورته الفتografية . فتنصرف لتأتي بها ، ويأتي مكانها « فالنتين بريدو » نفسه يطلب عملا . فإذا سأله المخدم عما يحسن قال انه نال البكالوريا ، ولكن البكالوريا لا تفيد شيئا ! وان عند هذا المخدم من العمال والأعوان اشخاصا نالوا البكالوريا في العلوم والآداب ، ولكن باريس قد ضيقت بهم ، وانه ليعرف قوما معهم الليسانس في الحقوق وهم يقودون عربات

النقل ، ثم أخذ يبحث في دفاتره فلم يجد ما يعرضه على هذا الشاب إلا عمل خادم عند رجل يحزم الأُمْتعة ، فرأى الشاب . ولكن قد وقع من نفس المخدم وأعجبه ، فأخذ المخدم يعرض عليه العمل عنده ويطلب إليه أن يبيدها فغيَّبَت عن فتى يقال له « فالنتين بريدو » . فإذا سمع الفتى اسمه دهش وقال : غدا سأريك به آخر النهار . وقد تركه المخدم لبعض عمله وأقبلت « كلوتيلد » فالنتين وتحدى واطمأن كلاهما إلى صاحبه واستوثق كلاهما من حب صاحبه وكان بينهما الميعاد . ثم ينصرفان ويعود المخدم تبعه بوليت وأختها المعلمة . ونفهم أن هذه الفتاة قد ضاقت بحياة الأقاليم ذرعاً بعد أن شافر خطيبها إلى باريس ، فاعترضت أن ترك التعليم وأن تعيش في باريس . وأقبلت إلى اختها فلقيت عندها الشبان الأغنياء وأخذوا يعرضون عليها حياة اللهو فترفض ، وهي الآن تتمنس عملاً شريفاً . فاما العلوم التي تحسنها فالرياضية والتاريخ الطبيعي والرسم والموسيقى . ولكن هذا كلها لا يغتنى عنها شيئاً ، وكل ما يستطيع الرجل أن يعرض عليها إنما هو العمل في مطعم حغير ، فتردد ثم تقبل وتهمان بالانصراف . ولكن اختها قد القت في أذن المخدم أنها لا ترضي بهذه الحياة لأنها ، وأنها تعلم حق العلم أنها ما زالت تحب ذلك الفتى الذي عشقته هناك حيث كانت معلمة ، وأن هذا الفتى في باريس ، وأنها ت يريد منه أن يتمنس واسمها « فالنتين بريدو » . وتخرجان ، ويأتي جونيل يتمنس عنده هذا المخدم سكرتيراً . وانهما لفي الحديث إذ يهمس الخادم في أذن سيدته أن الفتى الذي استخدمه اليوم قد عاد يريد أن يخبره ببعض الأمر . وهنا يتتبه المخدم إلى أن هذا الفتى يستطيع أن يكون سكرتيراً لجونيل ، فيعلن إلى جونيل أنه قد ظفر له بما يريد ، ثم يأمر بدخول الفتى فإذا دخل ورآه جونيل أخذته ثورة وغضب وصاحت : هذا فالنتين بريدو ! هذا هو السكرتير الذي أقصيته ! ثم انصرف لا يلوى على شيء .

* * *

فإذا كان الفصل الرابع قنح في فلسق حغير أو كالحقير حيث يقيم « فالنتين بريدو » وقد قبل أن يعمل عند حازم الأُمْتعة ليعيش . وقد

اتصلت الرسائل بينه وبينه « كلوتيلد » وقد وعدته أن تزوره اليوم ، فهيا غرفته وزينها بالزهور ووضع فيها الوانا من المعلوي وخرج لبعض أمره . وأقبل جونيل ومعه المخدم يلتمسانه . ونفهم من حديثهما أن جونيل قد ظفر في الانتخاب وأصبح شيخا . وهو يشعر بأنه مدين بهذه الفوز لهذا الشاب الذي رشحه وأيده وأعانه حتى بلغ ما بلغ من الفوز . وهو رجل وغنى خير ي يريد أن يكافيء هذا الشاب على حسن بلائه عنده ، ولكن غياب الشاب قد طال ، فینصرف الشیخ على أن يعود . وقد أقبل الشاب بعد ذلك فيلقى مساعدته القديم قد ساءت حاله إلى حد منكر ، وقد عاد إلى فلسفته الأولى واعتزم العودة إلى الأقليم . ولكن صاحبه يشجعه على البقاء في باريس ، ويرى أن الحياة جهاد ، وأنه يجد لذة لا تعدلها لذة فيما يلقى من الألم في عمله الجديد وما يستلزم من حمل الائتمان . . . وأي عظمة الرجال لم يشق في أول حياته ! وهو كذلك إذا تقبل « بوليت » . فإذا خلت إليه لامته وأنباته لأن اختها قد تركت التعليم ، وأنها قد أقبلت إلى باريس ، وهي الآن تعمل في معمل حقير ، وهي واقعة في الأئم لا معالة إذا مضى في قطيعتها . فيذكى هنا الحديث في نفسه جنوة الحب القديم وكان نسيه ، قاما الآن وقد ذكره فقد ملاً هذا الحب قلبه فجأة ، وإذا هو يطلب إلى « بوليت » أن تشجع اختها وتدعوها إلى الصبر والاحتمال ، فما زال يحبها وما زال حريصا على أن يتخدلاها له زوجا . أما هي فقد عرفت أنه ما زال محبا ، واكتفت بذلك وانصرفت .

وتقبل « كلوتيلد » بمعادها ، وهي مضطربة مروعة ، فهي مقبلة على الأئم وخيانة زوجها ، وهي مقبلة في هذا الفندق العقير وفي هذا الحى الذي لا عهد لها به . وبينما هي في روعها وأضطرابها إذا صاحبها في اضطراب آخر ليس أقل من اضطرابها : فقد ذكر المعلم وحبها البرىء وزواجهما ، وتبين أنه لا يحب هذه المرأة ، وأنما هي فتنة عرضت له ثم انجلت غوايتها عنه قبل أن يتورط فيها . هو إذا على بصيرة من أمره ، والمرأة على بصيرة من أمرها أيضا . وانظر اليهما لا يكادان يبتداان الحديث حتى تقع بينهما الخصومة : عرض بزوجها فغضبت له وأخذت تحمله وتنوّد عنه وتغادر

يفوزه في الانتخاب . وما هي إلا أن يحسا جميعاً أن ليس بينهما حب ، وأنما هي فتنة قد خدمتهما ؟ فإذا فلبيت صافحاً وليفترقاً صديقين لا شر بينهما ولا أثم ولا ريبة . وهما يفعلان وهي تنصرف ، وإذا المعلمة قد أقبلت مبتاهجة ، ولكنها لم تكاد تدخل الغرفة وترى هذه المرأة منصرفه منها حتى عاودها اليأس . كانت اختها قد أتبأتها أن الفتى ما زال لها محباً ، فاسرعت إليه مستعدة للتضحية والجهاد معها . ولكنها ما كادت تصل حتى رأت امرأة تخرج من عنده ورأت طاقات الزهر والروح العلوى . . . فهى ساخطة تأثر قمزدرية لنفسها تضحك وت بكى في وقت واحد ، وهو يستعطفها ويترضاها وييسط لها الأمر على جليته فتصدقه أو تكاد تصدقه . وهما في هذا الحديث إذ يقبل «جونيـل» فيصافح الفتى ويعلن إليه أنه قد فاز ، وأنه مدین له بهذا الفوز ، وأنه قد جاء يعرب له عن حسن بلائه ويدفع إليه ورقة هي كتاب تعينه ماموراً لأحد المراكز . يقع هذا في سرعة ، ولكن لا يخلب الأنفـى ولا يطير بلـبه ، وأنما يتقبل الفتى هذا كلـهـ هـادـهـ ويقول لاـحدـيـ جـارـاتـهـ : بعد قليل سـاكـونـ مدـيرـاـ ثم عـضـواـ مـكـانـهـ غـيـرـ مجلـسـ الشـيوـخـ .

الخزيان

قصة تمنية لطفلة الفرسني

حصى بيلا



ليس هذا العنوان مشوها ولا خلابا ، وربما
كان منفرا ثقيلا على السمع . ومع ذلك فلست
أعترف عنوان قصة تمثيلية أشد من هذه القصة
صدقها وأكثر منها تأثيرا في النفس ، وأبرع
منها في تصوير لون من الوان الحياة القائمة
المحزنة التي نراها ، فلا يحسن ظننا بالانسان
ولا فيما انتهى اليه من حضارة ورقى .
نعم ! نحن بازاء قصة جيدة ..

وأنا أصفها بهذا الوصف من غير تحفظ ولا احتياط ، لأنها خلقة
به حقا . هي جيدة من كل وجه ، جيدة في موضوعها لأنها من هذه
الموضوعات التي نشهد لها في كل يوم وفي كل مكان على اختلاف ظروف
الحياة وأجيال الناس ، نشهد لها فتنكره أشد الانكار وتحزن له أعمق
الحزن ، ونسخط عليه أشد السخط ، حتى لقد أصبح ذلك شيئا شائعا
مستقرا عنيت به الديانات ومذاهب الاخلاق . وأي الناس يجهل
سخط الديانات والاخلاق وعرف أخيار الناس على هؤلاء الذين يأكلون
أموال اليتامي وينعمون بشقاء البائسين ، ويستغلون ضعف الصغير
ليتخنوا منه لأنفسهم قوة وبأسا . القصة جيدة في معناها وأسلوبها
أيضا . فانا زعيم لك ان قرأتها الا بعد فيها اسراها ولا قصورا ، ولا
تجاوزا لحدود الفن ، ولا نبوا عن السهولة والبساطة
الذين يلامان طبع الطبقات الوسطى من الناس . أنا
زعيم لك بأنك ستقرئها فلا بعد فيها عنفا ولا شدة ، ولا
عنادا قليلة او كثيرة بالتأثير في نفسك والاستشارة لعواطفك ، ومع ذلك
ستثور لأن القصة طبيعية بريئة من التكلف . ولست أعرف شيئا
أبلغ في اثاره العاطفة والتاثير في النفس من الطبيعة الصادقة يمثلها
الكاتب او الشاعر تمثيلا صادقا . والقصة جيدة في لفظها ، فقد
تقرؤها على طولها دون أن بعد فيها لفظا غريبا ، بل دون أن تحس فيها
أن الكاتب قد تخير الفاظه او تائق فيها ، وإنما هو كلام يجري مجرى

الطبع ويسير مسیر الاحداث العادیة بین اوساط الناس ، دون ان يكون فيه مع ذلك فساد او ضعف او اضطراب .

القصة كلها طبیعیة ، وهي طبیعیة من اى نحو قصدت اليها . ومن هنا قلت - وما زلت اقول - انك لن تستطيع ان تقاومها ولا ان تعصی نفسك من التأثر لها . وأحسب أنك لن تستطيع ان تقرأ الفصل الثالث والرابع منها محتفظا بهم وسكونك ودموعك . نعم ! أعرف بأنني من أشد الناس مقاومة البراعة الكتاب والشاعر والممثلين . وهذه المقاومة نفسها هي التي تمكنتى من النقد وتيسرت على الحكم اذا قرات قصة او شهدتها . ولكنى على شدة مقاومتى هذه احتجت أمس الى ان آخذ نفسي بشيء من العنف ، وأنا أقرأ هذه القصة لا أحتفظ بهذه الابتسامة التي تعودت أن اسمع معها كل اثر فنى . ولبيت أريمه ان أطيل في المقدمات ، فلا هجوم بك على القصة نفسها ، وأنا واثق كل الثقة بأنني لن استطيع ان اؤثر في نفسك تأثير القصة نفسها ، لأنني لم أوفق مهما أبذل من جهد لان تكون في هذا التلخيص من السذاجة والسهولة بحيث كان الكاتب نفسه حين وضع قصته .

ما أجدز هذه القصة أن تقرأ ! وما أجدرها أن تترجم ! وما أجدرها أن تعرض على الناس في ملاعب التمثيل العربي ! . . . فكان الكاتب لم يضعها لفرنسا ، وإنما وضعها لمصر . ولم لا تكون صادقين فنقول انه وضعها للعالم كله ! وأى بلد يخلو من أولئك الذين يأكلون أموال اليتامي ظلما فيما يأكلون في بطونهم نارا ويستعلون لأن يصلوا يوم القيمة سعيرا .

* * *

نحن في باريس في بيت تظهر عليه آثار النعمة . قد رفع الستار ، فإذا نحن نرى أسرة مجتمعة ، لا نكاد نراها ونسمع لها حتى نشعر بأنها أسرة سعيدة محبطة ، قد ألف الحب بين قلوبها فاطمأنت الى يومها وابتسمت لغدتها . نرى شيئا قد استلقى يستريح بعد الغداء

وفي يده صحفة ينظر فيها والنوم يغاليه ، وهذا الشيخ هو « فينرون » زعيم الأسرة . ونرى امرأة ليست بالشابة ، ولكنها ليست بالشيخة أيضاً . ونرى فتاة قد جلست الى البيانو ، وهي « جوديت » أكبر شباب هذه الأسرة ، وفتاة أخرى قد جلست قريباً من أبيها الى بعض هذه الأعمال اليدوية التي يعني بها النساء ، وهي « ماري » الثانية من شباب هذه الأسرة . ونرى فتاة ثالثة لا تبلغ العشرين ، قد جلست الى مائدة تكتب ، وهي « بلانش » الثالثة من شباب هذه الأسرة ، ونسمع ذكر غلام سنراه بعد حين يسمى « جاستون » وهو آخر أبناء هذه الأسرة . انظر الى الفتاة مبتسمة تكتب . وليس يشك من رآها في أنها معنية بأمر ذي بال ، وكيف لا ! ليست تكتب أسماء الذين سيتناولون العشاء على مائدة أبيها مساء هذا اليوم وتعنى بترقيتهم في مجالسهم ملاحظة في هذا الترتيب أقدارهم وأعمارهم ؟ ثم ليست بطلة هذا العشاء ، فهو أنها يقدم الى الناس احتفالاً بخطبتها واتمهيداً لقرانها وقد أنهضت أنها فأخذت تناقشها في أماكنهم ، وتذكر كل واحد منهم ثم تعقب بحكم له أو عليه . وقد أفاق الشيخ من غفوته ، فسمع ابنته تذكر ساقطة اسم أحد المدعين ، وهو « تسبيه » ، فاظهر غضباً ولوما ، واندر ابنته بأنها ان عادت الى مثل هذا فسيحررها حضور المائدة وسيلغى زواجه . ذلك أن هذا الرجل الذي تكرهه هذه الفتاة هو مصدر نعمته وشريكه في عمله ، فيجب اكتباره والوفاء له . والأسرة مختلفة دائماً في هذا الموضوع اختلافاً شديداً ، فاما الشاب فيكره هذا الرجل كرهاً عنيقاً لأنه ثقيل النفس بفيس ، غليظ الحديث ، بخييل شديد الاثارة . واما الشيخ فلا ينظر الى شيء من هذا كله ، واما ينظر الى أن هنا كان مصدر ثروته ، وما هو فيه من نعيم . واما الأم فتتوسط بين الشيخ والشاب ، ولها يتخذها الشيخ حكماً كلما اختلف مع بناته في أمر هنا الرجل . يتخذها حكماً في كل يوم ، لأن هذا الحال فيتجدد في كل يوم . وهي تعده في كل يوم صيحة بعينها يحبها الشيخ ، فهو يستعين بها ، ويضحك منها الشاب ، فهو يستعين بها أيضاً . وهذه الصيحة تختصر تاريخ الأسرة التي كانت فقيرة معدمة ، ولكنها

شريفة عاملة ، حتى نفى هذا الرجل الغنى زعيمها ، فطلب اليه أن يدير عملا له ، فقبل ، ووفق في عمله ، فأصبح شريك رئيسه ، وأخذ يكون لنفسه ولو لده ثروة لا بأس بها . واذن فهو مدین لشريكه بالثروة ، ولكن شريكه مدین له بالنجاح . واذن فليس لاحد منها على صاحبه فضل .

كل هذا يعرض عليك تاريخ الأسرة وما بين أعضائها من حب وألفة ، وماستقبل به الحياة من سعادة قوية وأمل مبسم ، ولا سيما بعد ما لقيت من ضيق وعناء . ولكن شيئاً آخرين يجب أن تعلمها : الأول أن هذا الشيخ مريض تظهر عليه آثار علة خفية ، وهو يجاهد هذه العلة ويريد أن يمضى في عمله وفي تكوين ثروة ضخمة لبنيه ، فهو لا يكتفى بنصيبيه من المعمل وإنما يشتري أرضاً ويقيم عليها دوراً ، وكل هذا العمل يجهده ويضئيه . وأهله قلقون مشفقون . واسمع إلى ثانية بناته تلومه في رفق ولطف ، لأنه لا يعني بصحته فلا يستريح ، ولا يعرض نفسه على الطبيب

الثانية أن صغرى هؤلاء الفتيات قد خطبت وتمت خطبتها ، وهي سعيدة ، وأمها راضية ، ولكن الشيخ غير مطمئن لهذه الخطبة ولا مبتهج بهذا الزواج ، وهو لا يميل إلى صهره الشاب ولا إلى أمه الارملة الفقيرة ، ولكنه لا يستطيع أن يعلل هذا النفور . وهو الآن يريد أن ينصرف إلى عمله ، ولكنه يحب بناته ، ويحب زوجته ، ويحب حياة الأسرة هذه ، فهو يتزدد في الخروج ، ويدعو ابنته إلى أن توقع له ل هنا على البيانو فتفعل . وقد دخل الغلام ، فإذا الشيخ يلقاء بهذه اللهجة التي امتاز بها الآباء الفرنسيون ، لهجة التعنيف يملؤه العطف والحنان ، وإذا الرجل يمازح ابنه ويداعبه في حرية ورضا ، وإذا هو يضع في جيبه النقود وانكره الغلام ، وإذا هو يبيع له أن يلهمو كما يشاء على أن يكون شديداً الاختسام إذا دخل البيت حتى لا يظهر أخواته من سيرته على شيء ، وإذا هو يعرض نفسه على ابنه ليكون مشيره وناصحه فيما ي تعرض له من الصعب ، وإذا هو بعد ذلك قد استحال إلى الجد فهو

يعلن الى ابنته ان أمه هذه المهو سيكون قصيرا ، وانه سيسعدن به في اعماله الكثيرة . وانظر الى هذا الشخ قد جمع بناته وامرأته فقبلهن جميعا ثم مضى لعمله ، وأخذت الأم تأمر بناته ان يتهيأن للعشاء ، ويتحذن زينتهن لاستقبال المدعون فخرجن ، ولكنها تدعو صغرى بناتها فتزجرها في لطف وتنذرها في حنان لأنها تسرف بعض الاسراف في مداعبة خطيبها وتجاوز حدود الليلة ، وأمها لا تسمع بهذا ولا ترضاه . ولا تكاد تخلو هذه الأم الى نفسها حتى يستأذن عليها الخادم لزيارة فتاذه ، وتدخل هذه الزيارة وهي « مدام دي سان جنيس » أم الخطيب ، قد أقبلت ولا يأت ميعاد العشاء ، وهي تعذر ثم تأخذ في الحديث ، فما أسرع ما نفهم نفسيتها ، وما أسرع مانبغضها ونسخط عليها ، وما أسرع ما يزداد حينا لهذه الأسرة الطاهرة الوادعة البريئة . ولا تكاد هذه الزيارة تتحدث حتى تشعر بأنها امرأة مادية غالبة في الطمع لا تتردد في الطرق التي توصلها إلى الثروة . قد عرفت الناس فساء ظنها بهم واشتد ازدراها لهم ، فهي تستغل نفائصهم لا أكثر ولا أقل . اسمع إليها تلوم صاحبة البيت لوما شديدا لأنها لا تتقرب من شريك زوجها ولا تتلطف له ، مع أن هذا الشريك متقدم في السن ضخم الثروة لا وارد له . أليس من الغير أن يتملق ويخدع لعله يوصي بثروته كلها ، أو بعضها لهذه الأسرة ؟ أما صاحبة البيت فتظهر نفورا شديدا من هذه الطمع والخداع ، ثم تقول لزائرتها أنها لا تستطيع أن تسلك مثل هذه الطرق ، ومع ذلك فأنت حرية في سلوكها بعد زواج ابنينا ! لعل هذا الشيخ يختص الأسرة الجديدة بعطافه ومودته وميراثه .

وقد دخل الخادم فاستأذن لعلم الموسيقى ، فيدخل وتنصرف المرأة وتاتي كبرى الفتيات ، فلا تكاد تحدث الى استاذها حتى نعلم أنها موسيقية لها حظ من البراعة ، فهي تضع الألحان الموسيقية ، وقد وضعنا تودع به اختها العروس ، وحتى نحس أن استاذها يعجب بها ويتملقها وكأنه يريدها أن يداعبها . ولكن صاحبة البيت وزائرتها وسائر أعضاء الأسرة قد أقبلوا ، وأخذ المدعوون يقبلون واحدا

حتى اكتمل عددهم ، وهم يتتحدثون في لهو ولعب وبهجة ، ولكن الخادم قد دخل وهو يهمس في أذن سيدته ، ثم يتبعه رجل آخر فدخل وطلب إلى السيدة أن تتحدى بناتها فتفعل ، وإذا هذا الرجل هو الطبيب قد أقبل يعلن إليها أن زوجها أصابته السكتة فمات ، وهذه جثته تحمل ..

* * *

فإذا كان الفصل الثاني فتحن في البيت نفسه ، وقد مضى شهر أو نحو شهر على هذا الحادث . وكل شيء في هذا البيت يدل على الحزن والأسى . ونحن نرى صاحبة البيت لا تستطيع أن تكف دموعها ، وهي تتحدث إلى زائرتها « مدام دي سان جينيس » فتشكو وتلعن في البكاء ، وهذه الزائرة تتكلّف تعزيتها وتسليتها تتكلّفا ، فهي لم تأت لهذا ، وإنما أقبلت لشيء آخر . أقبلت لتعرف الحال المادية لهذه الأسرة بعد أن فقدت زعيمها ، وهي تتصحّص صاحبة البيت أن لا تشق شريك زوجها ولا بمحامي ولا بمهندس . فترتاب المرأة لهذا كلّه ، ولا تفهم مصدرها لهذه النصيحة الغريبة ، ذلك لأنّها امرأة طيبة القلب شريفة ، ترى أن الناس جميعاً مثلها أخيار أطهار . ولكن زائرتها لا تذهب لهذا المذهب ولا ترى هذا الرأي ، وهي تلعن عليها في أن تكون سيدة الظلن بالناس جميعاً ، وتذكر لها أنها إنما تلعن عليها في هذا مخلصة ناصحة ، فهي امرأة ، ومن الحق عليها أن تعين امرأة مثلها . وهي لا تلتمس نفسها من هذا النصح ، فقد يظهر أن زواج ابنتهما لن يتم ، وذلك لأنّ هذا الزواج كان مشروطاً بشروط مالية لم يصبح تحقيقها يسيراً ، وهي لا تستطيع أن تعرض مستقبلاً ابنها للخطر والضيق . فلا ترى صاحبة البيت جواباً إلا أن تقول لها : كما تعيين . وقد خرجت هذه الزائرة ، ودخلت « تسبيه » شريك زوجها ، فإذا هي تلقاه بمثل ما لقيت به زائرتها الأولى من الجزع والبكاء ، ثم يتعدّثان في أمر الميراث . وهنا يظهر بعض ما خبات الأيام من البوس لهذه الأسرة التي كانت سعيدة مغبطة . كانت هذه الأسرة تقدر أنها غنية حسنة الشروة ، ولم يخطر لها بعد أن مات زعيمها أنها ستلقي عنتا أو شدة . ولكن هذه المرأة لا تكاد تتحدث إلى شريك زوجها حتى تسمع نكرها من الأمر ، وحتى تقدر شراً كثيراً : أليس هذا

الرجل ينبعها بـأن ميراث زوجها ليس شيئاً يذكر ، وبـأنه ترك ديوناً تكاد تستغرق الثروة وبـأنه مضطر إلى بيع المعلم ، وبـأنه ينصح لها أن تبيع الأرض ، وبـأن صفة ما سببـي لـهـذه الأسرة من الثروة لا يكاد يبلغ خمسين ألف فرنك ! سمعـتـ المرأةـ هـذاـ فـصـعـقتـ لـهـ وأـصـابـهاـ شـيءـ منـ الـوجـومـ أـخـرـجـهاـ عـنـ طـورـهاـ ،ـ فـاـذـاـ هـىـ تـنـهـرـ الرـجـلـ وـتـرـكـهـ مـزـدـرـيـةـ سـاخـطـةـ ،ـ وـالـرـجـلـ مـفـضـبـ وـلـكـنـ شـرـيرـ ،ـ فـهـوـ يـتـحـدـثـ إـلـىـ نـفـسـهـ ،ـ بـمـاـ نـفـهـ مـنـهـ أـنـهـ قـدـ دـبـرـ العـبـثـ بـهـؤـلـاءـ الـيـتـامـيـ وـاغـتـيـالـ هـذـهـ الثـرـوـةـ ،ـ وـقـدـ تـمـ آـلـاتـفاـقـ عـلـىـ ذـلـكـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ الـمحـامـيـ ،ـ وـلـكـنـ لـاـ يـخـلـوـ إـلـىـ نـفـسـهـ طـوـيـلاـ ،ـ فـقـدـ جـاءـتـ «ـمـارـىـ»ـ وـهـىـ الـفـتـاةـ الثـانـيـةـ مـنـ فـتـيـاتـ هـذـهـ الأـسـرـةـ ،ـ وـأـخـذـتـ تـهـدـئـهـ وـتـرـضـاهـ وـتـعـتـذـرـ عـنـ أـمـهـاـ وـتـوـسـلـ إـلـىـ هـذـهـ الـرـجـلـ طـوـيـلاـ ،ـ فـيـنـ يـضـطـرـهـ إـلـىـ حـزـنـهـ مـنـ الضـجـجـ وـضـيقـ الصـدرـ .ـ وـقـدـ وـجـدـتـ هـذـهـ الـفـتـاةـ سـبـيلاـ إـلـىـ قـلـبـ هـذـاـ الـوـحـشـ ،ـ فـهـوـ يـرـقـ لـهـ وـيـظـهـرـ الـمـيلـ إـلـىـ هـيـاـ ،ـ وـقـدـ اـسـتـطـاعـتـ أـنـ تـظـفـرـ مـنـهـ بـالـعـفـوـ عـنـ أـمـهـاـ ،ـ وـأـنـ تـبـعـثـ إـلـىـ حـيـثـ هـىـ لـيـزـولـ مـاـبـيـنـهـاـ مـنـ خـلـافـ فـيـجـيـبـهـاـ إـلـىـ ذـلـكـ ،ـ وـقـدـ اـشـتـدـ اـعـجـابـهـ بـهـاـ وـمـيـلـهـ إـلـىـ هـيـاـ .ـ وـلـاـ تـكـادـ الـفـتـاةـ تـخـلـوـ إـلـىـ نـفـسـهـاـ حـتـىـ تـدـخـلـ عـلـيـهـاـ أـخـتـهاـ الصـغـرـىـ ،ـ فـتـتـحـدـثـانـ ،ـ وـاـذـاـ جـزـعـهـمـاـ عـظـيمـ ،ـ وـلـكـنـ الصـغـرـىـ لـاـ تـخـلـوـ مـنـ عـزـاءـ فـهـىـ تـفـكـرـ فـيـ زـوـاجـهـاـ ،ـ وـهـىـ تـنـتـظـرـ هـذـاـ الزـوـاجـ ،ـ فـاـذـاـ عـرـضـتـ أـخـتـهاـ بـأـنـ هـذـاـ الزـوـاجـ قـدـ يـكـوـنـ عـسـيـراـ ظـهـرـتـ الـفـتـاةـ إـيمـانـاـ بـالـمـسـتـقـبـلـ وـتـقـةـ بـخـطـيبـهـاـ ،ـ ثـمـ ظـهـرـتـ حـرـصـهـاـ عـلـىـ هـذـاـ الزـوـاجـ فـيـ الـفـاظـ لـاـ تـفـهـمـهـاـ أـخـتـهاـ لـاـنـهـاـ بـرـيـئةـ طـاهـرـةـ ،ـ أـمـاـ نـحـنـ فـقـدـ فـهـمـنـاـهاـ حـقـ الـفـهـمـ ،ـ وـعـرـفـنـاـ أـنـ هـذـيـنـ الـخـطـيـبـيـنـ قـدـ تـجـاـوزـاـ الـحدـودـ فـيـ صـلـتـهـمـ ،ـ وـأـنـ الزـوـاجـ قـدـ أـصـبـحـ أـمـرـاـ مـحـتـوـمـاـ .ـ وـقـدـ أـقـبـلـ الـمـحـامـيـ ثـمـ أـقـبـلـتـ الـأـمـ وـشـرـيكـ زـوـجـهـاـ ،ـ وـأـخـذـ الرـجـلـانـ يـقـنـعـانـ الـرـجـلـ بـيـعـ المـعـلـ وـبـيـعـ الـأـرـضـ أـيـضاـ .ـ وـالـرـجـلـ تـقاـومـ وـتـمـانـعـ ،ـ وـلـكـنـ الرـجـلـيـنـ أـقـوىـ مـنـهـاـ حـجـةـ وـأـشـدـ هـنـهاـ مـهـارـةـ ،ـ وـهـمـاـ يـمـثـلـانـ لـهـاـ مـيرـاثـ زـوـجـهـاـ عـبـثـاـ مـشـقـلـاـ بـالـدـيـونـ .ـ وـدـخـلـ الـمـهـنـدـسـ فـارـادـ أـنـ يـدـافـعـ عـنـ الـرـجـلـ وـعـرـضـ طـرـيقـةـ تـضـمـنـ لـهـاـ الثـرـوـةـ .ـ وـلـكـنـ الرـجـلـيـنـ حـاـوـرـاهـ حـتـىـ كـانـ بـيـنـهـمـ خـصـامـ

عنيف ، وانصرفوا جميعا وقد تركوا المرأة وبناتها يضطربن بين يأس منكر وتردد شديد . . .

فإذا خلا النسوة إلى أنفسهن تشاورن في الأمر ، ولكنهن ضعاف لا يفهمن تدبير الثروة ولا يعرفن مواجهة الصعب . وهن مختلفات يقلبن الأمر ظهراً لبطن ، وإذا الخادم يحمل اليهن كتاباً يقرأها ، فإذا كلها تطالب بهن ، وإذا هن واجمات ينظرون بعضهن إلى بعض دون أن يستطيعن الكلام

* * *

فإذا كان الفصل الثالث فتحن في البيت نفسه وقد مضت أسباب علی ما مر في الفصل الماضي ، ونحن نرى أم الخطيب تتحدث إلى الخادم ، فنفهم من حديثها أنها أقبلت لترى خطيبة ابنتها ولكنها مستنصرة لأن هؤلاء السيدات لسن وحدهن وإنما يتغدى معهن « تسبيحه » . فإذا اصرفت وأقبل السيدات وأقبل معهن الرجل وتحدثوا عرفنا أن الصلات حسنة بين هذا الرجل وهؤلاء النساء وأنه يكثر التردد عليهن دون أن تقدم أمور الميراث ، فهو في الوقت نفسه يميل إلى الفتاة ولكنه يريد أن يغتال التركمة : هو رجل عملي يريد أن يظفر بالمال واللذة في غير مشقة ولا خسارة ، وهن محتاجات إلى المال وقد أثقل الدائنوون عليهن وبالغوا في الاحياء ، وهن لا يجهرون أن يطلبن إلى هذا الرجل معونة أو قرضاً ، وهن يشعرن بأن هذا الرجل يحب أحداهن فيكلفن هذه الفتاة أن تطلب إليه هذا القرض فتفعل بعد جهد ، ويقبل الرجل طلبها هذا متبرماً بها كارها له . وينصرف ليأتى بهذا المقدار من المال فالنساء فرحات مطمئنات ، ولكن المحامي قد أقبل وهو يحمل أنباء سيئة ويلوح في بيع الأرض لأن الدائنين الراهنين يلحون في استيفاء ديونهم ويريدون الاستيلاء على دهونهم . ومهما تحاول الأم فلن تجد مخرجاً من هذا الضيق الا التسليم ، والمحامي يذكرها بفقرها و حاجتها إلى المال ، فإذا ذكرت لها أنها قد اقترضت من شريكها لامها وأنها أنها أنه يستطيع أن يفرضها ماتشأ حتى تتم تصفيه الميراث إذا كانت قروضها معتدلة . وقد عاد « تسبيحه » بالمال وخلا إلى الفتاة فدفعه إليها وأخذ يداعبها

مداعبة الشيخ البخيل الحريص ، والفتاة جاهلة ، فلما فهمت ، أخذت تدافعه عن نفسها ، وإذا هو يعرض عليها صفة منكرة وإذا الفتاة مغضبة أبية ترد إليه ماله وتطرده طرداً عنيفاً . ولكن في هذا الفصل موقفاً هو من أشد مواقف القصة تأثيراً ، وهو هذا الموقف بين الخطيبة وأم خطيبها . كانت هذه الخطيبة مؤمنة بصاحبها واتقنة به معتمدة عليه وكانت تعلم أن أمه تمانع في هذا الزواج ولا تشک في أن الفتى سينتصر على أمه . وقد أقيمت هذه الام و إذا هي تتصح للفتاة أن تعدل عن هذا الزواج وتحذرها الفقر والفاقة وما ينشأ عنها من سوء العشرة بين الزوجين ، والفتاة تذكر حبها وتعتز به وتذكر الثقة بخطيبها وتلح فيها حتى يشتد الخصم بيتهما ، فإذا الفتاة عنيفة مرة ، رقيقة مرة أخرى ، تعجز وتبكي ثم تنذر وتوعد ، ثم يأخذها الغضب فتعلن إلى المرأة ما كان بيتهما وبين الفتى ولكن المرأة لا ترق ولا تلين وإنما تبئثها بأن ابنها انصرف عن حبه وأذعن لأمه ، وتنصرف وقد تركت الفتاة في ذهول ما أسرع ما استحال إلى جنون وأهلها يحيطون بها يرددن أن يحملنها إلى السرير .

* * *

فإذا كان الفصل الرابع فقد تم كل شيء ، وظفر الشريك والمحامي بما كانوا يريدان من اغتيال ثروة هؤلاء اليتامى . واضطربت هذه الأرملة وبناتها إلى أن يتركن بيتهن بالفخم ويأوين إلى بيت متواضع عليه مظاهر البوس والفقر ، وقد اتصل الغلام بالجيش ، وجنت الخطيبة جنونا متقطعاً ، وأخذت المرأة تعيش مع ابنتهما الرشيدتين عيشة ضيق لا بد من أن تنتهي إلى الاعدام . وكبرى بناتها تلتمس عملاً لتكسب منه حياتها وحياة أمها وأختها ، تريد أن تعطى دروساً في الموسيقى ، فلا تلبث أن تعلم أن هذا مستحيل لأنها إن كانت شريفة أكبرها الناس دون أن يستأجروها ، وإن كانت لعوايا استأجرها الناس ولم يكروها . تريد أن تتصل بملعب من ملاعب الموسيقى ، فيظهر لها أن هذا مستحيل إلا أن تنزل عن عفتها وكرامتها ، وهي حائرة محزونة ، تتحدث إلى أختها د ماري هوليس أختها أقل حيرة ولا حزناً منها ، فهي أيضاً تريد أن تعمل ، وقد التمسـت الـوانـا من العمل فلم تـوقـق لـشـيءـ الاـ أنـ تـعرـضـ

عفتها وكرامتها للخطر ..

ما أشقي الحياة على المرأة الوحيدة ؟! على أن في التجو شيئاً يدعو إلى الأمل ، ولكنـه ثقيل بغيض لا يطاق : هذا الشريك الذي مازال بهؤلاء اليتامى حتى ابتز ثروتهن واضطـرـهن إلى هذه «الحياة المنكـرة» ، هذا الشريك كلف الفتـاة ي يريد أن يتـخذـها له زوجاً . ألم يـظـهـرـ حـبـهـ لهاـ وأعـجـابـهـ بـهـاـ فـيـ غـيرـ مـوـقـفـ ؟ وـلـكـنـهـ شـيـخـ وـهـوـ دـمـيمـ ، وـهـوـ ثـقـيلـ بـغـيـضـ إـلـىـ النـفـسـ ، وـالـفـتـاةـ لـاـ تـكـرـهـهـ بـلـ تـعـافـهـ ، فـمـاـذـاـ تـصـنـعـ ؟ أـتـرـفـضـ هـذـاـ الزـوـاجـ ؟ وـاـذـاـ فـهـوـ الـفـقـرـ وـالـاعـدـامـ وـمـاـ يـتـبعـهـاـ مـنـ أـلـمـ . وـمـاـ تـصـنـعـ بـأـمـهـاـ ؟ أـتـكـلـفـهـاـ الـعـلـمـ لـتـعـيـشـ ؟ وـمـاـذـاـ تـصـنـعـ بـأـخـتـهـاـ الـمـرـيـضـةـ وـقـدـ تـزـوـجـ خـطـيبـهـاـ ؟ أـتـضـيـفـ إـلـىـ حـزـنـهـاـ وـمـرـضـهـاـ أـلـمـ الـجـوعـ ، أـمـ تـقـبـلـ هـذـاـ الزـوـاجـ وـاـذـاـ فـهـيـ الـحـيـاةـ الـمـنـكـرـةـ مـعـ رـجـلـ تـعـافـهـ ؟ وـاـذـاـ فـهـوـ أـلـمـ الـمـرـأـةـ الـتـىـ تـبـيـعـ نـفـسـهـاـ لـتـعـيـشـ ؟ وـاـذـاـ فـهـوـ أـلـمـ الـمـرـأـةـ الـنـبـيـلـةـ الـفـقـيرـةـ حـينـ تـسـمـعـ النـاسـ يـتـحـدـثـونـ بـأـنـهـاـ اـنـهـاـ اـقـرـنـتـ بـهـذـاـ الشـيـخـ طـلـمـعـاـ فـيـ ثـرـوـتـهـ .. الـفـتـاةـ تـضـطـرـ بـيـنـ هـذـهـ الـخـواـطـرـ ؟ وـلـكـنـ اـنـظـرـ إـلـىـ هـذـهـ الـأـسـرـةـ كـلـهـاـ قـدـ اـجـتـمـعـتـ إـلـىـ مـائـةـ حـقـيرـةـ تـتـنـاـولـ طـعـامـاـ غـلـيـظـاـ فـيـ صـمـتـ وـخـشـوـعـ وـادـعـانـ لـلـقـضـاءـ .
ماـذـاـ تـصـنـعـ الـفـتـاةـ ؟

أـتـقـبـلـ هـذـاـ الزـوـاجـ فـتـرـفـهـ عـلـىـ هـؤـلـاءـ الـنـسـوـةـ التـعـسـاتـ ، أـمـ تـرـفـضـهـ فـتـرـضـ نـفـسـهـاـ وـأـهـلـهـاـ لـذـلـةـ الـفـقـرـ وـمـاـ يـتـبـعـهـاـ ؟

دخل المحامي وهو يلح على الفتـاةـ أـنـ تـقـبـلـ ، وـهـوـ يـرـغـبـهـاـ ، وـهـوـ يـكـشـفـ لـهـاـ أـسـتـارـ الـمـسـتـقـبـلـ عـنـ النـعـيمـ أـنـ قـبـلتـ وـعـنـ الـجـحـيمـ أـنـ أـبـتـ ، وـهـوـ يـذـكـرـ أـمـهـاـ الشـيـخـةـ ، وـأـخـتـهـاـ الـمـرـيـضـةـ ، وـالـأـمـ تـأـبـىـ وـتـلـجـ عـلـىـ الـفـتـاةـ أـنـ تـرـفـضـ .. وـلـكـنـ المحـامـيـ قدـ ذـكـرـ التـضـحـيـةـ ، وـذـكـرـ أـنـ أـبـاـهـاـ الشـيـخـ قدـ مـاتـ لـتـنـعـمـ أـسـرـتـهـ ، أـلـيـسـ فـيـ هـذـهـ الـأـسـرـةـ مـنـ يـأـلـمـ لـتـسـعـدـ هـذـهـ الـأـسـرـةـ ؟ بـلـ ! أـنـ فـيـهـاـ هـذـهـ الـفـتـاةـ فـهـىـ تـقـبـلـ الزـوـاجـ .. وـلـأـنـظـرـ إـلـىـ هـذـاـ الشـيـخـ الـنـعـيمـ الـبـخـيلـ الـهـرـمـ قدـ أـقـبـلـ فـرـحـاـ يـقـبـلـ فـرـحـاـ كـمـ كـانـ الـهـ الفـيـنـقـيـنـ يـلـتـهـمـ ضـحـايـاهـ الـبـرـيـشـةـ وـالـفـتـاةـ مـبـتـسـمـةـ مـنـعـنـةـ !

أـلـيـسـ مـنـ الـحـقـ أـنـ هـذـهـ الرـجـلـ وـأـمـالـهـ هـمـ الـغـرـبـانـ يـتـبـعـونـ الـموـتـىـ فـلـاـ يـدـعـونـ مـنـ آـثـارـهـمـ شـيـئـاـ صـالـحـاـ لـاـ أـتـواـ عـلـيـهـ ! ..

كتابنا القادم

الله يخوب

يحتلم
شحود البرى

الدفوناد

قصة متحركة للكاتب الفرنسي

شارل موي



ولولا أنني خشيت الاغراب أو الفموض لوضعته لهذه القصة عنوانا غير هذا هو التسويل ، فهذه الكلمة تترجم العنوان الفرنسي ترجمة دقيقة حرفيّة . ولكنني أقرأ في قاموس الفيروزابادي : سوئت له نفسه : زينت ، وسول له الشيطان : أغواه . فليكن عنوان القصة الأغواه ، ول يكن هنا الأغواه قد صلو عن النفس أو عن الشيطان ، فالامر سواء . وما أحسب الا أن لكل نفس من أخلاقها وأهوائها وعواطفها شياطين يغونها ويدفعونها إلى الشر ، وملائكة يرشدنها ويحبون إليها الخير . ولقد كنت حين بدأت أقرأ هذه القصة أعتقد أنني سأحمد لها لك في غير تحفظ ، وسائلى عليها في غير حيطة ، ولكنني لم أكمل أمضي في قراءتها حتى حسبت أن الكاتب لم يصل بعد من فنه إلى هذه المنزلة التي يحمد فيها دون تحفظ وإنما هو في سبيله إلى هذه المنزلة .

أنت تعرف هذا الكاتب ، فقد حدثتك عنه يوم تلخصت لك قصته المعروفة « الأمير جان » ولعلك تذكر أنني أشرت في مقدمة هذا التلخيص إلى أن عنایة كاتبنا هذا منصرفة إلى الحركة والعمل أكثر من انصرافها إلى الرأى والتفكير ، فهو يريد أن يؤثر في النظارة بمؤثرات خارجية تصل إلى نفوسهم من طريق الحس ، لا بهذه المؤثرات الداخلية التي تنشأ في طيات النفس وأعماق الضمير . أريد أنه يكلف الممثلين ضربا من الحركة واللونا من الاضطراب ، وينقل الملعب من مكان إلى مكان ، ويكثر من الأشخاص ومن أحاديثهم وينوع أخلاقهم وصفاتهم ، ويفاجئ النظارة بما لم يكونوا ينتظرون ، فيملك حسهم ويبهرهم ، ويصل من هذا كله إلى ما يريد من تلهيهم وتسليتهم دون أن يصل إلى شعورهم العميق . هو متصل بهم وبهذه الكلمات التي تمكن الإنسان من أن يلهم لهؤا هادئا لا يثير في نفسه حزنا ولا يبعث في قلبه أسى . هو يضمن للنظارة أن ينفقوا في الملعب ساعات حلوة لا يشكون فيها مللا ولا ساما ، ولا يفكرون أثناءها في أنفسهم ولا فيما قضوا يومهم فيه من خير أو شر ، ولكنه يضمن لهم اذا خرجوا

نعن بازاته اليوم يشبهه « هنري باتاي » من حيث انه يبعث بالنظارة ويستأنر بحسهم ويلهمهم كما يريد دون أن يتبع لهم من الوقت ما يمكنهم من الانارة والتفكير وكشف القناع عن حيله وألاعيبه الفنية . هو سرعان يعودون وراء النظارة حتى تكاد تنقطع أنفاسهم . وهو بارع في هذا العدو ، يلهي نظارته فلا يحسون ألمًا ولا تعبا ، ويصرفهم عن أنفسهم إلى فنه . ولكن الفرق عظيم جداً بينه وبين « هنري باتاي » ، فلم يكن هنري باتاي لاعباً ليس غير ، وإنما كان شيئاً آخر . سواء أرضيت الأخلاق والفلسفة عن تمثيل هنري باتاي أم سخطت عليه ، كانت قصصه كلها أو أكثرها تعجذب علمية نفسية . ذلك أنه لم يكن يبعث بالحس وحده ، وإنما كان يبعث بالعواطف والشعور أيضاً ، ولم يكن يريد أن يلهم ولا أن يلهي ليس غير ، وإنما كان يريد شيئاً آخر . كان يريد أن يثير الحس والعاطفة ما استطاع ليعرف أقصى ما يمكن أن ينتهي إليه . ومن هنا لا تستطيع أن تخرج من الملعب هادئاً مطمئناً كما دخلته ، وإنما أنت متاثر شديداً التأثر بما رأيت وسمعت . ينقضي الليل وربما انقضى اليوم أو الأيام دون أن ينقضي هذا التأثر . ذلك شيء تجده في « هنري باتاي » ، ولكنك لن تجده في كاتبنا هذا . وإذا فليس الشبه بينه وبين صاحبه قوياً ولا عميقاً ، وإنما هو شبه عرضي أن صبح هذا التعبير .

وقد يكون من الخير أن أبدأ في تلخيص هذه القصة ، ولكن الفتى قبل كل شيء إلى أن هذا التلخيص سيكون موجزاً ، لأنني لن أتابع الكاتب في حركته واضطرابه ، فقد تكون متابعة الكاتب فيها لذينة في الملعب دون التلخيص .

* * *

نعن في ضواحي مدينة جنيف ، في فندق هناك من فنادق الترف ، وقد أقبل المساء أو كاد ، وأخذ الناس يجلسون في طنف الفندق يتناولون الشاي وما إليه مما يتناول في المساء . ونحن نرى في ناحية من هذا الطنف رجلين قد جلسوا إلى مائدة يتحدثان ، ونرى قريباً منها

ويبدل من الأخذان والخليلات كما يبدل ثيابه ، ولكنها مع ذلك وفيه أمنية لأنها تكبر نفسها عن الحيانة ، وتظن بجسمها أن يكون متعة لرجلين ، وتأتي عليها كرامتها أن تختلس لذتها وسعادتها اختلاسا .
هذا شأنها .

أما صاحبها فما زال يحبها ، ولكن هذا الحب لم يكلفه رهبة ولا نسقا ، فهو يستمتع بالحياة ويأخذ الأخذان والخليلات لينصرف اليهن عن همه وعن حزنه ، ولكنه الآن قد لقيها فامتلاط بها نفسه وانصرف أو كاد ينصرف عن خليلة له كان قد أطال عشرتها . فلندع هذين العاشقين في حديثهما ، ولنعد إلى الرجلين اللذين تركناهما آنفا لنرى فيما يتعدثان في شيء طبيعي جدا ، وهو أن الشاب رأى هذه المرأة فوّقعت من نفسه ، فهو يذكرها ، ويقع في ذكرها وتفصيل جمالها ، ويسأل عن مكانتها الاجتماعية ، وصاحبها يؤيد له أنها فتاة من هؤلاء الفتيات اللاتي يختلفن إلى الفنادق والأندية يلتمسن الأخلاص ، وقد رأى كل صاحبها بها ، فهو يهون عليه الأمر ويعلن إليه أنه سيقدمه إليها . وهما في هذا الحديث وإذا المرأة وحدها ، لأن صاحبها قد تركها كانه مغضب ، فينهض الرجل إليها فيحييها كما تحييا الفتيات اللاتي لا كرامة لهن ، ويعرض عليها صاحبها الشاب ، ويذكر لها ثروته وأخلاقه ومكانته ، كل ذلك في غير حيطة ولا تحفظ . والمرأة تسمع هذا كله ضاحكة مفرقة في الضحك ، ثم تقبل أن يقدم إليها الشاب اضطرابا شديدا ، فلم يزدّها اضطرابه إلا ضحكا . وهم في هذا الضحك ، وإذا جماعة قد أقبلوا عليهم فيهم زوج المرأة ، فتقصد المرأة زوجها إلى هذين الرجلين اللذين أدركهما خجل شديد ، ثم تعلن إليهم أنها رأت هذين الرجلين في باريس وتتحدثت لـهما ، ولكنهما نسياهما ، أما هي فلم تنسهما . ولست أحدثك عن خجل هذين الرجلين وما تبعه من حركات مضحكه لا يتسع هذا الفصل لمثل هذه الأشياء التي تلمس في الملعب دون التلخيص كما قلت . بل كنت أحدثك عن حركات

هؤلاء الناس جميعا ، فهم في اضطراب متصل يتنقلون من مكان الى مكان ، ويدخلون الى الفندق ويخرجون منه . وأنا أنتهز فرصة خلت فيها المرأة التي صديقها روبيز فهما يتعدثان بما قدمت لك من حب . وهو يلح عليها في أن تسمع له ، وهي تأبى عليه اباء شديدا ، ثم تقسم له أنها لن تكون لغيره . فاذا استوضحها أبيباته بأنها اذا برأت ذمتها من زوجها فلن تتزوج الا ايام . والفتى ساخط على هذا الوعد الذي لا يقدم ولا يؤخر ، فقد ذكر لها الطلاق فرفضته رفضا شديدا ، لأن أبويهما يكرهان الطلاق ، وذكر لها الخيانة فرفضتها رفضا شديدا لأنها نذرى الخيانة . واذا قلم يبق الا أن ينتظرا قضاء الله ، وما أسرع ما يتم هذا القضاء ! .

أقبل القوم جميعا وأخذوا في أحاديثهم المتصلة المختلفة ، وأذا زوج « ايりين » يطلب الى صديقها روبيز أن يعيره سيارته ليهبط المدينة لأن له فيها حاجة معجلة ، ونفهم نحن من الحوار بين الرجلين أن الزوج إنما يهبط المدينة ليلقى خليلة له ، وهو إنما يستعير سيارة صاحبه ليترك سيارته لامرأته إن أرادت أن تخرج ، وهو شديد الحرص على أن يكون وحده ، ولكن روبيز يأبى الا أن يرافقه لأن وحده يحسن قيادة سيارته ، وقد اتفقا آخر الأمر على أن يهبطا المدينة معا ، ولم يبق عندنا ولا عند « ايريين » وصديقتها شك في أن الزوج ذاهب الى موعد منكر .

وقد خرج الرجالان وبقيت الجماعة في أحاديثها المتصلة ، وأخذت في اللوان من اللعب لاتفاق الوقت ، ومضت على ذلك لحظات ، وأذا خادم من الفندق قد أقبل فدعا احد الرجال وخلا اليه ، وأقبل هذا الرجل فدعا الآخرين بعضهم الى بعض وأخذوا يتحدثون ، والنساء لاهيات عنهم باللعب ، و « ايريين » خاصة منصرفه عنهم انصرافا تاما ، لأنها معصوبة العينين تتلمس رفيقاتها بيديها وتريد أن تدل عليهن دون أن تراهن . ولكن حديث الرجال قد طال ووصلت أطراف منه الى النساء ، فالتفتن ثم أقبلن ، ثم ظهر الامر منكرًا وأزيل الغطاء عن « ايريين » ، فما كادت ترى وتسمع حتى أغمى عليها ، ذلك أن زوجها قد خرج في السيارة مع صاحبه ، حتى اذا كانا في بعض الطريق نزل صاحبه من السيارة ليتحدث

إلى رجل ، فانتهز الزوج هذه الفرصة وطار بالسيارة ، لأنَّه يريد أن يكون وحيداً في موعده ، وأخذ صاحبِه يعود وراءه يستوقفه ولكنه أسرف في السرعة ، وإذا هو أمام هوة لم يحسن اتقاعدها فتردى فيها وهو الآن يحمل إلى الفندق .

كان هذا كلَّه في جنيف وقد مضت عليه سنة أو أكثر من سنة ، ونحن الآن في مدينة « كان » في جنوب فرنسا ، في قصر فخم لاحد الذين حضروا ما قدمت في الفصل الأول واسمُه « دى بوشان » وقد دعا هذا الرجل أصدقاء ليقيموا عنده أياماً وفيهم « اييرين » وصاحبها روبيـر . وفيهم « موريس برونو » وصاحبها « لوثار » . ونحن نرى صاحبِ القصر يتحدث إلى امرأته وأبنته وهم يتظرون أصحابِهم ليذهبوا إلى اللعب . وقد فهمنا من حديثهم أنَّ الرجل وامرأته يريدان أن يزوجا ابنتهما من موريس ، وهما يلحان عليها في أن تترضاه وأن تتحبب إليه ، وهي تفعل ما تستطيع ، ولكن الفتى منصرف عنها إلى هذه الأرملة « اييرين » ، والفتى يعلم أنَّ هذه الأرملة لا تحبه ، وإنما تحب « روبيـر » ، وهو يعلم أنها قبلت خطبته وأنها ستلتقطْن به بعد أشهر ، ولكنه مع ذلك يحبها ويصرُّفه حبه عن هذه الفتاة . وقد أقبل القوم جميعاً وهموا بالذهاب إلى اللعب ، ولكن روبيـر قد تعلل بأنه مصروع ، وأنه يؤثر منظر البحر وجمال الطبيعة على اللعب ، فسيبقى إذا ، وإذا فستبقى « اييرين » حتى لا تتركه وحده ! ولم لا ! أليسا خطيبين ! أليس من حقهما أن يخلوا إلى جمال البحر والطبيعة في ضوء القمر ، وأن يذكرا جبهما . وهما الآن وحدهما ، وهما يذكران جبهما وآمالهما . ولكن شيئاً جديداً قد طرأ ، ذلك أنَّ « روبيـر » قد تغير تغيراً غريباً ، فهو يحب صاحبته ، ولكنه يتقيها ويكره يفر منها ، وهو شديد الاضطراب ولا سيما إذا تحدث إليها . وهي تحس هذا كلَّه ، ولكنها لا تفهمه . وانتظر اليهما الآن يتحدثان في الحب حتى يغريهما الحديث بالقبل فيضمها إليه ، وإذا هي قد لانت له وضعفت ، ولكنه ينصرف عنها في نفور وتعرج . فإذا غاظتها ذلك ذكر لها أنه لا يريد أن يتزوج خليعة ، وإنما يريد أن تظل صلاتهما عفيفة ظاهرة إلى يوم الزواج . ولكن هذا لا يرضيها ، ولها الحق ،

لصاحبها بالقتل ، وقد اشتد الأمر بين العاشقين وكاد العاشق يعترف بكل شيء ، ولكنه أمسك ثم فر ، وإذا صاحبته تصريح مستفيضة تدعوه « موريس » فيقبل ، وإذا هي قد أغنى عليها .

* * *

فإذا كان الفصل الثالث فنحن في مدينة « بيارتز » في أحد فنادقها الكبرى ، وقد مضت أشهر على ما قدمت لك ، ونحن نرى « لوثار » قد أقبل ، ونفهم أن صديقه « موريس » قد وصل إلى الفندق أمس ومعه زوجه « ايرين » ، ذلك أن « ايرين » حينما استغاثت بموريس أقبل إليها وما زال بها حتى رد إليها رسدها فدعته إلى أن يحميها وطلبت إليه أن يتزوجهما وأن يسرع في الزواج فتزوجها . وهما الآن يطوفان في الأرض ، وقد أقبلوا إلى « بيارتز » بعد أن زارا بلادا مختلفة وجاء « لوثار » للقاءهما ، وهو لا يليث أن يلقى صاحبه وأن يتحدثا . فنفهم من حديثهما أنه ليس سعيدا لأن امرأته ليست سعيدة ، وهو لا يشك في أنها وفيه أمينة تجتهد في أن تجده وتخلص له ، ولكن شيئا يصرفها عن هذا ، وهي تخفيه عليه ، وقد أقسمت له أنها لم تسفع لخطيبها الأول ولم تخن زوجها الأول ، ولكنها مع ذلك تخفي عليه شيئا ، ويجب أن يكون هذا الشيء فيما فقد أنحلها وأضناها حتى أصبحت حياتها معرضة للخطر . وهو يحبها ، ويريد أن ينقذها من هذا الخطر ، وينزل في ذلك ما يستطيع . وهذه « ايرين » قد أقبلت وهي شاحبة نحيفة محزونة يريد « لوثار » أن يضحكها فلا يصل إلى شيء ، وقد أقبلت صديقتها تعرض عليها أن تذهب معها إلى حيث الشاي والرقص ، فتظهر الرضا ، ولكن هذه الصديقة غابت عنها حينا ثم تعود ، وإذا هي منصرفه عن الشاي منصرفه عن الرقص ، تعرض على صاحبتها البقاء حيث هما ، ثم تسر إلى « لوثار » أنها رأت في قاعة الشاي « روبي » وترى أن يعلم ذلك « موريس » ، ولكن موريس قد ذهب لبعض شأنه ، وإذا « روبي » قد دخل ، فرأته « ايرين » فاضطررت اصطراها شديدة وأخذها دوار يشبه الأغماء ، ودعى زوجها فأقبل ، وما يزال بها حتى يرد إليها قوتها

وند عرف كل شيء ، فهو يلعن على أمراته في أن تنيئه بجليمة الأمر ، فإذا أبىت عليه اتهماها وأنذرها بأن يلقى روبيز ويسأله وهو مستعد للمبارزة . هنا تكذب « إيرين » وتنهم نفسها بأنها قد كانت خليفة « روبيز » ، وتلعن على زوجها في أن يتتجنب هذا اللقاء وفي أن يترك مدينة « بيارتز » . ولكن زوجها يأبى ، وقد تركته ليستريح ، فلا يكاد يخلو إلى نفسه حتى يرى غلاماً يسرع إلى غرفة امراته ، وكان يخفي كتاباً ، فيعرض له ويأخذ منه الكتاب قهراً ، فإذا الكتاب موجه إلى امراته وهو لا يريد أن يقرأ هذا الكتاب ولكنه يريد أن يعلم ما فيه . وقد أقبل « روبيز » فتحدى الرجل وآذن له روبيز في قراءة الكتاب ، فإذا هو كتاب بريء لا اثم فيه وإنما هو تحية واعتذار . وقد أخذ الرجل يختصمان ، وأخذ العنف يشتد بينهما ، لأن أحدهما يحب ويغار والآخر يحب ويحقد . ولكن « إيرين » قد أقبلت ، فما تزال بالرجلين حتى يهدأ ، وقد أعلن زوجها إلى صاحبه أنه يعرف ما كان بينهما من صلة ، فيقسم الرجل بيطلان هذه التهمة ، وتعترف « إيرين » بأنها كذبت على نفسها لأنها لم ترد أن تفضي سر صاحبها ، فهي مقتنعة بأن صاحبها قد قتل زوجها ، وهنا يظهر سر القصة . فالرجل لم يقتل زوج « إيرين » ولكنه تركه يموت . رأه وقد تردي في « الهوة » وسمعه يصيح ويستغيث وكان يستطيع أن ينقذه لو أراد ، ولكنه تمثل « إيرين » حرة بعد موته هذا الرجل ، وتمثل قسمها له وتمثل اقترانه بها ، كل ذلك في لحظة قصيرة جداً ، فأباطئاً عن الرجل حتى سقط رهات . وآذن فهو لم يقتله ولكنه تركه يقتل . وهو يحس في نفسه منذ ذلك اليوم عذاباً شديداً ، وهو يرى نفسه آثما مجرماً ، وهو لهذا كان لا يستطيع أن يدنو من « إيرين » ولا أن يجد السعادة في اقترانه بها لأنَّه كان يتمثل دائمًا هذا القتيل بينهما . وهو قد انصرف عن محاكم العتايات لأنَّه لا يستطيع أن يدافع عن المجرمين وهو مجرم ، وهو قد انصرف عن العمل كلَّه لأنَّه مفرق النفس بين الحب واللوع ، وهو قد أقبل يرى صاحبته للمرة الأخيرة ، وهو يقمني السعادة للزوجين ويسألهما الرثاء له . أما هي فمعنة في الانتحاب ، ولما زوجها فيصافح هذا الشقي البائس قبل أن

ينصرف ، وهو يسأل امرأته ويريد منها الجواب في صراحة وخلاص :
ماذا كنت تصنعين لو انه اعترف لك بهذا كله قبل زواجنا ، أكنت
تزوجينه ؟ فتجيبت : نعم ! لأنّه لم يقتل ولاّني أحبه .

* * *

فإذا كان الفصل الرابع - وكانت أود ألا يكون - فنحن في ضاحية من
ضواحي باريس ، في قصر فخم يسكنه « موريس » هو امرأته ، وقد
انصرف عن مائدة الغداء ومعهما « لوثار » وصديقة لها وهم يتحدثون
وقد فهمنا من حديثهم أن « ايرين » ما زالت محزونة كثيّة ، وإن
« موريس » ما زال محتملا جسادا في العناية بها ، وإن تمنى أن ترافق
ولها يصرفها عن حزنها وأساحتها . ولكن لتنجح فقد انصرف القوم
جميعا وبقيت « ايرين » وحدها ، فتجلس إلى « البيانو » وتعبث بأصابعها ،
وإذا الخادم قد أقبلت تنبئها بأن زائرا يريد أن يراها ، فتختفي لأنّها
عرفت من هو ، ثم تاذن ، فيدخل « روبيير » وإذا رجل سيفي الحال جدا
لا تكاد تراه حتى تصدق ما سمعنا من أنه قد انصرف إلى اللهو ، فهو
يقضي الليل في العانات ، وهو يلعن على أحمر « والكوكاين » ، وقد أقبل
اليوم يعلن إلى صاحبته أنه سيترك فرنسا إلى مكان بعيد يبعد فيه عملا
مشمرا ومسليا . وهو يعلم أنها تحبه ، وأنها لا تحب زوجها الثاني كما
أنها لم تحب زوجها الأول . وهو يعرض عليها السعادة ولكنه
يريد أن تكون حسرا ، يعرض عليها أن تسافر معه ،
ويذكرها حبهما وقسمها ، وأنه وإن يكن أسوء فقد احتمل من الآلام
والندم ما يكفر عن سيئته . وقد أثر فيها تأثيرا قويا ، وقد كاد يغلبها
على أمرها ، ولكنه يريد أن تكون حرة فيما تعتزم ، فسينصرف وسينتظر
في الشارع دون النافذة . فإذا فكرت وقررت أن تلحق به فلتتخذ
معطفها وقلنسوتها ولتهبّط إليه ، وإذا اعتزمت أن تبقى ولا تراه
فلتضم الأستار إلى النافذة ، فسيرى هو هذا وسيصرف إلى حيث
لا تراه . قال هذا ومضى وتركها مضطربة أشد الاضطراب . ولكن
زوجها قد أقبل ، ذلك لأنّه بينما كان خارجا من القصر رأى « روبيير »

شهر الرايـم .. يـقول



لا ترىـك زـهرـةـنـهـيـزـ وـعـهـاـعـنـخـاطـهـ ..
لا تـرـىـك زـهرـةـنـهـيـزـ أـبـدـالـهـ مـفـلـاتـ الزـارـ ..
لا تـرـىـك زـهرـةـنـهـيـزـ فـيـالـرـيـ عـلـىـالـتـلـيفـوـنـ ..
لا تـرـىـك زـهرـةـنـهـيـزـ حـسـبـيـزـ دـرـسـفـالـهـ عـمـهاـ ..

اعـرـفـ السـبـبـ

في تحـفـةـ هـمـرـ الـرـايـمـ الـجـدـيدـةـ

اعـرـفـ اـلـأـيـارـ زـوـعـةـ
حـالـيـ =

بـيـنـاـ الـكـوـرـسـالـ بـالـقـاهـرـهـ وـقـرـيـالـ بـالـسـكـنـيـهـ
وـالـخـرـمـ بـيـرـ سـعـيـدـ وـأـمـيرـ بـطـنـطاـ وـالـمـولـهـ الـبـهـرـهـ بـالـمـودـهـ

رـجـعـصـارـ زـهـرـةـ الـرـايـمـ لـمـشـروعـ مـعـونـتـ الشـادـ .ـ وـالـغـلـمـ تـحـتـ عـلـىـهـ
سيـارـهـ الـبـكـيـاسـيـ هـيـنـ الشـافـعـيـ خـرـيـالـشـورـ وـسـيـرـفـ سـيـارـهـ الـخـفـلـهـ

مُهَاجِر

قصة تعبيرية : المكاتب المدرسی

بول نیکو



أنا أحدهما فالحب بالحالة الكبيرة لو أن في
كتابتنا العربية حلة كبيرة . الحب الذي يكون من
نفسين نفسها واحدة ومن قلبين قلبا واحدا ، وينتهي
في كثير من الأحيان إلى الزواج . وأما الآخر
لهذا الحب الفطري الذي يصل قلب الأم لابنتها
ويشغل من قلب الابن في بعض الأحيان حيزا
ليس بالضيق ولا بالفضيل .

والقصة صراع بين هذين الحبين أو قل إن شئت بين مصدر هذين
الحبين : هي صراع بين الأم والزوج أو بين الأمومة والزوجية ، والرجل
موضوع هذا الصراع . فانت ترى أن ليس في القصة شيء جديد ،
فموضوعها مألوف منه استقر في الحياة الاجتماعية على اختلاف البيئات
والاجناس نظام الأسرة . وأى الناس لم يحس أنه موضوع النزاع بين
أمه وأمراته ، نزاع يقوى ويضعف باختلاف الظروف التي تحيط بالأسرة
والصلات التي تصل بين أعضائها . فليس من الغريب في شيء أن
 تستقبل هذه القصة استقبالا فاترا لأنها لم تأت بشيء جديد ، ولأن الأدب
على اختلاف أنواعها والوانها وعصورها قد قال في هذا الموضوع كل ما يمكن
أن يقال . ثم هو قد اتصل بحياة الناس حتى أصبح شيئا مبتدا لا تجري
به الألسنة وتسير به الأمثال ويالم الناس له في حياتهم الخاصة ويضحكون
منه إذا آجتمع بعضهم إلى بعض .

ليس غريبا أن تستقبل القصة في فتور ، ولكن الغريب أن يقدم الكاتب
على مثل هذا الموضوع برغم شيوعه وابتداه في نفسه الشجاعة على
اختياره والتقدم به إلى ملعب من ملاعب التمثيل ، وأشد من هذا غرابة
أن يوفق إلى الاتقان وارضاه النظارة وحمل النقاد على أن يعترفوا له
بالجادحة في شيء من التحفظ قليل .

والواقع أن هذه القصة حين مثلت لأول مرة أمام هذه الطائفة الضيقة
المختارة التي تحضر التجارب في الملعب لم تشر أبداً ولعلها أثارت شيئا آخر

يناقض الاعجاب ، ولكنها لم تكن ت تعرض على جمهور النظارة الذين يختلفون إلى الملاعب للهو لا للنقد حتى أعجبتهم واستأثرت بقلوبهم . والغريب أنها أعجبت النقاد أنفسهم في هذه المرة ، كأنهم تأثروا بجماعة النظارة حين رأواها راضية تضطرب بين ضروب الانفعالات المختلفة ، فاضطربوا هم أيضا وخرجوا يشترون بعد أن كانوا ساخطين .

ذلك لأن الجدة والابتكار على خطدهما وأثرهما العظيم في الآيات الفنية ليسا شرطين أساسيين للأجاده دائمًا . وربما كان في بعض الأوقات عقبة تحول دون الاعجاب والرضا .

ونحن نعرف كتاباً وشاعراً وممثلين وفنانين مختلفين لم يوفقاً إلى ارضاه الناس لأن آياتهم الفنية كانت من الطرافه والجدة بمنزلة لم تكن قد سمت إليها بعد عقول معاصرיהם ، ولم يكن بد من أن تمضي عشرات السنين ويتغير الجيل لظهور القيمة الفنية لهذه الآثار : والناس مستعدون للإعجاب بما أفوا والرضا عنه أكثر من استعدادهم للافتتان بها لم يألفوا ولا سيما إذا رأوا أنفسهم فيما يعرض عليهم من مظاهر الفن . ومن ذا الذي لا يعجب بصورة في المرأة ، ومن ذا الذي لا يرى لنفسه حين يرى آلامه تمثل بين بديه . وكذلك كانت الحال في هذه القصة .

رأى كثير من الرجال والنساء فيها أنفسهم ، فسخطت الأُمّا على الزوجات وحنقت الزوجات على الأُمهات ورثى الرجال لأنفسهم واتعظوا جميعاً وروعدوا جميعاً أنفسهم أن يلائموا بين حياتهم وبين ما خيل إليهم الكاتب أنه الحق أو العدل أو الحير .

والحق أن الكاتب قد استطاع أن يعرض لهذا الموضوع في شيء غير قليل من اللباقة والدقة وحسن النحو ، فيزيل منه طافحة من الظروف كان من شأنها أن تصرف الناس عنه وتزدهر فيه ، ويكتفى أن تلاحظ مثلاً أنه تخبر أشخاص قصته جميعاً من الأغنياء المترفين فالغنى العقبة الاقتصادية ولم يدع لضرورات الحياة المادية أثراً في هذه المرأة العنيفة التي أثارها بين الآباء والزوج ، ثم الغنى طافحة أخرى من الظروف تشبه هذا الطرف الاقتصادي ،

فلم يجعل الام متقدمة في السن حتى لا يكون اختلاف السن مصدراً من مصادر الشقاق بين المرأةين ، ولم يجعل بين هاتين المرأةين اختلافاً ظاهراً في الطبقة حتى لا يكون تفاوت المنزلة الاجتماعية مؤثراً فيما سيكون بينهما من صراع ، وإنما اجتهد في أن يكون الصراع معنوياً صرفاً يتصل بالقلوب والأنفس والعواطف أكثر مما يتصل بأى شيء آخر ، ثم وفق من ناحية أخرى فكان مصودراً دقيقاً بارعاً مسيطرًا على خياله لم يتكلف الاختراع ، وإنما تخير حوادثه بين هذه الأشياء البسيطة السهلة التي تجري بها حياة المترفين في كل يوم ، فلم يستطع أحد من الناظارة أن ينكر حادثة أو يرى وقوعها بعيداً وغير مألف .

وخلصلة أخرى أظهرت حظ الكاتب من الكفاية الفنية وهي أنه حصر أشخاصه في أقل عدد ممكن ، فهم أربعة لا يزيدون إلا إذا نظرنا إلى الخادم الذي تكلف الكاتب إيجاده ليكون صلة بين هؤلاء الأشخاص ليس غير .

وكان يخشى على الكاتب أن تضطرره قلة الأشخاص إلى أن يكون كثيراً لقول قليل الحركة فيقصد بذلك حواره ويُشقق وتأثر القصة كلها من هذا الفساد ، ولكنه استطاع على قلة الأشخاص أن يجعل حواره قصيراً خفيفاً سريعاً ما بقي عنده الأشخاص الأربع .

فلما كان الفصل الثالث وذهب أحد هؤلاء الأشخاص ظهرز أثر ذلك فطال الحوار وشقق بعض الشيء وأصبح أقرب إلى المناقشة الفلسفية منه إلى التمثيل الحى . وبهما يكن من شيء فإن في قراءة هذه القصة لذة عقلية وفنية لا يأس بها .

* * *

نحن في باريس في قصر تظاهر عليه آثار النعمة والترف ، فنخدم تعبيده حدائق واسعة كثيرة الأشجار أقرب إلى الغابة منها إلى الحديقة نادرة في مدينة عظيمة كباريس . ونحن إذا رفع الستار نرى خادماً يحاول أن ينظم طائفة من الآنية الدقيقة الغالية في حجرة الاستقبال ، فتدركه سيدته

« خليلان » وهي امرأة جميلة رائعة كنساء التمثيل جمعاً في مقتبل عمرها ، على وجهها نهرة الشباب والغبطة والسعادة لأنها حديثة عهد بالزواج ، قد عادت منذ أيام من سياحة طويلة مع زوجها في إيطاليا ومصر ، وهي تزير أن تنظم دارها الجديدة بحيث تلائم ميلها وذوقها الفنى الرقيق ، وهي تأمر الخادم بأن يصطعن الرفق فى مس هذه الآنية وتطلب إليه أن ينقلها فى رفق إلى الطابق العلوى ، وتعلن إليه أن هذه المجرة سيغير نظامها فيهم الداھط الذى يفصل بينها وبين حجرة أخرى لتصبح المجرتان حجرة واحدة حديثة التنسيق والنظام ، على أن ينقل هذا الأثاث القديم إلى غرفة أخرى في الطابق العلوى ، فيسمع الخادم هذا كله فى شيء من الدهش والانكار لأنّه يخدم فى هذا البيت منذ ثلاثين سنة وقد عهده كذلك وإنّه يعلم حق العلم أن أم سيده حرصة كل المرص على أن تحتفظ به كما هو .

ونفهم من هذا الحوار بين الخادم وسيدته أن أم الزوج غائبة عن باريس منذ تزوج ابنها ، وأن أبي الزوج قد مات منذ ثمان سنين وكان رحيمًا رفيقاً بابنه وأمراته ، فلما مات فرغت المرأة لابنها ووقفت عليه حياتها كلها وعرف لها ابنها ذلك فاحبها حبا لا يعدل له حب ، واتصلت بينهما صلة قوية زادها فورة وغرابة شباب الأم ونضريتها ، فكانا يخرجان للتروض والنزهة فلا يشك من يراهما في أنها زوجان أو خليلان . ونفهم من الحوار أيضاً أن هذه الأم متسلطة قوية السلطة والإرادة ، وتحس ضيق المرأة الشابة بكل ما تسمع ، ولكنها على كل حال تأمر الخادم أن يمضى في تنفيذ ما أمرت به في ظهر الطاعة ولكن في تناقل وابتلاء . ويأتي الزوج وهو « جورج شاتل »، فتتناقله أمراته لقاء حسنا ، لقاء العاشقة المفتونة التي لا يقل عشقها لزوجها عن هياكل زوجها بها ، فيكون بينهما حوار نفهم منه أنه مشوق إلى أمه ، ثم نفهم أن الزوجين النظام في هذا البيت ثم نفهم أنه مشوق إلى أمه ، ثم نفهم أن الزوجين سيخرجان إذا كان المسأله لتناول العشاء في مطعم من المطاعم الباريسية المشهورة

والزوج يعلن إلى أمراته أن سيكون معهما ثالث فتضيق بهذا حتى إذا ذكر لها اسمه رضيّت وأطمأنت ، وهذا الثالث هو « هنري فالان » صديقهها منذ

الطفولة وصديق زوجها متذمرين ، لم تره منذ تزوجت وهي شديدة الشوق الى أن ترأه لأن له ولابيه عندها يدا ، ولا أنها تضرر لهذا الشاب مودة طاهرة بريئة .

والزوجان في هذا الحديث وإذا رسالة برقية ينظر فيها الزوج فيبهج . فهي تعلن اليه قدم أمه اليوم وقد كانا ينتظرانها آخر الشهر ، وإذا فقد تغير برنامجهما فلن يخرجوا ولن يرتابا ، وسيتساءلان العشاء في البيت حتى لا يشقا على أمها .

و«هيلان» تقبل هذا في شيء من الأذعان والتبرم ، والرجل يغريها أو يكاد وهو يشنى على أمه ويذكر ظرفها ورقتها وحنوها .

وينصرف الزوجان كل لشأنه وقد أقبل الخادم فهو ينفذ كارها متباطنا أمر سيدته . وهو كذلك وإذا الأم قد أقبلت فيبهج الخادم بلقائها وتنكر هي ما ترى من تغيير نظام البيت ، ويشتد انكارها حين يتبئها الخادم بتفصيل هذا التغيير . ولكن ابنها يقبل فتلقاء راضية مبتهجة بلقائه ، وتکاد تنسى تغيير النظام ولكنها لا تلبث أن تذكره فتتحدث فيه إلى ابنها في شيء من الانكار تخفيه ولكنه يظهر ، وابنها مضطرب بينها وبين امراته لأنه يوافق امراته على التغيير وهو الآن يكاد يستعطف أمه ويعرض عليها إلا يتغير شيء .

ولكن أمه تظهر الرضا على أنه رضا يشبه السخطة ، والرجل يحدث أمه عن امراته هميشنى عليها ويذكر ظرفها ورقتها وحبها كما كان يشنى على أمه أمام امراته .

ثم يذهب ليدعو امراته فتقبل وتلتقي المرأةان في فتور ظاهر يضيق به الرجل ويبذل جهدا غير قليل في بازالته فيوفق وما يكاد .

ثم يترکھما معلناً أنه سیتتحدث مع صاحب سيارات في سيارة يريد أن يشتريها لامرأته ، فتفهم بعد ذلك من الحديث بين المرأتين أن «ھيلان» تحسن سوق السيارات وترید أن تكون لها سيارتها الخاصة لخروج بها في باريس ، والأم تذكر هذا وتدھش له ويشتد دھشها وانكارها حين تقص عليها هيلان أنها قضت ليلة أمس مع زوجها بعيدين عن باريس لأنهما خرجا للنزهة فضلاً وأضطرا إلى أن يقضيا الليل في فندق غير قدر ، وكانا سعيدين كل السعادة حتى انهما ليريدان أن يستأنفا هذا الضلال ، فتلاحظ الأم أن ابنها قد تغير وتغير في سرعة شديدة ، فهو يطمئن الآن إلى مثل هذا الفندق القذر وقد كان من قبل متربعاً مسرفاً في الترف .

ونلاحظ نحن أن هذا التغير لا يعجبها وأن المرب قد بدأ في حقيقة الأمر بين هاتين المرأتين : كلتاھما تعب هذا الرجل وترید أن تستائز به ، وكلتاھما تريده السعادة ولكن كما تتصورها هي ، ثم كلتاھما قوية الارادة ظاهرة الشخصية حریصة على أن تستائز بالسلطان .

وقد أقبل الخادم يستأذن للصديق «هنرى فالان» ، فإذا دخل وخلد إلى صديقه كأن بينهما حوارٌ بديع مضطرب مختلف تظہر فيه سعادة هيلان وحبها لزوجها وابتسامتها للحياة ويظهر فيه شقاء هنرى وأضطراب نفسه وانصرافه عن اللذة والأمل .

ونحس نحن أن هذا الشاب قد استكشف بعد زواج «ھيلان» أنه يحبها ورأى أن ليس إليها سبيل فهو يشقى بهذا الاستكشاف ، وهو على ذلك يحاول أن يخفى حبه وأن يحتفظ للزوجين بصداقية ظاهرة قرعى فيها كل المرمات ، ولكنه عاجز عن أن يضبط نفسه ويملك عاطفته ، وآية ذلك أنه يعتذر عن العشاء ويعجز عن أن يضرب موعداً آخر للقاء الزوجين .

* * *

فإذا كان الفصل الثاني فقد مضى نحو العام على ماحدثك به آنفاً ، وأخذت هذه الحوادث الضئيلة اليقيرة المحرجة على يسرها وضاللتها تكثر ويجتمع

بعضها الى بعض فتفسد جو البيت وتباعده بين المرأتين وتزيد حياة الرجل عسرا وحرجا .

ونحن نرى أول الفصل «هيلان»، في مكتب زوجها تنسل الزهر في آنية بد菊花ة صغيرة تضعها على المكتبة، وتنظر اليها من قریب ومن بعيد كأنها تريد أن ترى ما تحدثه من جمال في الغرفة كلها، وهي مفتبطة لا تملك أن تتحدث بغيرتها إلى الخادم فتشتت على هذه الآنية وعلى ذوقها الذي مكنتها من اختيارها، ولكن حماتها تقبل مسرعة متعبة فتأمر الخادم بأن يحمل إليها بعض المتعاع، ونماهى إلا أن يأتي الخادم بما أمرت به فتزيل الورق عن إناءين شخصيين من النحاس، فإذا سالتها هيلان إنياتها بأنها سمعت ابنها أمس يود لو وضع على مكتبه شيء يزيدهما فأسرع فاشترت هاتين الآنيتين، فتغتاظ هيلان لذلك وتقول أنها هي أيضا سمعت زوجها فاشترت هذه الآنية الصينية البدية .

وما هي إلا أن ينشأ التنافس الثقيل المؤلم بين هاتين المرأتين، كلتاهمَا ت يريد أن تكون هديتها أجمل من الأخرى . ويقبل الزوج على غرة فيحكم لأمه وهو لا يلوي، وإذا أمرته تسرع إلى آنيتها فتحطمها في ثورة وغضب ثم تندفع في بكاء لا حد له وتنصرف الأم سعيدة دهشة . ويخلو الرجل إلى امرأته فيريد أن يتراضيها ويحاول أن يتعرف الخبر فإذا عرفه ضحك من طفولة امرأته وأخذ يلطفها ويداعبها ولكنها تلقاه لقاء عنيفا، وما تزال به وبأمها ثائرة ملحة في أن ترك هذا البيت حتى يغضب زوجها ويفسد الأمر بيدهما، فإذاً مما يتراضيان باللوآن من العتب المر، وإذا هي تنذره وإذا هي توعده، ثم ينصرف عنها بعد حوار طويل يحسن أن يقرأ لما فيه من دقة في تصوير هذه العواطف التي تصل بين الرجل وامرأته والتي ما تزال بها صفات الأشياء حتى تغيرها وتكتدرها . ويعود إليها هادئا ولكن أمه تقبل فتحمل إليه كتابا ينظر فيه ثم يدفعه إلى امرأته فتبتهج له، وهو كتاب من لصمة صديقة لهذه الأسرة تدعوها إلى حفلة ستقييمها في أحدى الضواحي، فما أسرع ما تقبل هيلان الدعوة وتكتب بهذا القبول، ولكن الأم تعترض

يُلْعَنُ فِي مَكْرَهٍ عَلَى ابْنَهَا أَنْ يَذْهَبَ مَعَ امْرَأَتِهِ لَاْنَهَا مَتَّعَبَةُ الطَّبِيبِ يَأْمُرُهَا
الرَّاحَةُ وَيَحْضُرُ عَلَيْهَا تَكْلِفُ الْمُشْقَةِ ، فَإِذَا سَأَلَهَا ابْنَهَا عَمَّا تَشْكُوُ ذَكْرُتِ
لِهِ الْقَلْبُ فِي الْفَاظِ لَا تُلْبِثُ أَنْ تُخَيِّفَ الرَّجُلَ عَلَى أُمِّهِ ، وَإِذَا هُوَ يُلْعَنُ عَلَيْهَا
أَنْ تَسْتَرِيعَ وَبِرِيهِ أَنْ يَدْعُو الطَّبِيبَ فَتَابَى عَلَيْهِ وَتَنْصُرَ لِتَسْتَرِيعِ فِي
رَفْتِهَا . وَيَقْبِلُ الرَّجُلُ عَلَى امْرَأَتِهِ يَطْلُبُ إِلَيْهَا فِي رَفْقِ أَنْ تَعْدِلَ عَنْ قِيَوْلِ
هَذِهِ الدُّعَوَةِ لَاْنَ أُمِّهُ لَا تُسْتَطِعُ أَنْ تَرَاقِهِمَا وَهُوَ لَا يُرِيدُ أَنْ يَتَرَكَهَا وَحْدَهَا ،
يَنْورُ غَضَبَ بَهِيلَانَ وَتَمَرَّقَ كَتَابَهَا وَيَسْتَأْنِفُ الْحَوَارَ العَنِيفَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ
قَدْ فَسَدَ أَوْ كَادْ يَفْسَدُ بَيْنَهُمَا كُلُّ شَيْءٍ .

وَيَتَرَكُ الرَّزْوَجُ امْرَأَتَهُ مَغِيظَةً مَحْتَقَنَةً مَحْزُونَةً ، وَتَأْتَى الْآمُمُ ، فَإِذَا عَلِمَتْ أَنْ
الْزَّوْجَيْنِ لَنْ يَقْبِلَا الدُّعَوَةَ ابْتَهَجَتْ بِذَلِكَ وَأَغْتَبَطَتْ لَهُ ، أَلِيْسَتْ قَدْ
نَصَرَتْ ؟

وَهَذَا هُنْرَى يَقْبِلُ فِتْلَقَاهُ الْآمُمُ فِي ظَرْفٍ وَتَلَطْفٍ لَمْ يَتَعُودَاْهُمَا ، فَإِذَا
انْصَرَفَتْ وَخُلِّاَ إِلَى صَاحِبَتِهِ أَخْذَ يَظْهِرُ دَهْشَتَهُ لِهَذَا الظَّرْفَ غَيرَ الْمَأْلُوفِ
وَمَا يَرِدُ بِهِ بَهِيلَانَ حَتَّى تَظَهُرَ لَهُ مَا تَجِدُ مِنْ حَزْنٍ وَتَشْكُو لَهُ سُوءُ حَالِهَا ،
وَإِذَا هَذِهِ الشَّكْوَى تَشَجَّعَهُ عَلَى أَنْ يَظْهُرَ مَا كَانَ قَدْ أَضْمَرَ ، وَإِذَا هُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ
هَذِهِ الْمَرْأَةُ حَبَّهُ وَيُلْعَنُ فِي اعْلَانِهِ وَهُوَ تَدْفَعُهُ وَتَتَهَمِّهُ بِالْأَثْرَةِ وَالْجَبَنِ لَاْنَهُ
يَنْهَى فَرْصَةَ هَذَا الْحَزْنِ لِيَخُونَ صَدِيقَهُ وَيَسْتَغْلُ مَوْقِعَهُ كَمَا يَحْسَنُ أَنْ
يَسْتَغْلِهِ . وَمَا تَرِدُ بِهِ حَتَّى يَفْيِقَ وَإِذَا هُوَ يَشْكُو وَيَعْتَذِرُ وَيَسْتَعْطِفُ وَهُوَ
تَدْفَعُهُ رَأْيِيْةً لِهِ عَاطِفَةً عَلَيْهِ طَالِبَةً إِلَيْهِ أَنْ يَنْصُرَ فَيَفْعُلُ مَوْدَعًا بِالْفَاظِ فِيهَا
حُبُّ ، وَإِنَّهُ لِيَقُولُ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ مُنْصَرِفًا وَإِذَا الْآمُمُ تَدْخُلُ مِنْ بَابِ آخْرٍ فَتَسْمَعُ
مَا يَقُولُ وَتَرَاهَا بَهِيلَانَ وَتَعْرُفُ أَنَّهَا قَدْ سَمِعَتْ فَتَضْطَرُبُ وَتَسْتَعِنُ وَتَحَاوُلُ
أَنْ تَعْلَمَهَا عَلَى الْكَلَامِ فَلَا تَظْفَرُ بِشَيْءٍ وَهُوَ الْآنُ تَتَمَلِّقُهَا وَتَتَرَضَّهَا حَتَّى إِذَا
اسْتِيَأسَتْ مِنْهَا أَنْهَرَتْ مَحْزُونَةً مَرْوِعَةً .

وَيَقْبِلُ الرَّزْوَجُ فَيَتَحَدَّثُ إِلَى أُمِّهِ عَاتِبًا لَاْنَهُ يَرَاهَا سَالِمَةَ بِأَرْئَةٍ لَاَعْلَمُ بِهَا
فَيُنْكِرُ تَعْرِضُهَا مِنْذَ حِينَ ، وَيُرْثِي لِامْرَأَتِهِ وَيَعْلَمُ إِلَى أُمِّهِ أَنَّهُ قَدْ يَقْبِلُ رَأْيِيْ

امرأته ويتحذف معها بيته خاصا ، فتشعر الأم ولكنها ثورة لا تخلو من دهاء ومكر ، فهى تعلن الى ابنتها ان امرأته ان كانت ترحب فى هذا الاستقلال فهو ائمـا تـريـد ان تـخلصـ من رقـيبـ خـطـرـ ، ولا يـكـادـ الرـجـلـ يـسـمعـ هـذـهـ الكلـمةـ حتى يـأخذـهـ الشـكـ فـيـسـتـوـضـعـ فـتـائـيـ عـلـيـهـ ، فـيـلـحـ فـتـائـيـ عـلـيـهـ ، وـلـكـنـ اـبـاهـ المـعـرـضـ المـغـرـىـ ، وـاـذـاـ الغـيـرـةـ قـدـ أـخـذـتـ تـعـمـلـ عـمـلـهـاـ غـيـرـ نـفـسـهـ وـمـاـ يـزـالـ يـسـتـدـرـجـ اـمـاـ حـتـىـ قـذـكـ اـسـمـ هـنـرـىـ وـزـيـارـاتـهـ المـتـصـلـلـةـ فـتـشـتـدـ الغـيـرـةـ وـتـتـضـحـ التـهـمـةـ فـوـ نـفـسـهـ ، وـتـرـىـ اـمـهـ هـذـاـ كـلـهـ فـتـبـجـزـعـ لـهـ بـعـضـ الشـىـءـ لـاـنـهـاـ قـدـ وـصـلـتـ الـىـ ؟ـكـثـرـ مـاـ كـانـتـ تـرـيـدـ ، وـالـرـجـلـ ثـائـرـ يـطـلـبـ اـمـرـأـتـهـ اـذـاـ اـقـبـلـتـ لـمـ يـلـبـسـ اـنـ يـسـأـلـهـاـ عـنـ هـنـرـىـ وـاـنـ يـتـهـمـهـاـ بـالـرـيـبـةـ .

فـقـدـرـ اـنـتـ ثـورـةـ هـذـهـ اـمـرـأـةـ البرـيـشـةـ ، وـلـكـنـ قـدـرـ فـيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ ثـورـهـ زـوـجـهاـ حـينـ تـأـبـيـ آـنـ تـدـفـعـ عـنـ نـفـسـهـاـ . وـمـاـ يـزـالـ الـأـمـرـ يـشـتـدـ بـيـنـهـماـ حـتـىـ يـلـبـغـ أـقـصـاهـ وـاـذـاـهـوـ يـهـجـمـ عـلـىـ اـمـرـأـتـهـ كـانـهـ يـرـيدـ آـنـ يـضـرـبـهـاـ ، وـاـذـاـ هـىـ تـعلـنـ عـلـيـهـ فـيـ عـنـفـ آـنـ هـنـرـىـ خـلـيلـهـاـ وـاـنـهـاـ لـاحـقـةـ بـهـ وـتـنـصـرـفـ مـسـرـعـةـ فـيـتـبعـهـاـ ثـمـ لـاـيـدـرـكـهاـ فـيـعـودـ ، وـتـقـبـلـ اـمـهـ كـانـهـاـ تـرـيـدـ آـنـ تـعـزـيـهـ فـيـولـيـهـاـ ظـهـرـهـ صـامـتـاـ وـتـفـهـمـ آـنـ قـدـ كـانـ بـيـنـهـاـ وـبـيـنـ اـبـنـهـاـ مـاـ لـاـ سـبـيلـ الـىـ اـسـتـرـاـكـهـ .

* * *

فـاـذـاـ كـانـ الفـصـلـ الـثـالـثـ فـقـدـ مـضـىـ اـسـبـوعـانـ عـلـىـ ماـ حـدـثـتـكـ بـهـ وـنـعـنـ نـرـىـ الـأـمـ فـيـ حـيـرـةـ الـاسـتـقـبـالـ تـلـكـ مـسـتـلـقـيـةـ كـالـتـعـبـةـ وـالـخـادـمـ يـتـحدـثـ عـلـيـهـاـ ، فـنـفـهـمـ اـنـهـاـ مـرـيـضـةـ وـاـنـهـاـ تـخـفـىـ مـرـضـهـاـ عـلـىـ اـبـنـهـاـ ، وـنـفـهـمـ آـنـ اـبـنـهـاـ مـحـزـونـ حـزـنـاـ لـاـ حدـ لـهـ مـلـازـمـ لـمـكـتبـهـ لـاـيـكـادـ يـرـيمـهـ مـؤـثرـ لـلـوـحـدـةـ وـالـصـمـتـ ، بـعـيـدـ كـلـ الـبـعـدـ عـنـ اـمـهـ يـعـيـشـ مـعـهـاـ وـكـانـهـ لـاـ يـرـاـهـاـ ، وـقـدـ اـخـذـ الخـادـمـ يـشـفـقـ عـلـيـهـ ، وـآـيـةـ ذـلـكـ آـنـهـ جـمـعـ أـجـزـاءـ الـآـنـيـةـ الـتـىـ حـطـمـتـهـ اـمـرـأـتـهـ فـضـمـ بـعـضـهـاـ الـىـ بـعـضـ وـأـعـادـ الـآـنـيـةـ كـمـاـ كـانـتـ وـوـضـعـ فـيـهـاـ زـهـرـاـ يـحـسـبـ آـنـهـ يـعـسـنـ بـذـلـكـ الـىـ سـيـدـهـ .

وهذا الابن قد أقبل يتحدث الى امه حديثا سقيما متقطعا ملؤه الحزن والغrief والخذد أيضا ، وما تزال به امه حتى تصل به الى موضوع حزنه واذا هو يشكوا أنه شديد الندم على ما فرط منه لا يستطيع أن يتعرى ، لا ينام ولا يخرج ولا يستطيع أن يفكر ولا أن يتحمل البيت منه خلا من أمراته ، ولقد تبعها يوم انصرفت فلم يدركها وأسرع الى بيت صديقه فقيل له أنه خرج ومعه امرأة فانتظرهما الليل كله فلم يعودا ورجع الى البيت مرات حتى عرف أن صديقه سافر الى الهند ، فهو محظوظ يأسف لأن امراته قد تركته ولا نه لم يستطع أن يقتلها ويقتل معها صاحبها ، ثم نفهم أيضا حقده على امه لأنها أفسدت بينه وبين امراته وكانت أثرة مصرفه في الآخرة لا تفكرا الا في نفسها ولا تحسب لسعادة ابنها حسابا ، والألم تدفع عن نفسها وتالم لشقاء ابنها وقد انصرف عنها لأنه رأى سيارة مقبلة فيخاف أن يلقى الزائرين ولكن هؤلاء الزائرين ليسوا فيحقيقة الأمر الا امرأة تدخل فتنكر الأم مكانها وهذه المرأة هي « هيلانه » .

تلقاها الأم لقاء فيه بغض وحقد وفيه اتهام بالريبة والاثم ولكن هيلان لا تلبث أن تثبت براءتها وانها انما اتهمت نفسها حقا وغيرها ثم تهم أن تنصرف فتمسكتها الأم ويكون بينهما حوار لا احبه لأن فيه فلسفة ربما ثقلت على الملعوب . فيه تحليل للحب الزوجي وتحليل الحب الأمهات ومعاولة لتعديده الموقف الذي يجب أن يكون بين الحينين . ومهما يكن أمر هذا الحوار فقد اقتنعت الأم بأن سعادة ابنها عند امراته لا عندها ، وكأنها قد أخذت تحب هذه المرأة .

وهذا ابنها يقبل فإذا رأى امراته انكر مكانها وهمست امه أن تنصرف فتمسكتها ولكنها تنتهز فرصة وتروكهما وجها لوجه فيكون بينهما جدال يتهما وتدفع عن نفسها ، ويأتي اهلي يصدقها فتلع في الدفاع وتقض ما كان بينها وبين صاحبها ، فإذا هو قد عرض عليها الحب فابتعد عليه فافتقدته بعد ذلك فلم تعرف أين هو وهي تجهل سفره بل تجهل مكانه ، ولكن زوجها لا يصدقها ولا يريد أن يسمع لها فتنبهض مستيقنة تريده أن تنصرف حتى إذا

بلغت باب المحرقة سمعت زوجها يدعوها فتعود اليه مبتهمة ، ولسken الام تقبل في هيئة السفر تودع ابنتها فاذا سألاها اتباته بأن امور ثروتها مضطربة وإنها تريده أن تشرف عليها من قريب ، وان الطبيب يشير عليها بترك باريس ، وما تزال بابنتها حتى يطمئن الى هذا السفر كلارها ، وتابى عليه ان يشيعها وتقبله وتوصي امرأته به خيرا ، وتنصرف مسرعة ، ويقف ابنتها أمام النافذة وكأنه يريد أن يودعها . وتسمع حركة السيارة فتقول هيلاز لزوجها :

« تركتها تسافر ؟ » فيجيبها : « وماذا يعنيك ما دمت أنت ستبقين ؟ »



ساده زمان

قصص تسلية
لطف نیزی ارسون بیرون

وليس يُنْبَغِي أَنْ يَخْدِعُكَ هَذَا الْعَنْوَانُ ، فَتَقْرُرُ أَنَّكَ سَتَقْرَأُ
قَصَّةً خَلْقِيَّةً اجْتِمَاعِيَّةً تُعرِضُ لِلسُّعَادَةِ وَتُصَوِّرُ النَّاسَ لَهَا فِي
هَذَا الْعَصْرِ ، فَلَيْسَ بَيْنَ الْقَصَّةِ لِلَّتِي نَلَّخَصُهَا فِي هَذَا الْفَصْلِ
وَبَيْنَ هَذَا الْمَوْضِعَ صَلَةٌ مَا • وَإِنَّمَا « سُعَادَةُ الْيَوْمِ » اسْمُ آدَاءٍ
مِنْ هَذِهِ الْآدُوَاتِ الَّتِي تَتَخَذُ فِي الدُّورِ ، نَسْتَطِيعُ أَنْ نَطْلُقَ
عَلَيْهَا هَذَا إِلَّا سَمِّ الْعَامِيِّ الْمُبَتَلِّ « الْمَكْتَبُ » وَنَرِيدُ بِهِ هَذِهِ
هَذِهِ الْمَائِلَةِ الَّتِي تَتَخَذُ لِلْكِتَابَةِ ، وَفِيهَا ادْرَاجٌ كَثِيرَةٌ تَحْفَظُ فِيهَا
السَّيِّدَاتُ أُوراقَهُنَّ أَوْ مَا لَهُنْ مِنْ هَذِهِ الْآدُوَاتِ الْدَّقِيقَةِ الْمُتَوْعِدَةِ •
« سُعَادَةُ الْيَوْمِ » فِي هَذِهِ الْقَصَّةِ لَيْسَ شَيْئًا تَغْيِيرُهُ ، هُوَ
لَفْظٌ أَطْلَقَ فِي عَصْرٍ مِنْ الْعَصُورِ الْفَرَنْسِيَّةِ وَفِي طَبَقَةٍ مِنِ
الْطَّبَقَاتِ الْفَرَنْسِيَّةِ عَلَى هَذِهِ الْآدَاءِ الشَّائِعَةِ • وَقَدْ أَعْطَتَ هَذِهِ
الْآدَاءِ الشَّائِعَةِ اسْمَهَا لِهَذِهِ الْقَصَّةِ لَاَنَّهَا اكَانَتْ تَحْتَوِي سِراً
مِنْ أَسْرَارِ أَسْرَةٍ ، فَاسْتَكْشَفَ هَذَا السِّرُّ ، وَكَانَ اسْتَكْشَافُهُ
مُصْلِدٌ طَاغِيَّةٌ مِنِ الْأَحْدَاثِ وَالْأَنْعِمَالِاتِ عَبَيْثَتْ بِطَائِفَةٍ مِنِ الْقُلُوبِ
وَالنُّفُوسِ عَبَيْثَ عَرَضَهُ عَلَيْنَا الْكَاتِبُ فِي قُوَّةٍ وَدِقَّةٍ وَمُهَمَّاسَةٍ
خَلِيقَةً بِالْأَعْجَابِ •

وَلَعْلَكَ لَمْ تَنْسِ بَعْدَ هَذِهِ الْقَصَّةِ الْبَدِيعَةِ الَّتِي حَدَّثَتْكَ عَنْهَا ،
قَصَّةً « الْفَرْؤَادُ الْمُقْسَمُ » • وَلَعْلَكَ لَمْ تَنْسِ بَعْدَ هَذِهِ الْعَوَاطِفِ
الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي تَتَنَازَعُ الْقُلُوبُ وَتَعْبَثُ بِالنُّفُوسِ فِيمَا رَأَيْتَ مِنْ قُوَّةٍ وَعَنْفٍ •
فَقَصَّيْتَنَا فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ تَشْبِهَ تَلْكَ الْقَصَّةَ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ ، فَهِيَ قَصَّةُ جَهَادٍ
عَنِيفٍ بَيْنَ عَوَاطِفَ قَوِيَّةٍ حَادَّةٍ تَتَنَازَعُ قَلْبًا كَرِيمًا بِرِيشَةِ الشَّرِّ وَالْأَثْمِ ،
وَلَكِنَّهُ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ مَتَأْثِرٌ أَشَدَّ التَّأْثِيرِ بِالْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَمَا تَوَارَثَ
النَّاسُ مِنْ عَادَةٍ وَرَأَى وَحْكَمَ ، وَمَا تَوَاضَعُوا عَلَيْهِ مِنْ خَلْقٍ وَنَظَامٍ • هِيَ
قَصَّةٌ تَفْسِيَّةٌ لَاَنَّهَا تُعرِضُ عَلَيْكَ نَفْسًا اِنْسَانِيَّةً فِي ظَرْفِ مِنْ هَذِهِ الظَّرُوفِ
الْحَرْجَةِ الْعَسِيرَةِ الَّتِي تَكْشِفُ عَنِ دُخَائِلِ الْإِنْسَانِ وَتَجْرِيْهُ أَوْ تَكَادَ تَجْرِيْهُ
مِنْ كُلِّ هَذِهِ الْلَّفَائِفِ الَّتِي تَلْفَهُ بِهَا الْحَيَاةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ • فَهِيَ قَصَّةٌ اِجْتِمَاعِيَّةٌ
لَاَنَّ هَذِهِ النَّفْسَ الَّتِي يَعْرَضُهَا عَلَيْكَ الْكَاتِبُ اِنَّمَا تَأْلِمُ وَتَحْسُسُ مَا تَحْسُسُ مِنْ

عذاب ، وتخضع لما تخضع له من حرب وجihad ، حكم الأوضاع الاجتماعية المتناقضة ، وبحكم الأحداث الاجتماعية التي تحدث في حياة الناس من حين إلى حين ، فتكونهم كما تعب لا كما يحبون ، وتصورهم كما تريد لا كما يريدون ، وهي قصة خلقيّة أيضا لأن هذه النفس حين تتالم وتشعر بالعناد ، مضطّرة إلى أن تظهر شيئاً من الجلد والقوة على المقاومة ، وهي لا تقاوم عيناً وإنما تقاوم فرآراً من شر وحرضاً على خير ونفود من الأذى ورغبة في البر .

وهي بعد هذا كلّه قصة لم تنس المثل الأعلى الذي يضعه الأفراد والجماعات أمامهم حين يحبون وحين يختلفون في أمورهم المتباينة .

هي هنا كلّه ، وهي إلى هنا كلّه نموذج من نماذج اللفظ المختار المنتقى ، والحوار الدقيق اللطيف ، والمعانى الجيدة التي فكر فيها صاحبها فأحسن التفكير ، ونسقها فأجاد التنسيق . وقد يستطيع هذا الفصل من فصول التمثيل الغرنسى أن يقترب بعض الاغتياب ، فهو غنى بـ « بهاتين القصتين » ، وهو خير من فصول أخرى سبقته ، ولم يظهر فيها كما رأيت في الشهر الماضى إلا لون من هذا القصص التمثيلي الغائر الذى لا يمثل شيئاً ولا يدل على شيء .

ولا يُعرض عليك أشخاص هذه القصة كما تعودت أن الفعل بازاء الشخص الآخر . فقد يكون هنا العرض أيسر سهل إلى فهمها وتسوّقها . ولكنني حائز لا أدري بأى هؤلاء الأشخاص أبداً ، فالظاهر أن لهذه القصة بطلًا ممتازاً تدور حوله ، ولكن أشخاصها جميعاً أبطال ممتازون . وما أدري عن حقيقة الأمر إلا أن لكل واحد منهم حياته القوية المؤثرة الممتازة . أبداً بهذا الشاب الذى تدور القصة كلها حوله والذى يظهر أنه البطل الممتاز فيها ، والذى يظهر في الوقت نفسه أنه ضعيفة أبيه وأمه ومحضه ! ولم لا ؟ فلا بد من أن نبدأ بواحد من هؤلاء الأبطال . فليكن هذا الشاب .

جان بليسيه شاب قد ناهز من عمره الثلاثين ، جميل المنظر قوى عنده الحلق ، حلو الحديث ، رقيق القلب . ولكنه فى الوقت نفسه بطل من أبطال الحرب الكبرى ، ادركته ولا يكاد يدع المدرسة ، ففيدخلها جنديا ، ولكنه أبلى فاحسن البلاء ، وتقلب في مراتب هذه الخدمة العسكرية العاملة وذاق آلامها ولذاتها جميعا ، حتى انتهى به الأمر إلى أن أصبح ذات مرتبة عالية في فرقة الطيران . وقد أحسن البلاء في هذا اللون من الوان العرب ، وجر عليه ذلك خطوبها والوانا من الشرف ، فرأى الموت وصافحه أو كاد ، واضطرب إلى مستشفى ، وتحلى صدره بالأوسمة المختلفة ، ثم انجلت عنه غمرة الحرب فإذا هو يعود إلى حيث يقيم أبواء في أحد الأقاليم الفرنسية ويعيشان عيشة ثروة ونعمه وعمل وهلوء . يعيشان في قصر فخم من قصور العصور الوسطي ، اشتترته الأسرة حين أثرت ، ولكن هذا القصر وما حوله من الأرض الواسعة مهملان أو كالمهملين ، لأن رئيس الأسرة منصرف عنهم إلى مهنة الطب التي يحبها ويكلف بها . فإذا عاد الشاب إلى أسرته أسرع ففكرت في أن تكل إليه تدبير هذه الثروة ، على أن يكون ذلك عمله في حياته ، وأسرع فاختارت له فتاة حسنة لتكون زوجة . وظهر اطمئنان الفتى إلى هذا النوع من الحياة ، فعنى بالقصر والأرض ، وشغف بالفتاة وشغفت به الفتاة أيضا ، وأخذنا يستقبلان الحياة في ابتسام وبهجة ، لولا « سعادة اليوم » التي حدثتك عنها في أول الفصل ، والتي ستظهر لهذا الفتى أن نشاطه وسروره وابتهاجه للعمل في هذه الحياة السليمة ليست طبيعية ، وإنما هي علة يتعلل بها كارها ، وإنما حياته الحقيقة في الحرب .

وهذا الشاب من أبوين مختلفين أشد الاختلاف في الطبقة والتربيـة ، فآمه من أسرة شريفة بعينـة في الشرف ، تحفظ نسبها في القرون الوسطى ، وتذكر ما كان لا يجداـدها من بلاء في تاريخ فرنسا ومن مكانة في قصور ملوكها . وأم هذا الفتى قد ورثت عن أسرتها الشريفة منه كل خلالها ، فهي متـرفـة مهذـبة رقيقة ممتازـة ، وقد اورثت هذه الخلال كلها ابنـها الشـاب .

اما أبوه فمن طبقة أخرى ، من هذه الطبقة التي كانت مهضومة مظلومة قبل الثورة ، والتي اكتسبت الحرية بعد الثورة ، وجدت فأضافت الى الحرية ثروة وقوة واستثمارا بالحكم . وفيها خلالها ، فهي نسيطة عاملة صريحة شريفة الخلق . وفيها عيوبها ايضا فهي غليظة خشنة قليلة الحظ من التهذيب والرقابة والامتياز ، لا تتنزه عن صفات تعافها الاستقرائية . كان جد هذا الفتى يعمل في البريد ، ولكنه جد حتى أثرى وأحسن تربية ابنه حتى أصبح ابنه وزيرًا في الامبراطورية الثالثة ، وترك هذا الوزير ابنًا أحسن تربيته فهو طبيب وهو أبو هذا الشاب .

وهذا الشاب متأثر - كما قلنا - بما ورث عن أمه ، نافر أشد النفور من أخلاق أبيه . فهو لا يكاد يتحمل أباًه منذ رجع من العرب ، وهو يالم لهذا ولكنه لا يجد إلى اتقائه سبيلا ، وأبوه يالم له أيضًا ، ولكنه يروض نفسه على هذا الألم . وقد علمته الحياة أن يروض نفسه على الألم ، فقد نشأ كما رأيت ابنًا لهذا الوزير ، وأدركته حرب السبعين وما تبعها من الهزيمة ، فتركت في نفسه ما تركت في نفس الفرنسيين جميعاً من هذه الآثار المؤلمة التي يمثلها ضعف العزيمة والاستسلام ثم الطمع والشك . وكان أبوه ضخم الثروة ، فزوجه من امرأته الشريفة الفقيرة . وجده هذا الرجل في مهنة الطب حتى أحبها علماً وعملاً ، واتخذها سبيلاً إلى البر بالقراء والاحسان إلى البائسين . وهو شديد الاعجاب بأسرته وجدتها ونشاطها ، لا يكره مع ذلك أن يزدرى الأشراف ومحولهم وكباريائهم ، ولكن الحياة كانت تدخل له مما هو الذي جعله بطلاً كما أنه أسيغ البطولة على امرأته أيضًا . وليس من الخير أن نتعجل فنكشف لك عن هذا الألم ، فهو قوام الشرط الأول من القصة .

قلندع هذه الأسرة ، ولنذكر الشخص الرابع من أشخاص القصة ، وهو « جرين داجوزون » خطيبة جان . فهي فتاة جميلة فتانية ولكنها فقيرة . هي من أسرة نبيلة ، ولكن أباها كان سيئاً السيرة والخلق ، وامها كانت تعسة سبعة العمال . فاما أبوها فقد مات . وأما أمها فقد بقي

لها من هذه الحياة السيئة ضرب من الاضطراب العقل والخلقى ، يمثله الغرور والشره والتکلف وما الى هذه الاخلاق مما يجعل الانسان موضع السخرية والاشفاق في وقت واحد . ولكن الفتاة لم تتأثر بشيء من هذا ، وانما نشأت نبيلة ذكية القلب جائدة قوية الارادة ، قادرة على المقاومة ، ولكنها رقيقة محبة أيضا . ولم تكن تعرف هذا الفتى حتى احبته جداً قوياً عنيفاً ، ولكنه شريف ممتاز يشبه حب الفتى لها .

هؤلاء هم الاشخاص ، لم اعرض عليك من امرهم الا ما يمكن ان يعرف قبل ان تحدث حوادث القصة فتكتشف من نفسياتهم عما كان مخبواً .

* * *

فاما كان الفصل الاول فنحن في أعلى القصر في هذه الغرف التي تتخذ ملقي للأدوات العتيقة بعد أن يستغنى عنها ويزهد فيها ، فترى في هذه الغرف مهملة وديعة في أيدي الزمان يفنيها قليلاً قليلاً ، وتهمل معها هذه الغرف ، قد أغلقت أبوابها من دون هذا المتعاجل كما تغلق المقابر دون ما تودع من أجسام الموتى . وقد صعد جان إلى أحدى هذه الغرف ففتح أبوابها ونوافذها للهواء والضوء ، وأخذ يتفقد ما فيها من متعاجل فيعجب وشغف . وما هي إلا أن أخذ ينسق من هذه الغرفة وما فيها مكاناً يستقبل فيه خطيبته وأمهما وأبويه لتناول الشاي . وكانت هذه الفكرة قد خطرت بخطيبته حين علمت بأن في أعلى القصر أدوات قديمة من متعاجل القرون الوسطى . فأقبل الفتى يهين لها هذه الغرفة ، وهو يحاور في ذلك خادمه حواراً لذيداً خفيفاً . فهو كلف بهذا المتعاجل القديم لأنّه يمثل حياة آبائه ، ولكن خادمه منصرف عن هذا المتعاجل لأنّه عتيق قد عمل فيه الفناء ، ولاّنه يؤثر الجديد الذي لم ينزله البطل . وانظر إلى الغرفة قد نسقت تنسيقاً حسناً ، وإلى طاقات الزهر قد وضعت في هذه الآنية القديمة . ثم انظر إلى الفتاة قد أقبلت فيما تقاد تنظر إلى هذه الأشياء حتى تفتن بها وتمضي في الاعجاب والثناء . وما كان أخلاقها

ان تمضي في ذلك الى غير حد لولا انها تحب صاحبها ، وصاحبها يحبها وخلوتها ضيقة محدودة ، فلابد من ان يتهدى في الحب ، ولا بد من ان يتبدلا هذه القبيل التي يفتن الخطيبان في انتهاز الفرصة لها .
وهما يتهدثان في جبهما في خفة ورشاقة وجد أيضا . ونحن نحس اننا لسنا أمام حب فاتر أو نزق . وإنما هو الحب القوى انحاد الذي لا يكاد يدخل القلب حتى يمسلاه ويستأثر به ويندفع منه إلى جميع الملكات والعواطف والحواس فيخضعها لسلطانه . هذا الحب الذي كله نقاء وأمل ورغبة واحترام وطمأنينة . وهذا في هذا الحديث وفي هذا الحب واذا الأسرة قد أقبلت ، فلا شخص لك ما يدور من حوار حول الم悲哀 ثم حول الشاي ، فقد تستطيع أن تستغنى عن هذا كله ، وإنمالاحظ أن الأب قد أقبل فرحا مبتهجا فتغنى مع الفتاة بعض أغاني الأقليم . وكانت الفتاة بها مبتهجة وأمها كذلك وامرأته أيضا ، الا الفتى فقد غاظه ذلك وضاق به ذرعا ، ولم يستطع أن يخفى ضيقه ، بل عرض باللوم لأبيه ، وقبل الشيخ هذا اللوم في ألم وخيط وحزن وسخرية . وانقضى الشاي بين الضحك والحزن تتقيد به أم الفتى لها استطاعت .

ثم يعلن الشيخ إلى الفتاة ان في القصر غرفا كهذه الغرف فيها متعاجم من هذا الم悲哀 وأجمل . فترغب الفتاة في أن ترى . ويقبل الشيخ على أن يظهرها على هذا الم悲哀 ، ويتصرفون جميعا إلا الخطيبين ، تخلفا فيما يظهر ليختلسها كلمة أو قبلة . والفتاة تدعى صاحبها إلى أن يتبعها إلى حيث ترى الم悲哀 ، وهو يأبى ويتعلل ، وما هي إلا أن تفهم من تعلله أنه لا يريد أن يرافق أباء ، وأنه خيق النزع بأبيه وطبقة أبيه وما له منه الطيبة من عادة وما فيها من عيب ، وانسه شديدة الاعجاب بأمه وطبقة أمه وما فيها من ترف ولبن ورقه . وانظر إليه وقد استكشف هذا الم悲哀 القديم الذي كان يسمى « سعادة اليوم » فهو يظهر الفتاة على محاسنه ومحاسنه من رشاقة فنية . وهو يوازن لها بين هذه الأداة الرشيقية التي تمثل ذوق أمه وأسرتها الشريفة ، وبين تلك الأدوات الغليظة التي يمثل بها القصر والتي تمثل ذوق هذه الطبقة الوسطى التي سادت بعد الثورة .

وقد تركته الفتاة ، فعمد الى هذا المتابع ، وأخذ ينظر في أدراجه ويستنشق رائحتها في شيف وفتنة ، لأن هذا المتابع قد كانت أمه تستخدمنه في شبابها ، فهو إنما يتسلّم شباب أمه . وقد جذب اليه درجاً فتنسمه ثم حاول أن يرده فيستعصي عليه كأن شيئاً يعترض دونه ، فينظر فإذا حزمة من الورق ، فيسرع إليها متلهفاً ويتزدد ثم يفضيها ، فإذا رسائل تنتشر ، فيسرع إلى هذه الرسائل يجمعها ويغطيها في جيبه . ولكنّه يسمع صوتاً فيبالغ في السرعة ثم ينهض فينصرف وقد أقبل أبوه فرأاه مولياً ، ونظر فإذا رسالتان على الأرض قد أخطأهما فيسرع إليهما فييسهما في جيبه .

* * *

فإذا كان الفصل الثاني فقد مضت أيام على ما قدمت لك ، والقوم مجتمعون في غرفة المائدة بعد العشاء ومعهم الخدم جميعاً كأنهم في حفل منزلي ، والشيخ قائم أمام نار الموقد المتاجحة يشوي فيها بنفسه « الشاه بلوط » أو (الكاستينا كما يسمونه الآن) . وهو يقص على الفتاة وأمهما من عادات الأقاليم وأحاديثه ما يصحّحهما ويلذّهما . وهم جميعاً مبهجون إلا الشاب فقد تناهى وانصرف إلى كتاب كأنه ينظر فيه ، والا أم الفتى فهي قلقة لما تشاهد من ضيق ابنتها وسوء الحال بينه وبين أبيه . وقد انتهى عبث الجماعة إلى آخره ، وأعلن الشيخ أن ستجتمع طائفة من هذا « الشاه بلوط » الذي يشوي ، تخرج من الجمر ثم يوضع عليها غطاء ما ، ثم تجلس عليها أصفر الحاضرين سناً . وقد قبلت الفتاة ، والخدم مبهجون ، وأمهما مترددة متكلفة ، ولكن الفتى يترك كتابه وينهي خطيبته عن هذا العبث فتابني ، فيلبح فتزداد أباء ، فيبالغ في الالجاج فتغضّب ، ويفسد الأمر بينهما بعض الشيء ، وتنصرف غير حافلة بأمهما ونذيرها ، وقد أعلنت أن خطيبها يجب أن يعرفها حق المعرفة وأن يعلم أقبل إلى المكتبة يتلمس فيها شيئاً ، فيستخرج مجمعاً للصور وينظر فيه أحياناً . وقد قسّد المحفل وانقلب السرور شيئاً يشبه العزن .

ومضى كل الى موضعه ، ويظل المسرح خاليا حينا ، ثم اذا الشاب قد أقبل الى المكتبة يتلمس فيها شيئا ، فيستخرج مجمعا لصور وينظر فيه كأنه يبحث عن صورة بعينها ، حتى اذا انتهى اليها اختلسها ويسها في جيبيه . وما يكاد يفرغ من هذا حتى يحس صوتا فيرد مجمع الصور ويظهر انه يأخذ كتابا . وقد أقبل أبوه ، فيسأله ماذا يصنع ؟ فيجيب الفتى انه قد امتنع عليه النوم فاقبل يتلمس كتابا يستعين به على الارق .
يعيب الشيخ : وهذه حالى ، فلنتحدث قليلا .

وما يكاد ان يبتداء الحديث حتى يصل الشيخ الى مكان يريد ، فهو يريد ان يتعرف من شأن ابنته مصدر هذا الضيق الذى ظهر عليه منذ أيام والذى أقلق امه ونفوس عليها الحياة ، او قل ان الشيخ يعرف مصدر هذا الضيق ولكنه يريد ان يتمحدث فيه الى الفتى . أما الفتى فيتكلف العواقب ويحتال فى اتقاء الشيخ ويعلن اليه انه ضيق النزع بهذه الحياة التى يعيشها بعد المطرب والتى لا عمل فيها ، وأنه يريد أن يعمل وأن يكسب والا يكون مدينا بحياته لاحد .

اما الشيخ فلا تخدعه هذه المحاولة . وماهى الا ان يصل الى غرضه فى صراحة فيعلن الى الفتى انه قد عثر بطائفة من الرسائل ، ولكنه نسى منها اثنين ويدفعهما اليه ، وأنه قدقرأ هذه الرسائل واعرف ما عرف من امرها ، وأن هذه الرسائل هي التي تقض عليه حياته . فاذا اظهر الفتى شيئا من الدهش انبأه الشيخ فى هذه والم بتسمى بأنه يعرف ما فى هذه الرسائل ، وعرف ما عرف من امرها ، وان هذه الرسائل هي التي تنقض عليه حياته ، فاذا اظهر الفتى شيئا من الدهش انبأه الشيخ فى هذه والم بتسمى بأنه يعرف ما فى هذه الرسائل منذ ثلاثين سنة . ثم يقص على الفتى القصص .

فليس الفتى ابته وان كان ابته امام القانون ولهم الناس واماته هو ايضا . ذلك انه قد كان تزوج من امراته دون ان تجده كما يتزوج اصحاب الثروة من التغيرات فى غير حب ولا كلف . فلما لم يجد من

امراة حبا ولا حنانا ولا هىاما زهد فيها وانصرف عنها الى الله والعبث ، وفرحت هي بها الزهد والانصراف . وفي ذات ليلة لقي صديقا له كان رفيقه في المدرسة ، وكان من الاشراف ، وكان قد احب امرأته وكانت قد احبته ، وكانا يريسان الزواج . ولكن الفقر حال بينها وبينه . فلما مر ما حرص صاحبنا على ان يستأنف الصلة بينه وبين صديقه القديم . وانظر اليه يتهم نفسه أشنع التهم في لطف ورقة وكرم أيضا . انظر اليه يحدث الفتى بأنه اجهته في ان يتردد صديقه على بيته وتتجدد الصلة بينه وبين حبيبته القديمة لأمر لا يكاد يتبيّنه ، وربما كان منه أنه أحب أن يشير في نفس امرأته إليها القديم لهذا الرجل لعلها تتورط في شيء من الأثم فيتخد ذلك حجة عليها وعلرا لنفسه من آثمه الكثيرة . ومهما يكن من شيء فقد كان ما لم يكن منه بد ، واتهمت المرأة ، وكان الفتى نتيجة هذا الأثم ، فاما أبوه فقد ندم واتّح عليه النسلم حتى التحقق بعيش من جيوش المستعمرات الافريقية وجاهد حتى اشتري خطيبته بالموت ، وأما أمه فقد لقيت في الحمل آلاما ثقلا و تعرضت في الوضع خطرا الموت ، ووقف زوجها بين الأمانة لهنته كطبيب يجبر أن ينقد المريضة ، والانتقام لنفسه كزوج يريد أن يقتل الخائنة ، فوفى لهنته وانقذ المريضة حتى اذا تم لها الشفاء لم يجد في نفسه القدرة على استئناف الانتقام فصفح وغاف ، وندمت زوجه وتابت ، وكانت بينهما مودة استحالـت حبا قويا شريعا استفاد منه الطفل فنشـا بين قلبيـن يعبـانـه ويعطـانـه عليه .

وقد سمع الفتى هذا القصص ، ولكنه بطل من أبطال العرب ، قد تعود الهول وتجسمه ، وتعود المكره وصبر نفسه عليه ، فهو يالم ولكنه يكظم المله ، وهو بين امررين يتنازعان قلبه ونفسه : السخط على أمره وأبيه ، لأنهما وضعاه في هذه المنزلة الكريهة ، والبر بهذه الأم التي لقيت في سبيله ما لقيت من الم ، و تعرضت في سبيله لما تعرضت له من خطر . وهذا الشيخ الذي كان يظنـه آباءـ والـذـيـ كانـ يـنـكـرهـ ويـضـيقـ بهـ والـذـيـ ظـهـرـ الـآـنـ أـنـهـ لـيـسـ هـنـهـ فـيـ شـيـءـ : أـيـعـهـ لـأـنـهـ نـشـاءـ وـرـبـاهـ كماـ يـنـشـيـ الـأـبـ اـبـنـهـ فـيـ مـوـدةـ وـحـنـانـ وـحـبـ ، أـمـ يـنـخـضـهـ لـأـنـهـ لـيـسـ هـنـهـ فـيـ

شىء ، ولأنه هو الذى عرض أمه للاثم والخطيئة وهو الذى اضطرر أمه الى أن تلده فى غير رضا الاخلاق والقانون ؟ وأبواه ! أى بعده لأنه أبوه ، أم يبغضه لأنه ورط أمه فى الاثم وجنتى عليه هذا الوجود المنكرو ؟ وخطيبته ! ماذا يصنع بها ؟ أيمضى فى حبها ويكتم عليها ما عرف من أمره فهو اذا يغشها ويدلس عليها ؟ أم يظهرها على كل شىء ، وإذا قالى اى حال ينتهى حبه وكبر ياوه وكرامته ؟

وهذه الثروة الضخمة التى يكلها اليه الشيخ أى قبلها وليس له ، ألم يردها ؟ وإذا ماذا يصنع ؟ فأنتم ترى الى هذا الموقف المقد والى ما فيه من حرج .

وموقف الشيخ ! أتظننه يخلو من الخرج ؟ كلا فقد عفا عن امرأته ، وقد استطاعت امرأته أن تمحو ما فى نفسه من موجدة . وهو يحب امرأته ويريد أن يحميها من كل مكروره ، وقد كان هذا يسيرا ما خفيت القصة على الفتى ، ولكن الفتى قد عرف القصة ، ووقف الشيخ منه فى صراحة موقف الغريب فماذا يصنع ؟ وكيف يعصى امرأته من احتقار ابنتها وسخطه ؟ وهو كان أحب الفتى واتخذه ابنا حقا وقد ظهرت خبيثة الأمر ، فماله بشيء هذ الفتى ؟ ومع ذلك فلم يأتى الرجل ولم يقترب خطيبة ، وإنما تكلفاته نفسه ليخفف عن امرأته وليلطف الشاب على أمه . ما خانها ولا تعهد اغراءها وتوريطها فى الاثم . ومهما يكن من شيء فهو لا يطلب إلا أن تجهل امرأته أن ابنتها قد ظهرت على جلية الأمر . وهو يائس أو كالبيأس من حب هذا الفتى . وقد ضحى بنفسه مرة أخرى ، على أنه قد لقى من حب امرأته ما عزاه عن تصحيته الأولى ، فلعله يلقى من احسانه الى الناس ومن حب الفتاة ما يعزى عن التضحية الثانية .

* * *

فإذا كان الفصل الثالث فقد مضى أسبوعان على ما كان فى الفصل الثاني . ونحن نرى الشيخ فى عيادته ويستقبل المرضى ويطب لهم .

ولكنه متعب قد ظهر عليه السأم والضيق . حتى اذا انصرف آخر مرضاه دعا الخادم فيأمرها بأن تذهب الى الصيدلى وتطلب اليه أن يحتال في الا تدفع اليه احدى مرضاه ثمن الدواء ، فهو كثير وهي فقيرة ، ولكنها عزيزة النفس لا تقبل الصدقة ، فليخدعها الصيدلى اذا وليخيل اليها ان الدواء رخيص ، ولنضيف قيمته الحقيقية الى حساب الطبيب .

وانظر الى امرأة الطبيب قد أقبلت محزونة تشكو الى زوجها ضيق ابنتها وانصرافه عنها وعن خطيبته ، وتلتمس لذلك العلل والأسباب ، وتخبر زوجها بأن الرسائل متصلة منذ أيام بين ابنتها وبين وزارة الحرب ، وهي مشفقة من ذلك ، والشيخ يعزبها في هودة وحب ، ولكنه لا يظفر من تعزتها بشيء ، وهي تطلب اليه أن يتتحدث الى الفتى ويعظه لعله يكشف من أمره شيئا ، ولعله يرده الى حب امه وخطيبته والرفق بهما . فيتردد ثم يذعن ، وتنصرف امرأته وترسل اليه الفتى .

وما هي الا أن يتحدثا حتى نعلم أن الفتى قد طلب الى وزارة الحرب عملا ، فعرضت عليه بعثة في الصين حيث الحرب قائمة فقبل . ومهما يفعل الشيخ ومما يحتل ومما يتلطف للفتى فلن يغير رأيه ولا عزمه . والموقف هنا بديع مؤثر حقا . فالشيخ يصطنع اللين حينا ، والاستعطاف والعنف حينا ، والتذير ، والفتى ثابت لا يتزحزح عن موقفه قيده شرة ، ولم يتزحزح عن موقفه وهو ابن الحرب قد كونته كما أرادت لا كما أراد ! لقد أنفق من عمره أربع سنين في قتل وتدمير ، يقتل النساء والأطفال والشيوخ والشبان ، لا رأى له في ذلك ولا أراده ، ويواجه الموت يتقيه مرة ويرسله على الناس مرة أخرى ، فكيف تريده على أن يكون كفيرا من أبناء السلم ! انه يعلم حق العلم أنه يمزق قلب أمه وخطيبته وقلب الشيخ أيضا ، ولكن ماذا يعنيه من هذا كله ! أليس ابن الحرب قد صورته في هذه الصورة ؟ فليكن مصلحة ألم ، ولتكن مصلحة موت ، فكذلك أرادت الجماعة ان يكون . وقد يتس منه الشيخ ، وأقبلت امه يائسة أيضا تسأله : أحق ما انياتنى به خطيبتك من انك مرتعلا الى الصين ؟ يجيئها نعم !! فما أشد تأثير هذا الموقف بين الفتى

وامه : تستيقنه ضارعة فلا يحفل ، تحاول أن تعرف السر الذي يضطربه إلى هذا العزم فلا تفلح . وهي تفترض الفروض ، وتوسل إلى الفتى بخطيبته ، ثم يخيل إليها أنه لا يحب هذه الفتاة فتجتهد في صرفه عنها . ويكون بينهما حوار بديع مؤلم نتمثل فيه نحن إلى أي حد أنسنت هذه المرأة اثمتها وانصرفت عن خطيبتها ، وإلى أي حد أثر هذا الائم في نفس الشاب وافسد عليه أمره .

وينصرف الشاب وقد أیأس الشييخين من نفسه . ولكن أمه قد عرفت الآن أنه قد ظهر على جلية الأمر .. فانتظر إليها منتخبة بين ذراعي زوجها ، وهو يعززها وبينها بأنه قد اتهم نفسه ما استطاع ليخفف عنها الوزر أمام ابنها . فإذا رأها تصرف في الكلام خيل إليها أنها تبكي عندما لما تذكر من اساءتها إليه . ولكنه لا يلبث أن يتبيّن أنها تبكي على ابنها لا عليه . فليوضح بنفسه مرة ثالثة ! أليس يحب هذه المرأة ! أليس يحب هذا الفتى ! فليعذر هذه ، وليجتهد في أمصاله ذاك . ولكن ليس إلى أمصال الفتى من سبيل .

* * *

فنحن في الفصل الرابع وقد أخفق الشيخ وأمراه والفتاة في صرف الفتى عن عزيمته .. ونحن في طولون ثغر فرنسا الحربي حيث يأخذ الفتى سفينته الحربية إلى الصين . وقد أقبل الجماعة كلهم يودعونه .. ونحن في أحد المطاعم المطلة على البحر حيث السفينة وحيث يستطيع المودعون أن يروا السفينة حين تقلع ويتبعوها بأبصارهم حتى تغيب .. وأنا أغريك من هذا الحوار الذي الطويل بين الشيخ وصاحب المطعم ، وأنتهى سرعاً إلى هنا الموقف البديع بين العاشقين .. فقد التقى وتعاهدا على الحب والأمانة والوفاء ، وأعلن كل منهما إلى صاحبه خبيثة نفسه .. ولكن انظر إلى الفتاة تطلب إلى صاحبها أن يرافق بأمه فقد آثمت كارهة .. ومن ذا الذي يستطيع أن يزعم لنفسه العصمة من الائم ! وأن يحب الشيخ ولو قليلا فقد كان زوجاً براً وأباً رحيمـاً .. وما ذنبه في كل ما كان !

فإذا سأله الفتى صاحبته : كيف عرفت سره ، أجابته : لقد أخبرته به أملك واتخذتني سبيلاً إلى استعطافك وحملك على الرفق . وانظر الفتى وقد تأثر بهذا كله ، يمكنه من نفسه ، ومكان هذا الشِّيخ البري ، ومكان هذه الفتاة الطاهرة المحبة تستعطافه على هذين البائسين . وقد أقبل الشِّيخان ، فالفتى رفيق بهما ما استطاع ، يظهر لامه من العطف والودة ما يملؤها رضا ، ويقبل الشِّيخ ولكن دون أن يقول له شيئاً ، والشِّيخ يرضي بهذه القبلة وهو واجم ، لأنَّه كان ينتظر كلمة مودة لم يظفر بها .

وأقبل خابط من السفينة يتوجَّل الفتى ، فيودع القوم جميعاً ، ولكنه قد لا يقول للشِّيخ هذه الكلمة التي كان ينتظرها . وقد مضى نهر السفينة ، وهم جميعاً يتبعونه ببصائرهم ، الا الشِّيخ فهو على كرسيه واجم محزون . ولكن القوم يسمعون من الفتى صوتاً لا يتبيّنونه ، ثم لا يلبثون أنْ تبيّنوا ، فإذا الفتى يدعو آباء ، وإذا هم جميعاً يدفعون الشِّيخ دفعاً إلى النافذة حيث يرى الفتى ويسمعه يدعوه بهذه الكلمة التي كان ينتظرها : « إلى اللقاء يا أبا !! »

نوجوم

قصة تختليه : الكاتبين لفرنسيين

بول جيرالد درويك ميتر



بول جيرالدى كاتب يقتن به الترפון فـ
شعورهم وعواطفهم من الفرنسيين ، لأنـه مترف
في شعوره وعواطفه ، ومتـرف بنـوع خـاص حينـ
يحلـل العـواطف والـشـعـور . . تـناـول طـائـفة منـ
المـوضـوعـات في قـصـصـه التـمـثـيلـيـة فـاستـطـاع أـنـ
يـبلغـ من دـقـة التـحـلـيلـ ولـطـفـ المـدـخلـ إـلـى القـلـوبـ
ما أـسـرعـ بـه إـلـى بـيـتـ هـولـيرـ وـانـزلـهـ مـنـهـ مـنـزـلـةـ
رـفـيعـةـ .

ولست ادرى أيدـكرـ القـارـئـ أـنـي تـحدـثـتـ إـلـيـهـ فـيـ غـيرـ هـذـاـ المـوـضـعـ عنـ
قصـةـ منـ قـصـصـهـ التـمـثـيلـيـةـ سـماـهاـ الحـبـ ، وـحلـلـاـ فـيـهاـ الـصـلـةـ بـيـنـ زـوـجـينـ
مـتـحـابـيـنـ يـعـرـضـ لـهـماـ مـنـ أـسـبـابـ الـفـتـنـةـ ماـ يـصـرـفـ المـرـأـةـ عـنـ زـوـجـهاـ حـيـنـاـ ،
ثـمـ تـكـشـفـ الـخـبـرـةـ لـهـذـهـ المـرـأـةـ عـنـ حـقـيقـةـ الـأـمـرـ فـتـبـيـنـ أـنـهـ كـانـتـ مـفـتوـنةـ
لـاـ عـاشـقـةـ ، وـأـنـ حـبـهاـ أـنـاـ كـانـ مـقـصـورـاـ عـلـىـ زـوـجـهاـ حـتـىـ فـيـ أـشـدـ أـوـقـاتـ الـفـتـنـةـ .
ذـلـكـ لـأـنـ الحـبـ شـيـءـ غـيرـ الشـغـفـ وـغـيرـ الـهـيـامـ وـغـيرـ هـذـهـ الشـهـوـاتـ الـتـيـ تـمـلـكـ
الـنـفـسـ فـتـفـسـدـ عـلـيـهـاـ الـأـمـرـ حـيـنـاـ .ـ فـيـهـ ثـقـةـ تـمـكـنـ المـتـحـابـيـنـ مـنـ أـنـ يـطـمـئـنـ كـلـ
مـنـهـاـ إـلـىـ صـاحـبـهـ ، فـلـاـ يـسـمـحـ لـنـفـسـهـ بـالـشـكـ فـيـهـ وـلـاـ يـتـخـيـلـ هـذـاـ الشـكـ ،
وـتـمـكـنـهـاـ مـنـ أـنـ يـعـتمـدـ كـلـ مـنـهـاـ عـلـىـ صـاحـبـهـ اـعـتـمـادـاـ لـاـ حدـ لـهـ .ـ فـيـهـ هـذـهـ
الـثـقـةـ الـتـيـ تـمـكـنـ الـزـوـجـ مـنـ أـنـ يـجـبـ اـمـرـأـتـهـ حـيـنـ أـنـبـأـتـهـ بـأـنـ فـلـانـاـ يـتـبعـهاـ بـعـبـهـ
وـظـلـبـتـ إـلـيـهـ أـنـ يـعـمـيـهاـ مـنـ هـذـاـ الحـبـ :ـ «ـ مـثـلـكـ لـاـ يـحـتـاجـ إـلـىـ حـمـاـيةـ وـلـاـ حـرـاسـةـ ،
وـلـاـ خـيـرـ فـيـ حـبـ يـتـكـلـفـ صـاحـبـهـ أـنـ يـقـومـ دـونـهـ يـدـفعـ عـنـهـ المـغـيـرـينـ »ـ .ـ ثـمـ فـيـهـ
إـلـىـ جـاـنـبـ هـذـهـ الثـقـةـ الـوـاـنـ مـنـ الـذـكـرـيـ يـسـيـرـةـ ضـئـيلـةـ فـيـ نـفـسـهـ ،ـ وـلـكـنـ الحـبـ
يـسـأـلـفـ مـنـهـاـ ،ـ أـوـ قـلـ اـنـهـاـ هـيـ التـيـ تـؤـلـفـ حـيـاةـ المـتـحـابـيـنـ .ـ

وـقـدـ وـقـقـ «ـ بـولـ جـيـرـ الدـىـ »ـ فـيـ هـذـهـ القـصـةـ تـوـفـيقـاـ عـظـيـمـاـ دـونـ أـنـ يـعـتـاجـ إـلـىـ
حـرـكـةـ أوـ مـشـقـةـ فـيـ تـدـبـيرـ هـذـهـ الـحـرـكـةـ ،ـ وـأـنـماـ هـيـ كـلـهاـ حـوارـ بـيـنـ زـوـجـينـ أوـ
بـيـنـ المـرـأـةـ وـذـلـكـ الذـىـ أـرـادـ أـنـ يـفـتـنـهـاـ .ـ ثـمـ لـمـ يـقـفـ تـوـفـيقـ «ـ بـولـ جـيـرـ الدـىـ »ـ عـنـ
هـذـهـ الـقـصـةـ بـلـ تـجـاـوزـهـاـ إـلـىـ قـصـةـ أـخـرىـ فـتـنـتـ الـبـارـيـسـيـنـ فـيـ الـسـنـةـ الـماـضـيـةـ،ـ
وـهـيـ قـصـةـ «ـ روـبـيرـ وـمـارـيـانـ »ـ وـهـوـ عـلـىـ هـذـهـ الـاجـادـةـ فـيـ التـمـثـيلـ شـاعـرـ مـجيـدـ

دقيق ، يحبه الفتيان والفتيات ، ويقرأون له بنوع خاص ديواناً صغيراً عنوانه «أنت وأنا» تناول فيه العلاقة بين العاشقين من تواحى الحياة المنزلية اليومية في لطف ودعة وخفة روح .

ولكن «بول جيرالدى» على هذا كله صاحب جد ، وحظه من الهرزل قليل هو مترف في جده ، خفيف الروح ، يحاول الدعاية والفكاهة ولكنه لا يبلغ منها ما يريد ، أو هو لا يريد أن يبلغ منها شيئاً . وكانه كان يحتاج إلى أن يعينه زميله الذي اشتراك معه في وضع هذه القصة التي أتحدث إليك فيها اليوم . كان يحتاج إلى هذه المعونة ليلاً ثم بين جده وفلسفته المترفة وبين ما يحتاج إليه الباريسيون في هذه الأيام من الفكاهة واللهم حتى في أوقات الجد والتفكير العميق . وقد ظفر «بول جيرالدى» من معونة زميله بما أحب وبما أحب الباريسيون ، فجاءت هذه القصة الأخيرة آية في الجد والفكاهة معاً . فـ«أنت» لا تستطيع أن تمضي في قراءتها دون أن ترى نفسك مغرقاً في الضحك ، ولكنك في الوقت نفسه مغرق في التفكير والتأمل . ذلك لأن الموضوع كله جد ، ولكن الصورة كلها هزل ، لفظ رشيق فيه عبث كثير ، ولكن من دون هذه الرشاقة والعبث حقيقة من هذه الحقائق التي يجب على كل إنسان أن يفكر فيها وأن يلائم بينها وبين سيرته مع زوجه .

وفي الحق أن روحى هذين الكاتبين قد ألتاماً في هذه القصة التثاماً بديعاً . وحسبك أنهما استطاعا أن يحصلوا على أن تفكرا في أشد الموضوعات خطراً دون أن تجد في ذلك مشقة أو عنفاً ، بل على أن تجد في ذلك لذة لا تعد لها لذة . ولكن هذه المشقة التي لا تجدها أنت حين تقرأ القصة أجدتها أنا حين أحاول أن أحسها لك . ذلك لأنني أستطيع أن أحسن لك موضوعها وغرضها ، ولكنني لزني أستطيع أن أحسن لك شكلها وصورتها وحوارها وما فيه من رشاقة وخفة وسرعة ، فكل ذلك لا سبيل إلى نقله إلا في ترجمة دقيقة ليست من السهولة واليسر بحيث تظن .

فلا أعرض عليك ما أستطيع من هذه القصة معترفاً منذ الآن بأنه تلخيص للموضوع لا أكثر ولا أقل . ولا سلك في هذا العرض الطريق التي تعودت أن

أسلكها في غير هذه القصة ، فاضع أمامك الأشخاص كما أراد صاحب القصة
أن يكونوا .

والقصة تعتمد قبل كل شيء على التناقض بين شخصين متباهين تباينهما
تام في الطبيعة والذوق والمزاج ، ولكنهما يخدعان عن نفسيهما ويخيل
اليهما أنهما متفقان مؤتلفان لا تباين بينهما ولا تناقض .

فاما أحد هذين الشخصين فالزوج ، واسمـه « مكسيم مينار » رجل من
أغنياء باريس وأصحاب الاعمال فيها ، رجل كغيره من الناس ، عادى نو^{ذوقه ومزاجه ، وربما كان الى الطبقة السفلية اقرب منه الى الطبقة العليا ، فان}
امتاز بشيء فهو يمتاز بجهة في العمل ومهارته في تصريف الأمور المالية ،
وهو لذلك كثير الصمت قليل الكلام قليل الحركة أيضا ، لا يكاد يتصور الحياة
الا على أنها انها انها في العمل حين يكون في مكتبه ، وأكل ونوم حين يأوي إلى
بيته . وهو على ذلك قانع بهذه الحياة ، يرى فيها المثل الأعلى للسعادة . وهو
لا يفهم من الزوجية الا أن يرى امرأته في البيت زينة له وأداة لنهوه الذي
لا يصيب منه الا قليلا من حين الى حين . وهو يفهم الأمانة الزوجية كما يفهمها
غيره من الناس ، لا يخون زوجه ولا يريد أن تخونه زوجه ، يكره العبث ،
ويسيء الظن بكل لون من ألوان المجنون والمزاج ، ولكنه مع هذا كله ضعيف
طيب القلب مستعد للغفو ان وقع له ما من شأنه أن يحفظ الرجال . هو رجل
طيب ولكنه يعيش في الأرض وليس له جناحان يستطيع أن يرتفع بهما في
الجو ولو قليلا .

اما امرأته « جاكلين » فجميلة خلابة ككل نساء القصص . ولكنها تناقض
زوجها أشد المناقض ، فهي قوية الخيال تعيش في السماء لا في الأرض ،
لاترى الناس كما هم ، وإنما تراهم كما تحب أن يكونوا ، تصوغهم صوغًا خاصا ،
وتسبح عليهم صورتها الخاصة ، ثم تعيش معهم بعد ذلك عيشة راضية ملؤها
الصفاء والطهر والثقة والإيمان . ذلك أن نفسها تتصرف بهذه الصفات كتها ،
فهي راقية تتنزه عن الدنيايات . وهي ظاهرة لا يكاد يخطر لها الاسم على بال .
وهي مطمئنة على نفسها فيبعثها ذلك على أن تطمئن إلى الناس وتشق بهم ثقة

لا حد لها . وهي على هذا كله مترفة في تفكيرها وشعورها ، رقيقة العاطفة ، رقيقة المزاج قوية الحس ، تألم لكل شيء وتسر لكل شيء ، وتنتقل من الألم إلى السرور ومن السرور إلى الألم في سرعة غريبة ، تعيش في حلم مستمر ، وهي بعد هذا كله قد صاحت زوجها في صورة ملائمة لصورتها ، فاستيقنت أنه أجل الناس ، وأكرمهم ، وأرقهم طبعاً ، وأصفاهم مزاجاً ، وأبعدهم نظراً ، وأصدقهم حكماً على الأشياء والناس أيضاً ، حتى إذا أسبغت عليه هذه الصورة الجميلة الخلابة أحبته وفتنت به ، واندفعت في هذا الحب والفتنة إلى أقصى أهداف ممكن ، وأخذت تؤول عيوبه على أنها محاسن ومزايا . هو كثير التصمت لا يتحدث إليها في الحب والغزل ذلك لأنّه رقيق دقيق ، ولأنّ الحب أجل من أن يتناوله الكلام ، ولأنّ الكلام يفسد الحب إذا تناوله . وما حاجتها إلى الكلام !ليس يكفي أن ينظر إليها زوجها فتري في هذه النظرات ما تشاء من سب وشفف وولاء وإخلاص ! وهو لا يحب اللهو ولا السهر ، وما حاجتها إلى اللهو والسرور ! ليس ذلك دليلاً على أنه رجل جد وعمل ! وما حاجتها تراه وقد عاد إلى البيت فنظر في رسائله ثم قال بصوت مغضب : مالنا لأنذهب إلى المائدة ! إن في هذا كله لها وفتنة . وعلى هذا التحذير أحب زوجها وسعدت بحبه ثلاثة أعوام كاملة ، واتخذت نفسها وزوجها مثلاً أعلى للأسرة السعيدة المتحابية . ولكنها كانت تجهل زوجها ، وكانت تجهل نفسها أيضاً ، وكانت هي حاجة إلى حادثة من الحوادث تظهرها على حقيقة نفسها ، وتعرض عليها زوجها كما هو ، وتنزلها من السحاب الذي كانت تعيش فيه إلى الأرض لترى الناس والأشياء كما أراد الله أن يكونوا لا كما صورهم الخيال .

ومن غريب الأمر أن في هذه القصة شخصا ثالثا ينافق « جاكلين » من بعض الوجوه ، ويوافقها من بعضها الآخر ، وهو مثل شائع الآن في فرنسا . هذا الشخص هو « جيزيل » اخت « جاكلين » . فتاة تدرس الطب ، حرة في لفظها وحركاتها وسيرتها ، مسرقة في هذه المدرسة ، لا تتحرج من أن تستعمل في لغتها انعاظا يألفها الطلاب وحدهم وينفر منها المترفون ، ولا تتحرج من أن تقضى يومها وشطرها من ليتها مع الشبان في فهو وعيث ومجون ، ولا تكره أن تعود إلى بيتها بعد منتصف الليل وقد لهت ورقصت وصاحبتها إلى البيت شاب من زملائها في الدرس ، ولكنها على هذا كله طاهرة السيرة ، تستطيع أن

تعول لا يختها أنها على عبئها ولها لا تزال عذراء وستظل عذراء . وهي لا تكره أن تعلن إلى اختها في صراحة أن الحب قد بطل في هذا العصر ، وأن البدعة إنما هي في الدعاية والعبث ليس غير . ومن دون هذا كلها قلب خير ملؤه البر والحنان ، ونفس راقية تحب المثل الأعلى وتطمح إليه ، ولكنها تراه عزيزا فتسامع ، وتنظر إلى الحياة مبتسمة في شيء من السخرية المرة تشفيها حلاوة متكلفة . هي كاختها لو لا أن حظها من العقل يفوق حظها من الخيال .

وهناك شخص رابع هو أم هاتين الفتاتين ، امرأة متقدمة في السن تمثل عصرها وتعيش غريبة في هذا العصر الجديد ، لا تفهم « جاكلين » لأنها تعيش في السحاب ، ولا تفهم « جينيل » لأنها تخللت من القيود المألوفة ، وهي معدية بينهما دائمًا انهم مستقلانها .

ثم هناك شخص خامس نستطيع أن نقول أنه البطل الثاني من أبطال هذه القصة ، وهو « اندريله مورو » شاب قد جاوز الثلاثين قليلا ، حسن الطلة ، منق الزى ، غنى ، متصل بالأسر الراقية ، شديد الحياة ولكنه حاد العاطفة والمزاج ، ضعيف فيما يظهر لا يكاد يملك نفسه ولا يسيطر على عواطفها ، أكاد أرى أن الكاتبين قد خلقاه خلقا وبعدها به بعض الشيء عن الأشخاص المألوفين . وهو كما خلقاه خفيف الروح جذاب ، عذب اللسان منطلقة ، يندفع في ذلك حتى يخيل إليك أنه مجنون ، وهو فيحقيقة الأمر مجنون . قد ذهب الحب بعقله حينا فأصبح كهولاً الذين يخضعون للتنويم المغناطيسي .

* * *

هؤلاء هم أشخاص القصة . والقصة في نفسها قصيرة كما أن الوقت الذي تقع فيه قصيرة ، لا يكاد يتتجاوز الـ يومين . أو أقل لا يكاد يصل إليها . وهي تذكرنا كما قلت بقصة الحب لو لا أن الزوجين في قصة الحب كانوا مُؤتلفين في رقة الطبع ورقى النفس ، وهما في هذه القصة مختلفان ، ومن هنا انتصرت الزوجية في قصة الحب ، وإنهزمت في هذه القصة ، لو لا أن قصة الحب جد كلها ، وهذه القصة جد قد صيغ في لفظ فكاهي .

نحن في بيت في « جاكلين » آخر النهار وقد فرغت من استقبال زائرتها في هذا اليوم الذي تعودت أن تستقبلهم فيه كل أسبوع ، وخلت إلى أختها « جيزيل » فكان بينهما حديث نفهم منه الفرق بينهما في الطبيعة والمزاج ، مما نتجدهان عن صديقة بلاكلين ، فأما « جاكلين » فمفتونة بها قد أسبغت عليها صورتها الخاصة وأخذت تصرف في الثناء عليها . وأما « جيزيل » فقد رأتها كما هي ، وأخذت تهون من شفف أختها . وتمضيأن في الحديث فتناولان أشياء كثيرة يظهر فيها ما بينهما من الاختلاف في الذوق والحكم ، ولكن يظهر في الوقت نفسه أن بينهما حباً ومودة تقربان مسافة هذا الخلف ونمط كل من الآختين على الآخر . وقد لامت « جاكلين » أختها لأنها لا تهان لائزورها كثيراً ولا تشق بها ولا تطمئن إليها في الحديث ، واتفقنا بعد حوار طريف على أن تستأنفا حياة الآختين في ثقة وطمأنينة . وقد فهمنا من هذا الحديث أيضاً أن « مكسيم » مسافر لبعض عمله في بلجيكا ، ورأينا حب « جاكلين » إيه ، وفهمنا أن « جيزيل » مزورة عنه بعض الأذورار . وتقبل أمها مضحكة مضطربة لا تدري علام تقبل من الأمر ، أتمكت مع ابنتها أم تعود إلى بيتهما ، ثم يستقر رأيها على العودة فتنصرف مع ابنتها الفتاة وتخلو « جاكلين » إلى نفسها . فتحس أنها تشعر بشيء من الضجر بوحدتها ، وهي تريد أن تصرف إلى غرفتها فتناول فيها العشاء ، وهي تهم بذلك لولا أن الحاديم يدخل عليها رجلاً ، تنظر إليه فإذا هو « مورو » . وكانت قد رأت هذا الشاب مرة واحدة في بعض الأسفار فانتت إليه وآنس إليها ، وتحدثا فاطلا الحديث . وأقبل هذا الشاب يزورها في يوم استقبالها ، ولكنه أقبل متأخراً فيعتذر من هذا التأخير أول الأمر ثم يعترف بأنه تعمده بعد ذلك ، ثم يفتح في الثناء على « جاكلين » ويظهر اغتباطه بذلك الحديث ، ثم يهم بالانصراف معتذراً ولكنه يلتمس سبيلاً للبقاء ، أو يلتمس سبيلاً إلى العودة ، فيعرض على صاحبته أنه يريد أن يستشيرها في أمر ذي بال ، وأن الوقت متأخر فهو يستاذنها في أن يعود ليسشيرها - في زيارة أخرى . أما هي فتکاد تحس رضاها عن هذا الحديث وميلها إلى هذا الفتى . وقد أذنت له أن يعود ، ثم بدا لها فامرته أن يبقى ، وأن يعرض قصته فوراً . فيبقى ، وينبئها بأنه اختلف في الشفاء إلى أحدى الأسر فاتصلت المودة بينه وبينها ، وفي هذه الأسرة

فتاة . فاحس أن الأسرة تطمع في أن يخطبها ، فهو مضطرب لا يدري أيقطع الصلة بيته وبين هذه الأسرة لأنه لا يريد أن يتزوج أم يحتفظ بها . أما « جاكلين » فتدھش لأن صاحبها يستشيرها في مثل هذا الأمر وهي لا تكاد تعرفه ، ولكنه قد أنس إليها حين رأها في المرة الأولى ورأى منها صراحة ونصحا وآخلاقا فطمع في أن يستشيرها واطمأن إلى رأيها . وهي لا تدري بهم تشير عليه ، ولكنها كما قلت لك طيبة انتنفس ، صادقة العاطفة . فانظر إليها وقد اندفعت تلوم صاحبها لوما عنيفا لأنه يستشيرها في مثل هذا الأمر وهي ترى أنه أمر لا يتحمل المشورة ، فأنت بين اثنين : أما أن تحس بشيء من الميل إلى هذه الفتاة ، وأذن فاحتفظ بالصلة وامض حتى تنتهي إلى الزواج ، وأما لا تحس شيئا وأذن فلا ينبغي أن تطمع هذه الفتاة ولا أن تضللاها . وصاحبنا لا يحس شيئا وأذن فسيقطع الصلة . ولكن « جاكلين » يروعها هذا وتشفع أن تكون مشورتها عقبة في سبيل السعادة الزوجية التي تطمع فيها هذه الفتاة ، فتنصح لصاحبها بالانارة والتفكير ، وتندفع في حديث عن الحب لذيد كله حرارة وصدق وآخلاق ، وقد اندفعت فيه حتى تناولت نفسها وزوجها وسعادتها ، ولم تفك أو قل لم تشعر بما ترك في نفس هذا الشاب من الآخر . وهي تجده لذة في حديثها إليه ، وهو يجد لذة في الاستماع إليها ، وما تزال في الحديث وما يزال هو في الاستماع والسؤال أحيانا حتى ينتهي الأمر إلى أقصاه ، وقد خلبت انفتي وحبيت إليه الزواج ، فاستقر رأيه على أن يرجع إلى بيت الفتاة فيخطبها من فوره . وهي الآن تنصح له إلا يتبعجل في الخطبة بعد أن كانت تنصح له إلا يتتعجل في القطيعة .

وقد فهمنا من كل هذا أنها تجد لذة في الحديث ، وأن الفتى مفتون باستماع حديثها . وهما في ذلك وقد تقدم الليل وإذا « مكسيم » قد أقبل ولم يكن متظرا ، إنما كانت تنتظر عودته من الغد . أقبل فلم يجد أحدا من الخدم ، وعالج بباب الدار حتى فتحه ، وتقدم حتى انتهت إلى غرفة الاستقبال دون أن يظفر بخدم ، فلما دخل الغرفة رأى زوجه تتحدث إلى أجنبي . دھش ودهشت وبهت الزائر ونهض مودعا واتصرف ، وخلا الزوجان ، ولكن بينهما شيئا . أما هي فلم تكن تنتظر هذه العودة ، وأما هو فلم يكن ينتظرك أن يرى

هذا الاُجنبى ، ولم يكن ينتظرك لئن تستقبله امرأته هذا الاستقبال ولا سيما وقد قدم عودته يوما وأبرق بذلك الى امرأته ، ولكن الرسالة لم تصل اليها ، ونام الدليل على ذلك فوصلت الرسالة أثناء حوارهما . ولكن في نفس الرجل شيئاً على كل حال ، فهو يسأل عن هذا الاُجنبى في شيء من الازدراء أول الأمر ، ثم تشتد عنایته به شيئاً فشيئاً ويظهر الشك قليلاً قليلاً . والمرأة مخلصة في الاغياب بعد زوجها ، ولكن هذا الشك يؤلمها . يدهشها أولاً ، ثم يؤذيها ، ثم تحس الإهانة ، ثم تكبر نفسها وترى أنها أرفع من أن تهبط إلى حيث تدافع عن شرفها . وبينما تغلو في انكيرها يغلو زوجها أن هذه آثار الحوف وبينما تؤثر الكبرياء فيها فيظهر عليها الغضب يظن زوجها أن هذه آثار الحوف والريبة ، وما هي إلا أن ينتهي إلى اللوم ثم إلى التعنيف ، وكلما مضى في ذلك استد سخط المرأة وكبرياؤها ، فخيل إليه أن الحوف والذعر هما اللذان يشتداان ، حتى ينتهي به الأمر إلى الاتهام ، وينتهي بها هي إلى أن تزدرى زوجها فتتهم نفسها أيضاً . وقد انتهت الغيرة بالرجل إلى اقصاها ، وانتهى الغضب والكبriاء بالمرأة إلى أقصاها فترك زوجها وأغلقت من دونه الباب .

* * *

فإذا كان الفصل الثاني فنحن حيث كنا في الفصل الأول من الفساد ، و « جاكلين » منصرفة إلى أعمال بيتها تامر خادمها ببعض الشأن . ونحن نحسن أنها ذالم وأنها ترى أن قد أهينت في كرامتها وكبريائتها ، ولكنها لا تقول شيئاً ولا تظهر شيئاً . ولكن هذه أمها قد أقيمت في شكلها المضحك دائمًا ، وهي مضطربة مذعورة ، فإذا رأتها ابنتها خيل إليها أنها مريضة ، ثم ظنت أن اختها قد آذتها ، ثم تبيّنت آخر الأمر أن زوجها قد ذهب إليها وقضى عليها ما كان أمس وغلا في القصص ، فيسوءها ذلك ويؤذيها في شرفها وكبريائتها . ولكنها تطمع في أن تكون أمها قد دافعت عنها . وقد فعلت أمها فنهرت الرجل وقالت في ابنتها ما تقوله الأمهات . و « جاكلين » أذن سعيدة قبل أمها في حنان وبر . ولكن لا تلبث الشيعنة أن تطلب إلى ابنتها أن تستعطف زوجها وتصلح ما بينهما من الأمر . فإذا مضت في الحديث قليلاً أحسست « جاكلين » أن أمها قد صدقـت ما قالـ فيـها الزوج ، فتكلـفتـ الدـفاعـ ولـكنـهاـ مـقـتنـعةـ فيـماـ بـيـنـهاـ وـبـيـنـ

نفسها بـان ابنتها آئـة ، فيؤـلـمـها ذـلـكـ وـيـؤـذـيـهاـ ايـذـاءـ شـدـيدـاـ تـكـتمـهـ وـلـكـنـهـ معـ ذـلـكـ ظـاهـرـ ، لـاتـكـادـ تـفـهـمـهـ الشـيـخـةـ ، وـنـفـهـمـهـ نـحـنـ فـىـ وـضـوـحـ وـجـلـاءـ .

وهـذـهـ «ـجيـزـيلـ»ـ مـقـبـلـةـ .ـ وـلـسـتـ الـخـصـ لـكـ مـحاـولـةـ الشـيـخـةـ اـقـصـاـعـهـاـ وـاخـفـاءـ الـأـمـرـ عـلـيـهـاـ فـىـ حـوارـ بـدـيـعـ وـحـرـكـاتـ مـضـحـكـةـ ،ـ وـلـكـنـهـ قـدـ دـخـلـتـ عـلـىـ كـلـ حـالـ وـخـنـتـ إـلـىـ أـخـتـهـاـ ،ـ وـهـىـ تـذـكـرـ مـاـكـانـ بـيـنـهـمـاـ مـنـ عـهـدـ أـمـسـ ،ـ وـقـدـ سـمـعـتـ «ـمـكـيمـ»ـ ،ـ وـهـوـ يـحـدـثـ أـمـهـاـ بـالـقـصـةـ فـاقـبـلـتـ تـؤـاسـىـ أـخـتـهـاـ وـتـظـهـرـ لـهـاـ الـعـطـفـ وـالـنـصـحـ وـالـمـوـدـةـ .ـ وـاسـمـعـ لـهـاـ تـهـنـيـهـ أـخـتـهـاـ بـاـنـهـاـ قـدـ اـتـخـذـتـ لـهـاـ خـلـيـلاـ وـخـانـتـ هـذـاـ زـوـجـ الـذـىـ لـاـ يـسـتـحـقـ إـلـاـ أـنـ يـخـانـ ،ـ وـإـذـنـ فـهـىـ أـيـضـاـ تـهـمـ أـخـتـهـاـ وـتـصـدـقـ فـيـهـاـ الـفـاحـشـةـ !ـ فـلـاـ يـزـيدـ ذـلـكـ «ـجاـكـلـينـ»ـ ،ـ إـلـاـ أـمـاـ وـيـاسـاـ ،ـ وـلـكـنـهـ تـمـلـكـ نـفـسـهـ وـتـأـخـذـ الـأـمـرـ فـىـ سـخـرـيـةـ وـعـبـثـ مـنـ دـوـنـهـمـاـ أـلـمـ شـدـيدـ .

وـهـنـ فـىـ ذـلـكـ وـاـذـ بـالـخـادـمـ يـسـتـأـذـنـ لـوـرـوـ ،ـ فـاـمـاـ الشـيـخـةـ فـيـحـنـقـهـ ذـلـكـ .ـ وـئـمـاـ «ـجاـكـلـينـ»ـ فـتـسـتـقـبـلـهـ ،ـ وـهـىـ تـسـتـقـبـلـهـ بـاسـمـهـ وـهـوـ يـقـضـ عـلـيـهـ أـمـرـهـ وـأـنـهـ خـرـجـ مـنـ عـنـدـهـاـ أـمـسـ مـتـأـثـرـاـ مـفـتوـنـاـ فـلـمـ يـمـلـكـ نـفـسـهـ فـذـهـبـ لـأـهـلـ الـفـتـاةـ وـجـلـسـ إـلـيـهـاـ ،ـ ثـمـ لـمـ يـلـبـسـ أـنـ تـعـقـقـ أـنـهـاـ لـاـ تـرـضـىـ مـثـلـهـ إـلـاـ عـلـىـ .ـ فـاـنـصـرـفـ عـنـهـاـ وـعـدـلـ عـنـ اـتـخـاذـهـاـ زـوـجـاـ .ـ وـهـذـاـ كـلـهـ يـلـهـىـ «ـجاـكـلـينـ»ـ ،ـ وـيـلـنـهـاـ وـيـسـلـيـهـاـ بـعـضـ الشـىـءـ .ـ وـلـكـنـ الـفـتـىـ يـمـضـىـ فـىـ حـدـيـثـهـ فـيـخـبـرـهـاـ بـاـنـهـ وـاـنـ كـانـ قـدـ اـنـصـرـفـ عـنـ هـذـهـ الـفـتـاةـ وـعـرـفـ أـنـهـ لـاـ يـحـبـهـ ،ـ يـشـعـرـ مـعـ ذـلـكـ بـاـنـهـ يـحـبـ .ـ وـآـيـةـ ذـلـكـ أـنـهـ لـمـ يـنـمـ اللـيـلـ ،ـ وـأـنـهـ يـرـىـ الـحـيـاةـ قـدـ تـغـيـرـتـ كـلـهـاـ ،ـ فـهـوـ اـذـنـ يـحـبـ ،ـ وـلـكـنـ مـنـ يـحـبـ؟ـ وـهـوـ يـفـكـرـ وـيـسـالـ نـفـسـهـ .ـ وـاـنـظـرـ إـلـيـهـ وـقـدـ كـشـفـ الـحـقـيقـةـ فـجـأـةـ وـأـعـلـنـهـاـ فـجـأـةـ :ـ فـهـيـوـ يـحـبـ «ـجاـكـلـينـ»ـ وـيـعـلـمـ إـلـيـهـاـذـلـكـ فـىـ لـهـجـةـ مـضـحـكـةـ مـؤـثـرـةـمـعـاـ .ـ وـهـىـ تـدـهـشـ لـذـلـكـ أـوـلـ الـأـمـرـ ،ـ ثـمـ تـغـضـبـ ثـمـ تـشـوـرـ ،ـ وـلـكـنـ هـذـاـ كـلـهـ لـاـ يـزـيدـ صـاحـبـنـاـ الـأـقـتنـاعـ بـاـنـهـ يـحـبـهـاـ وـالـخـاـحاـ فـىـ اـعـلـانـ هـذـاـ الـحـبـ ،ـ وـهـىـ تـنـهـرـهـ وـتـطرـدـهـ وـتـقصـيـهـ ،ـ وـلـكـنـهـ لـاـ يـزـيدـ إـلـاـ الـخـاـحاـ وـاـصـرـارـاـ .ـ ثـمـ يـسـتـكـشـفـ أـنـهـاـ هـىـ لـاـ تـكـرـهـهـ وـقـدـ لـاـ تـجـهـهـ ،ـ وـلـكـنـهـ تـعـيـلـ إـلـيـهـ بـعـضـ الـمـيـلـ .ـ وـيـسـتـدـلـ عـلـىـ ذـلـكـ بـاـنـسـهـاـ إـلـيـهـ لـاـوـلـ مـاـ لـقـيـتـهـ وـاـطـمـشـتـاـنـهـاـ إـلـيـهـ فـىـ الـمـرـةـ الثـانـيـةـ .ـ وـهـىـ تـدـفـعـ عـنـ نـفـسـهـ مـفـضـبـةـ ثـائـرـةـ وـقـدـ زـادـ ذـلـكـ عـىـ اـيـدـائـهـاـ ،ـ فـزـوـجـهـاـ يـتـهـمـهـاـ ،ـ وـأـمـهـاـ وـأـخـتـهـاـ يـصـدـقـانـ هـذـهـ التـهـمـةـ ،ـ وـهـذـاـ

النتي لا يستبعد التهمة أيضاً . وقد انتهت الى اخراج هذا الفتى ولكنها عذرت زوجها وأخذت تلوم نفسها على هذا الكبر الذي وضعها هذا الموضوع السبئ ، وقبلت أو رغبت في أن ترى زوجها وتستعطفه وتظهره على جلية الأمر . ويقبل زوجها فتلتقاه باسمة واثقة مطمئنة وترضاه ، ولكنها كلما حاولت أن تبسط له حقيقة الأمر مضى هو في الاتهام ثم انتقل منه الى العطف ثم الى العفو . فهو اذن يأبى الا ان تكون زوجه آئمة ، وكثيراً ما تأبى أن تصرح له بجلية الأمر . وقد وقع بينهما ما لم يكن بد من وقوعه ، وظهر أنهما مخدعان اختلافاً أساسياً ، فهو لا يؤمن بها ولا يقدسها بل يراها كغيرها من النساء ، وهي تالم لذلك ولكنها قبله وتحفي الالم وتشكر زوجها على العفو اذا طلب اليها هذا الشكر .

* * *

فإذا كان الفصل الثالث فنحن حيث كنا في الفصلين الأولين من الفد ، ولكننا نرى « مكسيم » ضيق الصدر ينتظر امرأته التي خرجت فابطأت في المودة ، وقد جاء ميعاد الغداء وهو جائع يتضور ، ويطلب إلى الخادم ما يتبلغ به . وهذه « جاكلين » مقبلة ، فهو يلقاها ساخطاً لأنها ، يعنيها لأنها بعد الذي كان أمس قد أسرفت في عدم الاكتتراث به . أما هي فتجيبه في سخرية مؤلمة بأن هذا اللون من التشديد لا يليق به بعد هذا العفو الذي أصدره أمس ، على أنها قد تناولت غدائها في باريس في أحد المطاعم ، وعلى أنها لا تعرف أين قتعشى ، وعلى أنها قد تريده أن تذهب إلى أحد المراقص . وكل هذه الأحاديث يدهش لها « مكسيم » ، ثم يغضب ، ثم يحاول أن يستعمل سلطته وأن يقهر امرأته على أن تحيا حياة ملائمة . ولكنها تنكر عليه ذلك في سخرية .ليس قد عرف أنها آئمة ثم عفا عنها فهو اذن يبيع لها الائم ! فليبيع لها الحرية . وهما في هذا الموارد إذا أنها مقبلة ، فينصرف الرجل إلى غدائها ، وتعلن الفتاة إلى أنها في شيء من الإبهام والسخرية أنها لا تحب زوجها ، وأنها قد عرفته وكشفت أمره وقد كانت تجهله ، فهو رجل كفيرة من الناس ، وأ أنها لا تفهم من هذا الحديث شيئاً . ويفرغ الرجل من غدائها ويعود فيسأل امرأته كيف تريده أن تقضي بقية النهار فلا تجيبة بشيء مقنع ، ثم تنصرف عنه مع أنها إلى غرفتها . وتقبل « جيزيل » ، فإذا لقيها تنكر لها وتنكرت له ، ثم كان

بينهما حوار لذيد يفهم منه « مكسيم » أن امرأته بريئة ، وأنها لم تأثم ، ونفهم حين أن هذه الفتاة نادمة لأنها أساءت الغطن باختها وأذتها في شرفها . والرجل لا يعرف كيف يحتال في أرضاء امرأته ، فهو يقترح لوانا من الترضية: يريد أن يستعطفها ، ويريد أن يهدى إليها هدية ، ويريد أن يقبلها ، ثم يبدو له فيرى أن الحال الملائم إنما هو أن ينصرف ، وكذلك يفعل . وتاتي « جاكلين » فإذا رأت اختها كان بينهما حوار جاف تفهم منه ألم « جاكلين » وندم الفتاة وحنانها وكرياءها أيضا .

ولكن هذا الخادم يستاذن مورو ، فترفض استقباله ، ثم يعود الخادم فيلعن ويذهب ، بأن مورو قد جلس وأعلن أنه لن ينصرف ، فتاذن له مغضبة و تستفيه منه زاجرة . ولكنه الآن هادئ مطمئن رزين يطلب إليها في صوت كله دعوة وطمأنينة أن تتفضل بتناول العشاء عنده مع زوجها . أما هي فترفض مغضبة ويلع هو متلطفا فتابى . وقد أخذت تدهش لـ أنه لا يتحدث إليها في حبه ، وهي لا تملك نفسها أن تسأله : أثاب إلى الرشد منذ أمس ؟ فيعتذر في دعوه وهدوء . وكانها تالم لتغير لهجته ، وكانت تريده أن تراه مشغوفا مفتونا فتنهره وتزجره فأخذها شيء من الحزن حين رأته هادئا يعتذر ، فهي تلومه في لطف وحزن على ما كان منه أمس . وانظر إليه وقد انفجر وترك مكان فيه من دعوه وهدوء وأخذ يعلن إليها أنه يحبها ويحبها ويحبها ، وأنه إنما تکف هذه العشاء وهذا الهدوء ليستطيع أن يراها ، وأنه كان يريد أن يعتدل ويهدأ ويزورها من وقت لآخر زيارة هادئة محشية مكتفيا بذلك ، فاما وقد أبى إلا أن يتكلم فهو يتكلم ، وهو يحبها ويحبها ويحبها . ونحس نحن أنها تجد شيئا من اللذة في أن تسمع هذا الحديث ، ولكنها مع ذلك مغضبة ثائرة تنهره وتزجره وتزعم له أنه لا يعرف من أمرها شيئا ، ولا يستطيع أن يحبها . ويأخذ هو في وصفها ، حتى إذا انتهى إلى أنها سعيدة في حياتها المنزلية أنكرت عليه ذلك وألمت في الانكار فإذا هو سعيد مقتبطة ، يرى أنه قد هان كل شيء في سبيل حبه ، فهو يقبل عليها يأخذ بيدها ويدعوها إلى أن تمضي معه ، وهو يهم بتقبيلها وهي تدافعه عن نفسها في قوة شديدة وضعف شديد مما . وهي قد اضطرت إلى أن تستخدم آخر سلاح فتعلن إليه أنها عاشقة وإن

لها خليلا . . يصدق ذلك أول الأمر ، ثم لا يلبث أن يفطن فينكر ويذكر في عنت ، ويعلن إليها أنها تكذب لتدافع عن نفسها ، وأنه لن يصدق شيئا من هذا وأنه لو رأها بين ذراعي رجل لما صدق أنها عاشقة . وهو كلما مضى في لهذا الحديث صادف منها قبولا ورضا . وانظر إليها الآن مطمئنة هادئة ، ولكنها تبكي في صمت وتشكر له إيمانه بها وحسن رأيه فيها ، ثم تطلب منه أن ينصرف الآن ، فإذا أبى أخذت عليه في رفق وفهمتها أنها تعجبه ، وأنها تعرف بهذا الحب . ولم لا ؟ فهو الشخص الوحيد الذي آمن بها وبرأها من هذه التهمة . وهو يقبل أن ينصرف ، ولكن على أن يعود إذا عجز عن المضي في طريقه . وما يكاد يخرج حتى يعود زوجها باسمها مبتهجا ، فينبئها بأنه قد استأجر لها مكانا في الأوبرا حيث الرقص هذا المساء ، ولكنها تعذر . واذن فسيصحبها زوجها للعشاء في أحد المطاعم ، ولكنها تعذر . واذن فسيقيان في البيت ولكنها تستدنيه وتتبئه بأنها لا تعجبه وقد انصرفت عنه . أما هي فمغرور مفتون بنفسه واثق بسلطانه فهو لا يحفل بهذه الإعلان ولكنه يمضي في حديثه مداعبا هازئا وهي تطلب إليه حريتها فيجيبها في دعاية وهزء ، وقد أقبل الخادم يستأذن مرة أخرى لمورو . فيأخذن له مبتهجا بلقائه ، ويعذر إليه بأنه أساء لقاءه في المرة الأولى فقد كان متبعا من آثار السفر ، وهو يدعوه إلى العشاء معهما هذه الليلة ، فيعتذر الفتى محرجا . ويعلن «مكسيم» أسفه ويلع في أن يتعشى معهما في أحد ليالي الأسبوع . ثم يعتذر ببعض العمل وينصرف عمدا تاركا لزوجه ترتيب أمر العشاء .

فإذا انصرف نظر كل من العاشقين إلى صاحبه في شيء من المخرج والضيق ثم جلس الفتى وطال الصمت حينا ثم أعلن إليها في هدوء أن اسمه الخاص أندريه . .

اللصاف

تقدم لك كل الطلبات

شركة الاعلانات المصرية



- * تؤلف ملصقاتها أضخم شبكة إعلانية من اللوحات في القاهرة والاسكندرية والطرق الصحراوية والأقاليم
- * تحقق للمعلنين الفائدة كاملة من حلولتهم الاعلانية
- * خدمة فنية تفوق على الترقاية الدائمة والصيانة التامة التامة

الغواصون

قصة تعبيرية للكاتب الفرنسي
لويس بستان



هي قصة جديدة شهدتها جمهور الباريسين في بيت موليير آخر العام الماضي . ولعلها خير ما ظهر للناس في هذا الفصل من فصل التمثيل . وآية ذلك أنها ظهرت لأول مرة في بيت موليير (الكوميدي فرنسيز) ولم تتعجب إلى أن تتخلد إليه الطرق الموجة أو المستقيمة التي تتخلدها قصص أخرى فتظهر في ملابع مختلفة ولا تصل إلى بيت موليير حتى يمضي عليها زمن طويل أو قصير .

وأنت لا تحتاج إلى كثير من التفكير ، بل لا تحتاج إلى شيء من التفكير إذا قرأت هذه القصة لتشعر شعوراً قوياً واضحاً بأنها خلية بيت موليير ، وفيها كل ما يلائم هذا البيت من شدة الإسرار وقوة الفكر . وهذا الجد الذي تلذه دون أن يشغل عليك والذي تميز به الآثار الفرنسية القيمة . ولعل من الحق أيضاً أنلاحظ أني لم أقرأ في هذه الأعوام الأخيرة قصة حديثة أحدثت في نفسى من الآثر ما أحدثته هذه القصة ، لا أستثنى إلا ما يكتبه « فرنسوا دى ك سوريل » من حين إلى حين .

فلست أقول شيئاً جديداً إن قلت أن النقاد الفرنسيين يلاحظون أن فن التمثيل قد أصابه شيء من الفتور غير قليل في هذه الأيام ، فقلما تجده في عشرات القصص التي ينتجها الكتاب في كل عام بل في كل فصل قصة تملك عليك عواطفك ، وتأخذ عليك طرق العيادة والتفكير ، وتكرهك على أن تقف عليها وتحدها حياتك العقلية والشعرية أنساق راءتها في مكتبك أو مشاهدتها في الملعب ، إنما هي قصص سهلة يسيرة ، فيها عبث ولهو أو فيها تفكير غير متقن ، وحوار خفيف لذين يمس الموضوعات في غير انتقال ولا أناة ولا اختصار خلاصتها . فأنتم تقرأون تشهدون هذه القصص ، وأنت تجد في هذا شيئاً من اللهو والفكاهة أو تحتاج إلى شيء من التفكير لا تلبث أن تنصرف عنه متى انصرفت عن

القصة . وأنت لا تكاد تنصرف عنها حتى تنسي موضوعها وحوارها وأشخاصها ، وحتى ليحدثك في أمرها محدث بعد أن يمضى على ذلك شهر أو بعض شهرين فإذا أنت لا تكاد تذكر فيها شيئا ، فاما هذه القصص التي تقرؤها فإذا أنت تحفظ بعض حوارها حفظا ، وإذا أشخاصها كلهم أو بعضهم قد ارتسموا في نفسك ارساما ، فأنت تراهم يقطنان ، وأنت تتوهمهم نائما ، وإذا موضوعها قد نصب أمام عقلك نصبنا ، وأقسام لا يزول ولا ينتقل حتى تفكروا متصلوا وحتى تجد له حالا يلائم عقلك وحالك . هذه القصص قد بعد العهد بها منذ مات « بول هرفين » وانصرف كبار الكتاب إلى مجدهم يلهون به ويستمتعون بشماراته ، كما يلهو به استطاليس لأنّه لا يعلم إلا نفسه ولا يعجب إلا بنفسه . حتى بعض الكتاب الذين عرّفوا قبل الحرب بالقرة والأيد وشدة التأثير في نفوس النّظارة والقراء .

والذين لم ينصرفوا إلى مجدهم وإنما ظلوا عملا لفن التّمثيل يجدون فيه بعد الحرب كما كانوا يجدون قبل الحرب وانساعها ، قد أصابهم الضعف وأدركهم الفتور . فأنتم تقرأ ما يكتبهون الآن فلا تحس ما كنت تحس من قبل ، بل أنت تذكر هؤلاء الكتاب انكارا وإن كان التقاد قد مهوا لقصصهم بالحصول الطوال ملؤها الثناء والتقويم اللذان لا حد لهما . ويسكفي أن ننظر إلى ما يكتبه « برونسين » الآن وما كان يكتبه قبل الحرب لنقتصر بأن هذه الظاهرة حقيقة لا بد من ملاحظتها والتماس أسبابها للذين يعنون بهذا الفن من فنون الأدب الفرنسي . ولكن لن أضيع وقتك ووقتي في التماس العلل لهذا الفتور الذي طرأ على كتاب التّمثيل ، فإن هذا الفتور ليس مقصورا على التّمثيل وحده وإنما يتناول الأدب الفرنسي كله بعد الحرب ، ويجب أن تلتمس عللـه في الحرب نفسها وما تركت في نفس هذا الجيل من أثر . إنما أردت أنلاحظ أن هذه القصة التي أعني بها اليوم تمتاز من هذه القصص الكثيرة التي تظهر وتختفى من ملاهي باريس دون أن ترك أثرا قويا أو ضعيفا . هذه القصة خلقة بالبقاء وستبقى ، وما أرى إلا أنها ستعم طويلا ، لأنـها - كما

قلت - قد جمعت هذه الخصال التي تمتاز بها الآثار الأدبية الفرنسية القيمة .

وللننظر قبل كل شيء إلى موضوع القصة ، فليس هو من هذه الموضوعات الضخمة الفخمة التي تخلبك لما لها من ضخامة وعظم شأنه . وليس هو من هذه الموضوعات النفسية الدقيقة التي تسرف في الدقة حتى لا يلاحظها إلا علماء النفس والذين وقفوا أنفسهم على تحليل ما لبعض الناس من ألوان العواطف والشعور الخاصة التي تدرس في المستشفيات . إنما هو موضوع عادي في نفسه يراه كل إنسان ويحسه ويشعر بآثاره ، لا يحتاج من ذلك إلا إلى حظ عادي من الذكاء والملاحظة ودقة الحس . وأى إنسان لا يعرف أن كل امرأة ، مهما تكون مقدمة النفس بين أسرتها الجديدة وأسرتها القديمة . أى الناس لا يعرف أن كل امرأة تتعرض لهذه الأزمة أزمة الخصومة بين حياتها الزوجية وحياتها المنزلية الأولى !! ثم أى الناس لا يعرف أن كل أسرة تتأسس فهي إنما تتأسس على الانفاس ، وهي إنما تقطع شيئاً كان متصلاً تتصل شيئاً كان مقطوعاً . فالفتاة حين تدخل في أسرتها الجديدة تقطع الصلة بين أبويهما قطعاً صريحاً أو غير صريح ، وتنسى صلة جديدة مع زوجها وهذه الصلة يقويها الحب أن كان هناك حب ، ثم تقويها الحياة اليومية ثم يقويها الولد يوم يأتي الولد . وقد أرادت الطبيعة الإنسانية أن يكون الحب والمنفعة المشتركة بين الزوجين ، والولد وضعفه و حاجته إلى التربية والتعليم ، ثم الآثار التي فطرنا عليها ، عنصر من شأنها أن تقوى الصلة الجديدة ، وتهون على الرجل والمرأة احتمال « عملية البت » التي يعدهما الزواج بينهما وبين أبويهما . ولكن نفوس الناس جميعاً ليست مسوية المخط من هذا الاحتمال ، وظروف الناس جميعاً ليست متشابهة ، فقد يوجد الحب ويكون من القوة والشدة بحيث يلهي الزوجين عن قدميهما ويفنيهما في الجديد . وقد يكون هذا الحب قوياً شديداً التأثير ولكنه يصادف مزاجاً قوياً وفيها يستطيع أن يتسع للقديم والجديد ، وأن يزعمه « الوفاء للأسرة والزوج » . وقد لا يوجد الحب أصلاً ، فيظل

الزوجان متأثرين بقديمهما وتكون الخصومة بين هذا القديم وبين المنفعة الجديدة التي تستتبعها الحياة الزوجية .

ونحن لم نفكر الى الاّن في الزوجين . فاذا فكرنا في أسرتيهما فسنرى أن هاتين الأسرتين لا تقبلان في رضا واطمئنان هذه القطيعة التي يعدهما الزواج بينهما وبين أبنائهما . فاما اسرة الزوج فساخطة أشد السخط ، متملة أشد الالم ، ذاكرة ما بذلت من جهد وما احتملت من تضحيه في تربية ابنتها وتنشئتها ، حتى اذا استقام له كل شيء لم يجز أبويه إلا بالعقوق ، واذا هو يؤثر عليهما امرأته ، واذا هو لا يحس أو لا يكاد يحس ما بينه وبينهما من صلة وما يعطفهمما عليه من عاطفة . وأما اسرة الزوجة فساخطة أشد السخط على هذا الزوج نفسه ، لانه قد أخذ ابنتهما من ناحية فقطع الصلة بين الآباء وبين هذه الفتاة التي بذلا في سبيلها ما بذلا من جهد ، واحتملوا في سبيلها ما احتملوا من تضحيه . ثم هو لا يقطع هذه الصلة فحسب ، ولكنه لا يزال يحب أسرته ويحافظ على أمه ، واذا فهو لا يحب امرأته كما ينبغي ! اذا فهو متصل بأسرته القديمة أكثر مما هو متصل بأسرته الجديدة !

كل هذه المعانى معروفة شائعة يحسها الناس جميعا . وهى من الالام الطبيعية التي تقوم عليها حياتنا الاجتماعية مهما تختلف الأزمنة والآمكنة . وقد يكون من الــ المباحثــ الأــدبــيةــ التــماــســ ما تركت هذه الخصومة بين الأسرة الجديدة والأسرة القديمة من الآثار الأدبــيةــ شــعــراــ وــنــشــراــ في مختلف اللغات .

والمعروف أن المرأة أشد اتصالاً بأسرتها وأكثر وفاء لاًبويهــاـ وأحفظ للمودة من الرجل . وأنها في الوقت نفسه شديدة الفيرة من أسرة زوجها ، تخاصــمــ أــمــهــ خــاصــاماــ شــدــيدــاــ ، وما تزالــ جــادــةــ فيــ هــذــاــ الخــاصــامــ حتى تنتهي الى الفوز وتطهر لاًسرتها الجديدة بالاستقلال . ولكنها لا تحاول او لا تكاد تحاول تحقيق هذا الاستقلال بالقياس الى أسرتها هــيــ ، فالصلة بينها وبين أبويهــاـ قــويــةــ ، والمودة متصلة ، وهي تظهرــهاــ من

أمرها على كل شيء و تستشيرهما في كل شيء . وزوجها يرضي حيناً ويُسخط حينما ، ويظهر الغفلة حينما ، وينتهي دائمًا إلى الادعاء .

وقد اختصار كاتبنا من كل هذه المعانى ومن كل هؤلاء الأشخاص المتبين في الأرض كلها طائفة ضيقة صغيرة ، عرضها علينا في قوة ومتانة ودقة تفكير . وشيء من التعقيد جديد ما كنا ننتظره نحن ، ولكنه رفع القصة من مستوى القصص العادية ، كما يقولون إلى مستوى القصص الممتازة بدقة البحث عن عواطف النفس وأهوائها . ذلك أن الكاتب محا أسرة الزوج محوًا تماماً . فنحن لا نعرف أباه ولا أمه ، وإنما نعرفه هو وحده ، ونعرفه قويًا له من الإرادة حظ عظيم جداً ، شديد السلطان على نفسه ، راغب في التسلط على غيره ، موفق في ذلك توفيقاً عظيماً ، وهو في الوقت نفسه هادئ المزاج حاد العاطفة ، هادئ في حياته العادية : كلما يظهر عليه الإضطراب أو الغضب ، ولكنه حاد العاطفة . يحب فلا يستطيع أن ينظم حبه ولا أن يضبطه . ويريد فلا يستطيع أن يضعف إرادته ويعولها عن وجهها . وتقع الخصومة بين حبه وإرادته فيندفع في الحب إلى أقصاه ، وفي الإرادة إلى أقصاها . ولا يستطيع أن يغلب أحدهما على الآخر ، فيظل موضوع النزاع العنيف بينهما ، ولو لا أن تعنى الظروف بإنقاذه لذهب ضحية هذا النزاع . وهو إلى هذا كله عالم طبيب يعني بطبعه عتية العلماء في العمل ، منصرف إلى تجاربه ، محاول أن يستكشف من هذا العلم ما يغير وجه البحث عنه وطرق العلاج فيه . وهو قوى في علمه قوته في حبه وفي إرادته ، فهو عبد لهذه الأشياء الثلاثة : الحب ، والعلم والإرادة . هذا الزوج هو « بير ريجو » .

أما امرأته « فريديريك » فهي في السادسة والعشرين من عمرها ، جميلة خلابة لكل نساء القصص ، ولكنها قوية الإرادة أيضًا ، شديدة الكبراء ، إذا هي فليس ما يصرفها عن همها مهما تكون النتائج . وهي محبة قوية الحب ، ليست أقل حباً من زوجها كما أنها ليست أقل إرادة منه . ولكن إرادتها فيما يظهر أقوى من حبها ، فهي تستطيع أن

تسلو ، بل هي تستطيع أن تالم ، وتألم في غير حد . ولكن حبها لهذا مفسم ، فهي لا تحب زوجها وحده ، وإنما تحب أباها مع زوجها . ولنلاحظ أنها فقدت أمها وهي حديثة السن ، فمعنى أبوها بتربيتها عنایة مضاعفة . ولنلاحظ أيضاً أن أباها لهذا شخص لا كالأشخاص : له حظ من قوة وبأس ، هو طبيب عالم كصر ، ولكنه متقدم في السن إلى حد ما ، يدانى الخمسين ، وهو على ذلك قوى له حظ من شباب ، حلو الحديث فتأن للنساء ، مفتون بهن مقرب اليهن . يتهم لكن عليه ويتفائس في حبه . وهو قد عنى بابنته عنایة شديدة ، فأحبته ابنته حباً شديداً ، وأحبها هو كذلك . ولكن في هذا الحب شيئاً غريباً ، فهو لا يشبه ما يكون بين الأب وابنته من البر والرحمة ، وإنما يشبه ما يكون بين الزوجين من الحنان والفتنة . آية ذلك أنك تبدأ في قراءة القصة وتمضي في الحوار بين الأب وابنته فلا تشک في أنه حوار بين زوجين أو بين عاشقين ، ويأخذك الدهش حين تستكشف بعد صحف من القصة أنهما أب وابنته .

فأنت ترى موضع المقصومة ، وأنت تحس منذ الآن أن هذه المقصومة ستكون عنيفة لأن المختصين جميعاً أقوياء ، ولا نهم جميعاً يحبون فيحسنون الحب ، ويريدون فيحسنون الإرادة . وأنت ترى أن الأمر لو وقف عندما نعرف من هؤلاء الأشخاص لما يمكن أن تنحل المقصومة بينهم إلا بشر وتصحية ، فيجب أن يضحي بالآب في سبيل الزوجين ، أو بالزوج في سبيل الآب وابنته ، أو بالقوم جميعاً .

ولكنني لم أكشف لك من شخصية الآب إلا عن وجه واحد . وهناك وجه آخر يؤثر في حيّة هؤلاء المختصين وإن كان شراً في نفسه وفي ظاهر الأمر بتنوع خاص . هنا الرجل أثر مسرف في الآثرة ، يدفعه حبه لنفسه إلى الكذب والتضليل واقتراف ما يشبه الأثم ، وهو مضططر إلى ذلك اضطراراً ، فقد رأيت أنه يحب ابنته هذا الحب الغريب ، وهو يلهمه مع طائفة من النساء ، ولكنه يحب امرأة أخرى حباً طبيعياً جداً ، كما تحب ابنته زوجها . وكما يحب هذا الزوج امرأته . ومنها ألعب الطارئ .

هو الذى ينتهي بالقصة الى أرقى منازل العنف ، وهو الذى ينحدر بها ، ولكن فى رفق ولدين ودعة ، الى حيث الرضا والطمأنينة واستثناف الحياة الهدئة فى لذة وابتسام ، وشىء مع ذلك من المرارة غير قليل .

وفى القصة ، الى هؤلاء الاشخاص ، اشخاص آخرون ، نذكر منهم « جاستون » « أخا » فريدريك ، طالب مسرف فى لهوه وعيشه ، يلهو ويلهى النظارة بمزاحه وسخريته وجهله .

ونذكر منهم « كودريه » جد « فريدريك » لأنّه شيخ ، رقيق ، سمح ، رزين ، حسن النصح ، قيم المشورة ، محب لحفيدته وزوجها حباً مؤثراً حقاً .

ونذكر منهم هذه الدوقة التى نراها فى الفصل الأول ، جميلة ، فتانة ، لعوا ، تعبت بأبى « فردريك » وتعبت بنفسها أيضاً ، وتعنى بما يمكن وما لا يمكن ، لأنّها تعجب الاستاذ الطبيب وتريد أن تلهو معه .

ثم نذكر آخر الأمر « مزر ونتون » هذه الاميركية ذات الثروة الضخمة والجمال الرائع والأدارة القوية والحب العنيف أيضاً . كان زوجها عالماً مخترعاً ، وكان قد ضيف « جان لوى مارتييه » بين « فريدريك » فأحبته وأحبها ، ثم مات زوجها وأقبلت الى باريس تريد أن تتزوج حبيبها ، فيصطدم حبها بهذه الخصومة بين الأب والزوج والزوجة .

فأنت ترى الى هذه القصة كيف اختار الكاتب موضوعها من هذه الموضوعات الشائعة المبتذلة ، ثم لم يكدد يخلق اشخاصها ويبعث فيهم الحياة وينفسح فيهم من روحه حتى صورهم أقوىاء ممتازين ، لهم من العواطف والأهواء ما للناس جمِيعاً ، ولكن مع شيء من الدقة والتعقيد ليس للناس جمِيعاً . وعاهى الا ان يقف هؤلاء الاشخاص بعضهم البعض حتى ترتفع القصة وتقوى ، وتحس أنك فى بيئه ممتازة من كل ناحية .

دون أن يمنعك هذا الحس أن تجد نفسك وعراطفك وحياتك ممثلة في هذه القصة من كل الوجوه أو من بعضها .

والآن وقد صورت لك هؤلاء الأشخاص تصويراً مقاربًا أستطيع أن أوجز لك خلاصة هذه القصة . ولكنني أتفتاك منذ الآن إلى أن هنا التلخيص لن يعني عنك شيئاً وإلى أنك لن تجد المذكرة والمنفعة إلا في قراءة القصة نفسها .

* * *

نحن في بيت « جان لوى مارنييه » أول الليل . ينصرف القوم عن المائدة وقد أحذوا يأتون إلى غرفة الاستقبال . وكان أول القادمين « كودريه » وحفيده « جاستون » . ونحن نرى الشاب يعني بالشيخ عنابة لا تخلو من غلو ، ويحمد له ويقدم إليه البيضة ، ويتلطف له في الحديث . ويحس الشيخ أن هذه العناية لم يرد بها وجه الله ، وما هي إلا لحظة حتى نفهم أن الشاب في حاجة إلى الفرنكات لأنّه يريد أن يسترئ سيارة .

ثم يأتي « جان لوى » وقد قدم ذراعه إلى ابنته ، فلا يكادون يتحدثون حتى يضيق الفتى ذرعاً بأبيه الذي أخذ يسأله في الألمانية ، وبأخته التي أخذت تظهر جهلها بهذه اللغة ، فينتهي بجده الشيخ ناحية ليلعب النرد . ونرى الأب يجلس إلى ابنته ويتحدثان ، ونحن نرى الفتاة تعنى بأبيها ولكنها عنابة لا تخلو من دعاية وفكاهة . والرجل يجيء على هذه الدعاية والفكاهة بمثلهما ، ثم لا يلبث هذا العبد أن يستحيل إلى جد . فقد ظهرت غيرة المرأة ، ووقف الرجل موقف الدفاع عن نفسه . ذلك أن الخادم قد حمل إليه رسالة ، تقرؤها المرأة فإذا هي من الدوقة التي أشرت إليها آنفاً . وهي تنبئه « الاستاذ بأنها ستزوره بعد العشاء لتقص عليه أخباراً مهمة متصلة بانتخابه في المجمع العلمي » . فلا تكاد « فردريك » تقرأ هذه الرسالة حتى تتور وتأخذها غيرة حادة ، وتحصى للرجل سيئاته وأثامه ولهوه ، وتعلن أنها قد صفحت عن هذا كلّه لأنّه

لم يكن شيئاً يذكر ، إنما كان لهو ساعة أو بعض ساعة ، وانها لم تخف حقاً إلا مرة واحدة حين ذهب الأستاذ إلى أحد المؤتمرات في أمريكا فأحب « مسر ونتون » امرأة مضيفة ، في هذه المرة خافت حقاً ، وأحسست أن الأستاذ سيفلت من يدها . وهي ثائرة ، فقد كانت تقدر أنها ستتفق مع الأستاذ شطروا من الليل في خلوة لذينة ينصرفان فيها إلى العمل ، تقرأ هي المسودات ويصحح الأستاذ . وانتظر إليها كيف أجلست الأستاذ في مجلس حسن ، وجلست هي بين يديه في شيء من الطرف والدعاية . ولكن هذه هي الدوقة تنذر بمقدمها ! .. لن يكون هذا . وهي تأمر الخادم بأن يسرع إلى التليفون فينبئه الدوقة بأن الأستاذ مريض لا يستطيع أن يلقى أحداً ، والأستاذ يعارض ويمانع ، ولكنه مضطر إلى الازعاج . على أن الخادم لا يلبث أن يعود ويعلن في أسف أن الدوقة وزوجها الشيغ قد خرجا من قصرهما وهما في الطريق . فانتظر إلى ثورة المرأة وحدتها وانتظر إلى الأستاذ يهدتها ويتوصل إليها في إلا تسييء استقبال الدوقة . وهذه هي الدوقة قبل مسرعة ومعها زوجها ، فلا تكاد ترى الأستاذ حتى تتحدث معه بلسانين : لسان يسمعه الناس جميعاً وفيه أحاديث عادية ، ولسان آخر يسمعه الأستاذ وحده وفيه مودة وتعريف بمواعيده . و « فريدريك » تحدث إلى الأستاذ بلسانين أيضاً : لسان عادي يسمعه الناس ، ولسان آخر فيه نذير وتحذير . وانتظر إلى هاتين المرأةتين تتقاربان جيلاً ظاهرها فيه الود والتحية وباطنها فيه البعض والعداء . وقد أقبل « بيير ريجو » زوج « فريدريك » فتنتهز الدوقة هذه الفرصة وتطلب إلى الأستاذ أن يرافقها إلى « البيانو » لتلعب هي ويغني هو ، فهي تحب صوته الرخيم ولا صيما حين يغني القطعة الروسية . ويساول الأستاذ أن يعتذر لأن ابنته تلح عليه في الاعتذار من طرف خفى ، ولكنه لا يفلح ، فهو يذهب إذا إلى البيانو حيث يسمع غناوه من بعد . وفي هذه اللحظة تخلي « فريدريك » إلى زوجها ، فلا يكادان يتحددان حتى تحس أن « فريدريك » مشغولة بأبيها وصاحبته ، وأن زوجها يرى ذلك فيغتم له ديشور ولكنه يكظم غمه وثورته ، ويلوح على امرأته في أن تلطف بالدوقة ولا تظهر هذه

الغيرة المنكرة . وامرأته منصرفة عنه ، ماضية في الاعجاب بصوت أبيها والسخط على هذه المرأة ، حتى يعود الأستاذ ومعه صاحبته ، فتلتفت ابنته التقاها ، وتمضي الدوقة إلى بير بتحديث اليه ، وتنتظر معه طائفة من الصور في دعابة وتلطف . و « فريدريك » منصرفة إلى أبيها تلومه وتداعبه ، وتلاحظ في الوقت نفسه زوجها والدوقة ، وتلتفت إليها إلى هذه المرأة التي تداعب زوجها وتعبر بشعرها في وجهه . والأستاذ مضطرب بين ابنته صاحبته . ثم تنهض الدوقة للانصراف ، ويخرج الأستاذ وابنته لتشيعها ، ويخلو « بير » إلى « كودريه » . فنفهم من حديثهما أنه ساخط على حمية شديد الغيرة منه ، وأنه سيكون له معه شأن بعد حين . فإذا عاد الأستاذ وابنته تعجل « بير » فعرض عليهما موضوع هذا الشأن الذي يريد أن يتحدث فيه ، وهو أنه ضيق الفرع بباريس . وبمعاملتها ، وقد سمح لها فرصة تمكنه من العمل الجدى المنتج بعيداً عن باريس . ذلك أن غنية أمريكية هي « مسر ونتون » قد أنشأت في أحد الأقاليم مستشفى عظيم للسل ، وفيه معامل حسنة النظام غنية بالآدوات ، وقد عرض عليه أن يعمل في هذا المستشفى فقبل . ولنحن نفهم أن صاحبنا أنها يريد أن يتترك باريس لا حباً في العلم طبعاً ، ولكن ليستثر بامرأته بنوع خاص ، فلا يكاد يعرض هذا الأمر حتى يثور الأستاذ ثورة عنيفة ويعلن أن ابنته لن تترك باريس . وتمالئه ابنته في هذا ، وتسلك لاقناع زوجها طرقاً مختلفة ، فيها الدين والشدة ، وفيها الاستعطاف والانذار فلا تفلح ، ويوشك الأمر أن يفسد بين القوم لولا توسط الشيخ ، ولو لا أن « بير » قد نهض للانصراف . فإذا خلا الشيخ إلى صهره حاول اقناعه وحمله على أن يدع ابنته تترك باريس فلا يوفق . وهنا حوار يبدع بين الشيخ وصهره في الصلة بين الآباء والآباء ، وما يجب على الآباء من التضحية بأنفسهم لأنهم لا يملكون أبنائهم ، ولا ينشئونهم لسلمة والمداع ، وإنما ينشئونهم لأنفسهم قبل كل شيء . *

فإذا كان الفصل الثاني فقد مضت ساعات قليلة على ما كان في

الفصل الأول . ونحن في بيت « بير » في غرفة النوم . وقد أودت « فريدريك » إلى سريرها والخادم تحدثها فتنبئها بأن سيدها يعمل في مكتبه ، وقد أمر فأعد له خادمه مضجعا في المكتب فيقع هذا الحديث من نفس « فريدريك » موقعا تحس أنه مؤلم . وأنظر إليها وقد صرفت الخادم ولكنها لا تستطيع النوم ، فهي قلقة مضطربة تتسم حركات زوجها في مكتبه . ولهمه اليقظة المضطربة من هذه الظلمة المدلهمة في نفسها أثر قوى ، ولكن بابا يفتح ونورا يغمر الغرفة . وقد ظهر الزوج فتتكلف صاحبتنا النوم ، وكأنها قد استيقظت فزعـة . ولكن زوجها يعلم أنها لم تـم . وقد أقبل يعتذر إليها ويتلطف بها ويستغفر مما قدم ، واطمأنـت هي إلى ذلك ، وصفـا ما بين الزوجين الجـبين واطـفـيـء من التـسـور أكثرـه ، ولم يـقـ منها إلا شيء ضـئـيل يـلاـئـم نـجـوـيـ المـحـبـين آخر اللـيل ، وما يكون بينـما من عـتاب واسـتعـطاـف ثـم رـضا واطـمـئـنان . وهـما فـي ذـلـك وـهـو يـشـكـو غـيـرـته من أـبـيهـا ، وهـى تـدـافـعـه فـي لـطـفـ وـرـقة . ولكن التـليفـون يـدـقـ فيـحاـول أن يـمـعـها من النـهـوض لـه فلا يـوـفقـ ، وقد نـهـضـت إـلـى التـلـيفـون فـاـذا أـبـوهـا قد عـادـ ، وهـو يـسـأـلـ عنـها وـيـلـعـ علىـها فـي أـلـا تـسـافـرـ معـ زـوـجـها ، وهـى تـجـبـيهـ بـعـدـهـيـثـ متـقطـعـ يـظـهـرـ فـيـهـ آنـهـا مـقـسـمـةـ بـيـنـ الـرـجـلـيـنـ ، تـحـبـ زـوـجـها وـتـرـيـدـ أـنـ تـرـضـيـهـ ، وـتـحـبـ أـبـاهـا وـتـكـرـهـ أـنـ تـفـارـقـهـ ، حتـىـ اـذـا فـرـغـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ بـعـدـ مـشـقـةـ عـادـتـ إـلـى زـوـجـها تـرـيـدـ أـنـ تـرـضـيـهـ وـتـصـلـ مـعـهـ إـلـى اـتـفـاقـ مـعـقـولـ . ولكن لم يـقـ إـلـى ذـلـكـ مـنـ سـبـيـلـ ، فـقـدـ دـخـلـ الـأـبـ بـيـنـهـما فـأـفـسـدـ كـلـ شـيـءـ . وـكـيـفـ بـهـذا الرـجـلـ يـدـخـلـ بـيـنـ الزـوـجـيـنـ حتـىـ آخـرـ اللـيلـ وـحتـىـ أـوـقـاتـ الصـفـوـ وـالـرـضاـ ، وقد اـنـتـهـتـ الثـورـةـ بـصـاحـبـنـاـ إـلـىـ الـظـلـمـ ، فـهـوـ يـنـكـرـ عـلـىـ اـمـرـأـتـهـ أـنـهـ تـحـبـهـ ، وهـوـ يـسـرـفـ فـيـ ذـلـكـ ، وهـىـ تـتـلـطـفـ حـيـنـاـ وـتـشـتـدـ حـيـنـاـ ، حتـىـ يـصـلـ الـأـمـرـ بـهـما إـلـىـ أـقـصـاءـ . فـهـوـ يـعـرـضـ عـلـيـهـا السـفـرـ ، وهـىـ تـأـبـىـ ، وهـوـ يـعـلـمـ أـنـهـ مـسـافـرـ وـحـدـهـ ، وهـىـ تـنـذـرـ ، وهـماـ فـيـ هـسـنـاـ وـاـذـاـ الخـادـمـ يـطـرـقـ الـبـابـ ، يـتـحدـثـ إـلـىـ سـيـدـهـ بـأـنـهـ قـدـ أـعـدـ لـهـ أـمـتـعـتـهـ ، وـبـأـنـ القـطـارـ سـيـسـافـرـ سـاعـةـ كـذـاـ ، فـاـذاـ سـمـعـتـ « فـريـدرـيـكـ » هـذـاـ الـحـدـيـثـ وـفـهـمـتـ أـنـ زـوـجـهاـ كـانـ قدـ أـزـمـعـ السـفـرـ دـوـنـ أـنـ يـظـفـرـ بـرـضـاـهـاـ وـقـعـ ذـلـكـ فـيـ نـفـسـهـاـ مـوـقـعـ الـيـماـ ،

نغلت في العnad والاصرار ، وغلا هو أيضا في اللجاج ، وافترقا متغاضبين وانسدل المستار ، وانا لنسمع زفات هذه المحبة المعذبة بين حبها وكبرياتها ، بين أبيها وزوجها .

* * *

فإذا كان الفصل الثالث فحسن في بيت « جان لوی مارنييه » أول النهار . نرى « فريدریك » جالسة الى مكتب في يدها ورق وقلم كأنها تحصى شيئا ، وقد دخل عليها أخوها الشاب ، وفهمنا من حديثهما أن هذا اليوم هو يوم الانتخاب في المجتمع العلمي ، وهي تعصى الأصوات التي قد يظفر بها أبوها والأصوات التي قد تخطئه . وهي تلاحظ لاخيها إن الأستاذ قد عاد متأخرا في الليلة الماضية وانه متعب ، وانها قد أمرت الخادم ألا يوقظه الا اذا تقدم النهار . ولكنها لا تكاد تفرغ من هذا الحديث حتى يدخل الأستاذ كاحسن ما كان قوة ونشاطا مستعدا للخروج ، فتلقاء ابنته في دعابتها وفكاهتها ، ويلقائها هو بمثل ذلك . وانظر اليها تطلب اليه يومه وليلته تريده أن يفرغا من المهنيين بعد الانتخاب ، وأن يفلتا الى أحد المطاعم ثم الى أحد الملاعب ، وهو يجيئها في غموض : « سنرى » ٠٠٠

ويبدأ فيعلن اليها أنه لن يتغدى معها وينتقل لذلك المعاذير ، وهي مغضبة في دعابة . ولكن جدها قد أقبل . من مكان بعيد ليشهد يوم الانتخاب ، فينفلت الأستاذ ويترك ابنته مع الشيخ . ولا تكاد المرأة تتحدث الى جدها حتى يذكر « بيير » ونرى من الحديث أنها تالم ولكنها تكظم أنها ، وهي غير موفقة في هذا الكتمان : أليست قد أحصت الأباء منذ سافر زوجها ؟ أليست مغضبة لأنه لم يكتب اليها كتابا واحدا وقد مضى على سفره نيف وثلاثون يوما ؟! أليست كانت تنتظر أن تراه في باريس يوم الانتخاب ؟ هي مغضبة واجدة ، وكانت تحب أن ترى زوجها لتتفق معه على الطلاق فليس الى استمرار الزوجية من سبيل وقد أنهاها المعامي أن قضية الطلاق لا تحتاج الى أكثر من شهر الا ان

يقاوم زوجها ، وما تظن أنه يقاوم . فإذا أراد الشيخ أن ينبعها بأنها ما زالت تحب زوجها غضبيت وزجرت جدها كأنها تشفع من هذا الحديث .

ولكن الخادم قد دخل ومه بطاقة . تنظر فيها فإذا هي بطاقة « سرز ونتون » ويقول الخادم إن هذه لسيدة تلح في أن ترى مولاته ، فتأذن لها وتخلو إليها . فتسألاها هذه : ما بالها لم تجرب إلى دعوتها وقد طلبت إليها الزيارة غير مرة ؟ فتعلن إليها « فريديريك » دهشة أنها لم تتلق دعوة ولم تعلن بوجودها في باريس . فتسألاها : ألم يخبرك الأستاذ بأنني في باريس منذ حين ، وأنني أراه كل يوم وكل ليلة وانني أكلفك دعوتك إلى زيارتي وانني معتززة أن أسافر معه إلى روما ، وان زوجي قد مات . وأن الأستاذ يريد أن يتخذنى له زوجا ، واننا نفكر في أن تصلح بينك وبين زوجك ؟ ! وتقع هذه الأنباء كلها من « فريديريك » موقع الصاعقة ، ويظهر لهاتين المرأةين أن الرجل قد كذبهما وعيث بهما ، فتنتفقان فجأة على مقتنه والسطخ عليه ، وتنشأ بينهما فجأة مودة قوية مصدرها فيما يظهر تشابههما في الحب والارادة والصراحة واستقامة الخلق . وهما في ذلك اذا الأستاذ قد عاد ، فإذا رأى صاحبته أخذته الأضطراب ولم يحسن الحديث ، ثم تتركه صاحبته لابنته . فيكون بينهما موقف عنيف مؤلم ، يظهر فيه مقدار ما تسبب النفس من التأثير في حياة الناس : هذا الرجل الذي كان يحب ابنته ويسرف في حبها حتى ليضحى بها في سبيل نفسه ، وهذه المرأة التي كانت تحب أباها وتسرف في حبه حتى لتضحى بزوجها في سبيل هذا الحب ، وقد وقفا الآن موقف الخصومة وجهاً لوجه ، لأن امرأة أخرى قد دخلت بينهما فاستأثرت بقلب هذا الرجل . وهذه بنته تتهمه بالكذب والقسوة والآثرة والخداع ، وهو يتهم ابنته بالعقوق واللام .

وهي تعلن إليه أنه لن يتزوج من المرأة ، وهو يعلن إليها أنها ستعود إلى زوجها ، وسيقترب هو بهذه المرأة ، كل ذلك في قرة عين مؤثرين حقا .

ويقبل الشيخ فينقطع هذا الحوار العنيف ، وتنصرف الفتاة . فإذا خلا الرجلان قال الأستاذ لحmine : يجب أن تساور وتعود ومعك « بير » فيجيب الشيخ : إن « بير » في باريس وهو في بيته ، بين هذه الأشياء التي تمثل حبه يالم ويأسى . فيقول الشيخ : اذهب فأنبئه أن أمرأته تنتظره . فإذا تردد الشيخ وألح عليه الأستاذ وأقسم أنه لصادق فينصرف الشيخ مسروراً متربداً معلناً أن الأمر متصل بسعادة حفيده ، فيقول الأستاذ وكأنه يحدث نفسه : وسعدتني أنا أيضاً ! ..

* * *

فإذا كان الفصل الرابع فلم يمض على هذا كله إلا دقائق . ونحن نرى « فريديريك » متهيئاً للخروج ، ولكن الخادم ينبئها أن زوجها يستأذن ، فتأذن له في دهش وحيرة تقدراهما أنت قدرهما . فإذا رأته سألاه : أنت قد دعوتنا ؟ فتجيب في دهش : نعم ! .. ثم تقبل عليه معتذرة مستعطفة متلطفة . ونحس نحن أن هذا كله يهز الشاب هزاً عنيفاً ، وانه لو استسلم لعواطفه لقبل ورضى بل لاعتذر واستعطف . ولكن له أرادته وكيريامه ، فهو يكظم تأثره ويظهر الشك ، حتى إذا فرغت أمرأته أو كانت تفرغ أغلن إليها في صراحة ملؤها الجفوة والحب معاً أنها إنما تستعطفه لأنها يريده أن يتزوج ، لأنها تحس أنها ستصبح وحيدة ، فهي تعود إلى زوجها حتى إذا عاد إليها أبوها رجعت إليه . وهو دهش لأنها لا تعلم من أمر هذا الزواج شيئاً . ولكن دهشه سيزول ، فهذا الأستاذ قد أقبل محزوناً منكسر النفس قد ظهر عليه الضعف والاستسلام ، فيخبر بأنه هو الذي دعا « بير » ، ثم يخبر بأنه فاز في الانتخاب ولكن على ذلك محزون منكسر النفس . وذلك أن حبيبته قد قطعت ما بينهما من صلة ، وأعلنت إليه أنها تاركة باريس مساء اليوم ، وأبى عليه حتى أن يودعها بل أن يراها مرة أخرى قبل سفرها . وهو يلوم ابنته لأنها مصدر هذا كله .

ثم انظر إليه يستعطف ابنته ويتسل إليها ، فهي وحدها تستطيع أن تغير رأى هذه المرأة ، وهي وحدها تستطيع أن تردها إليه فترد إليه

الفبطة والسعادة والحياة . وهو ويغدر ويلوح في الاعتدار ، ويعرف بأنه كان أثراً آثماً مسرفاً في حب نفسه ، ولكنه لم يكن يحس هذا كلّه ولا يقدرها ، وابنته لا تجيه إلا في قسوة وعنف حتى يرق « بير » نفسه ويلومها على ذلك في لطف . وقد انتهى الأمر بهؤلاء الناس إلى حرج ليس بعده حرج . فاما الاستاذ فمذعن مستسلم بعد أن ظهر له أن ابنته لن تشفع له . وأما « بير » فمستمسك بكبريائه . لم يقتنع بعد بأن امرأته تحبه هذا الحب الذي يمكنها من التضعيه بأبيها ، وأما « فريدريك » فقد أعلنت في حزم وقسم أنها تاركة هذا البيت مساء اليوم ولن تعود إليه مهما يكن من شيء سواء أتم الصلح بينها وبين زوجها أم لم يتم . وانظر إلى استسلام الشيخ وقد نهض معلناً أنه ذاهب إلى الدوقة لأنها جمعت إلى الشاب طائفة من المعجبين به يهنئونه بالفوز في الانتخاب وهو يداعب صهره في حزن فيطلب إليه ألا يهزا بشيوخ المجمع العلمي .

وقد أقبل صديق « بير » يتوجله ليسافرا ، فيتردد قليلاً ثم يجيب بأنه لن يسافر الآن . وتقع هذه الجملة من نفس « فريدريك » الموقر الذي تقديره أنت ، فقد أحسست أن زوجها قد رضى وثاب إليها . ولكن زوجها يسألها : ألا ترين أن أباك يحب هذه المرأة حباً مبرحاً؟ فتجيب : بلى ، ولكنه لا يستحق هذه المرأة . فيلوح وانظر إليه يستعطفها ويتوسل إليها في أن تشفع لأبيها عند حبيبته ، فتقبل كارهة ، ولكن على أن يشاركتها في هذه الشفاعة لتعلم هذه المرأة أن سعيهما صداق وانهما قد تصافيا حقاً .

النيلاند

قصص اجتماعية وضuppets بخطي بمحبى

فرنسوا هنري



يقول النقاد الفرنسيون لهم القصة أنها
وضعت منذ خمس عشرة سنة فلقيت فوزا عظيما
في بودابست ثم ترجمت إلى لغات مختلفة
فأعجبت بها الجماهير في فينا وبرلين وروما
ولندن وأمريكا ، ولكنها لم تمثل في باريس
الا هذا العام ..

والنقد الفرنسيون يجمعون او يكادون
يجمعون على أنها قصة جيدة متقدمة الوضع بدعة
التنسيق والتاليف .

ولكن هذه القصة لم تنقل إلى الفرنسية كما وضعها صاحبها ، وإنما
صاغها الكاتب الفرنسي صيغة جديدة فجعل أشخاصها فرنسيين وأجرى
حوادثها في ضاحية من ضواحي باريس ، ولام بين نظامها الذوق
الفرنسي في التمثيل . ومن هنا يتفاوت النقاد الفرنسيون في تقدير
ما ينسى المؤلف والصانع من حظ في الاحسان والاجادة ثم من حظ في
الثناء والتقرير . فمنهم من يضيف جمال القصة إلى المؤلف المجري
ويأسف أسفًا كثيرة أو قليلا لأن الصانع الفرنسي لم يكن أمينا في
الترجمة والنقل . ومنهم من يضيف هذا الجمال إلى الصانع الفرنسي
ويرى أنه قد أحسن الاحسان كله حين غيرها وعرضها على الفرنسيين
في هذه الصيغة الجديدة التي تلائم ذوق باريس .

وقد يكون من العسير علينا أن نحكم في قضية كهذه لأننا نجهل
الأصل المجري ولم نوفق إلى ترجمة المانية أو إنجليزية لمقارنه بين
الأصل وبين الصيغة الفرنسية لهذه القصة . لا سيما والنقد
الفرنسيون يحدوثونا بأن الكاتب الفرنسي قد غيرها تغييرا شديدا وبدل
أشخاصها تبديلا باعد بينها وبين الأصل إلى حد ما .

على أن النقاد مهما يختلفوا فيما بينهم متذمرون على أن الكاتب المجري
نفسه متأثر في قصته هذه وفي غيرها من القصص التمثيلية بالآدب

الفرنسي . وهم يذكرون تأثره بموباسان ، وهنري بيك ، وماريفو . فهي اذن في رأيهم قصة فرنسية عادت إلى فرنسا

ومهما يكن من شيء فإن من المحقق أن هذه القصة على جمالها ودقة موضوعها ، وعلى ما فيها من قوة في التصوير لا تخلو من شيء غير قليل من ضعف التأليف . فأنت حين تقرؤها لا تستطيع أن تنسى أنك تقرأ قصة وضعت للتمثيل بحيث لا يستطيع جمالها الفني أن يشغلك عن تأليفها وعما تكلف الكاتب فيها من هذه الحيل التي يتكلفها أصحاب التمثيل للملاعب . فحركات الأشخاص مثلاً حين يدخلون ويخرجون ، وحين يذهبون ويبيثون ، وحين يظهرون ويستخفون ، ليست حركات طبيعية وإنما هي في كثير من الأحيان حركات متكلفة ، نرى تتكلفها ونحسه ، حتى ليخيللينا أن هؤلاء الأشخاص قد اتصلوا بحبل أو سلك يجذبه شخص خفي ليظهروا حين يجب أن يظهروا وليسخفوا حين يجب أن يستخفوا ، وما هكذا يكتب أفاد ذا الكتاب في التمثيل . أذلك عيب الكاتب أم ذلك أثر الصانع ؟ هذا شيء لا نستطيع الفصل فيه كما قدمنا .

وموضوع القصة نفسه مطروق ، سبق الكاتب إليه غير مرة ، سبق إليه في قصص مختلفة منها المضحكة ومنها المحزن ، ومنها ما هو بين بين . ولكن هذا كله لا يمنع أن هذه القصة جيدة يجد قارئها لذة قوية ويضطر إلى أن يقف عند بعض فصولها وقفه التفكير والتأمل . وليس أدل على ذلك من هذا الفوز العظيم الذي ظفرت به في عواصم أوروبا وأمريكا .

وليس في هذا شيء من الغرابة . فقد يطرق الموضوع الواحد مرات ومرات دون أن يحول ذلك بينه وبين الجدة وقوة التأثير في نفوس الأفراد والجماعات . ذلك حين يكون الموضوع نفسه قوياً قوة لا تذهب بها الأيام ولا يعمل فيها تغير الظروف ، وحين يكون الموضوع شائعاً مالوفاً نشهده في مواطن كثيرة وفي ظروف مختلفة .

ولست في حاجة إلى أن أذكرك بهذه الموضوعات الثالثة التيتناولها الشعر القصصي اليوناني وأخذتها عنه الشعر التمثيلي اليوناني فزادها

قوة وتأثيرا ، ثم أخذها عنه التمثيل الحديث والقصص الحديث في فرنسا وألمانيا وإنجلترا فلم يزد لها إلا قوة وقوة على الآخذ بمجامع النقوس كما يقولون

والموضوع الذي طرقه كاتبنا من هذه الموضوعات التي لم تكن شائعة مألوفة في بعض البيئات التي قلما يختلط فيها الرجال النساء ، فهي شائعة مألوفة في كثير من البيئات الأوربية . وهو موضوع يسير جدا : زوجان لم يصل بينهما الحب ولا ما يشبهه الحب ، وإنما قامت صلاتهما الزوجية على المنفعة أو على المصادفة ليس غير . فهما يعيشان عيشة هادئة وادعة لو لا أن لهما صديقا قد اتصل بهما وقويت بينه وبينهما الصلة ، فهو يلازمهما لا يستطيع أن يقضي يوما دون أن يراهما ولا يستطيعانهما أيضا أن يحتملا الحياة إذا لم يرياه .

وهذا خير ليس بالشرير ولا بصاحب المجنون والدعابة . ولكنه على ذلك صاحب قلب يخفق ونفس تعجب . فلا يستطيع إلا أن يحب صديقه وامرأة صديقة . وهو يخفى على نفسه هذا الحب ويصوره في صورة الصداقة والودة الحالصة . وربما كان صديقه مثله مخدوعا أو ربما لم يكن مخدوعا ، ربما خدعت المرأة نفسها ، وربما عرفت حقيقة الأمر وأحببت هذا الصديق ولكنها تجاهد لهذا الحب وتنتصر عليه ، تسلك إلى ذلك ما تستطيع أن تسلكه من طريق . ولعلهم يستطيعون جميعا أن يعيشوا مطمئنين إلى هذه الحال الغامضة الواضحة معا . هم سعداء أو هم يحسبون أنفسهم سعداء . ولعلهم يستطيعون أن ينفقوا حياتهم كلها في مودة كلها صفو مطرد لو لا أن يعرض لهم من الظروف ما يزيل الغشاوة عن الأ بصار ويشق الغلاف عن القلوب فيروا . . . وهم إذا رأوا قد يسعدهون وقد يشقولون .

هذا الموضوع مألف في البيئات الأوربية تنشأ عنه في كثير من الأحيان ألوان من التعقيد في حياة الأسر وصلات الأصدقاء . منها ما ينتهي إلى السلام والدعة ، ومنها ما ينتهي إلى الشر والنكر . وقد

طريقه كاتبنا هذا فصوره تصويرا حسنا مؤثرا ، ولكنه لا يخلو كما قلنا من تكلف ومن غلو أحيانا

وانا - كالنقاد الفرنسيين - شديد الاعجاب بشخصية هذه المرأة التي تدور القصة حولها أو قل بقدرة الكاتب على اختراع هذه الشخصية الغربية التي استطاعت أن تقاوم مهارة الصائغ الفرنسي فاحتفظت بشيء غير قليل من طبيعتها المجرية ، فهي غامضة أحيانا أشد الغموض ، وهي وأضحة أحيانا أشد الوضوح ، وهي ضاحكة مفرقة في الضحك ولكنها في الوقت نفسه تكشف عبراتها وتمسح دموعها مسحا رقيقا .

ولست أدرى إلى أي حد وفق الكاتب والصائغ في شخصية الزوج فأنا أفهم أن لا يخلو الرجال ولا سيما العلماء من ضعف وسذاجة ، ولكني أرى أن الكاتب قد صور هذا الزوج تصويرا اعتمد فيه على خياله أكثر مما اعتمد فيه على الحقائق الواقعية

* * *

نحن في سان كلود (Caint-Cloud) ضاحية من ضواحي باريس ، في بيت تظهر عليه النعمة والثروة ، وفي غرفة يظهر عليها الترف وليس الحياة كما يظهر عليها الجد والعمل . ونحن نجد في هذه الغرفة رجلا قد جلس إلى مائدة بين الكتب والأوراق ، وهو يتحدث ويتحدث لا يكاد يقف ولا يستريح . هذا الرجل هو العالم النباتي فرنسيوس دوجل (François Dugley) وهو يتحدث إلى مصوره الذي اتخذه ليصور له أنواع النبات في كتاب يهيئه للنشر . ولا نكاد نسمعه يتحدث حتى تتمثل العالم بما فيه من عيوب وخلال . فهو يتكلم متذمرا في موضوعه لا يلوى على شيء ولا يثنيه عن الحديث شيء . وهو يتكلم لأن الموضوع يلهه لا لأنّه يريد أن يفيد سامعه ، وسامعه ، متبرم به يريد أن يخلاص منه ليدرك القطار الذي سينقله إلى باريس . وهو يحتال في هذا التخلص فلا يوفق إليه إلا بعد مشقة شديدة . وهو يخلص وقد استیأس من ادراك القطار .

فإذا انصرف هذا المصور وخرج الأستاذ من غرفته لحظات أقبلت إلى هذه الغرفة فتاة ظريفة ، حسنة الصورة ، متجملة ، ظاهرة الرغبة في أن تعجب الأستاذ وتقع من نفسه . تدخل فما أسرع ما تهوى إلى علبة الحلوى فتردد منها شيئاً وتخفي شيئاً آخر في حقيبتها . ثم تقف منتظرة أن يعود الأستاذ . فإذا عاد وتحدث إليها عرفنا أنها كاتبته التي تنسخ له ما يهبيه من فضول كتابه .

وهو يتلقاها مبتسمًا لها مبتهمجاً بلقائهما يسألها عما كتبت ، فإذا هي قد أتمت عملها على أحسن وجه ف يقدم إليها بعض الحلوى فترفض معتذرة بأنها لا تحب الحلوى . فإذا قدم إليها السجارة اعتذر بأنها لا تدخن . ثم يتركها لحظة وقد ترك سجائره على المائدة فما أسرع ما تهوى إليها فتردد منها جرات ثم تردها حيث كانت . ويعود الأستاذ فيستأنف معها الحديث . وإذا هي تظهر له رسماً من عملها فيه صورة نبات فلا يكاد الأستاذ يراه حتى يفتئن به وحتى يعلن إليها رغبته في أن تكون مصوريه وإن تضع له هي صور الكتاب . وهي سعيدة مفتبطة تصيق بيديها وتقاد تقبل الأستاذ فسراحاً وأبتهاجاً . ولا تسل عن سعادتها حين يعلن إليها الأستاذ أنها ستقيم معه منذ غد ، فتكتب له وتصور وتنسخ على الآلة امكاكية .

وهما في هذا الحديث وإذا رجل يقبل وهو « جان دى فلييه » صديق الأُسرة وخليطهما . كان قد سافر يقضى الصيف في الألب ولكنه استقل السفر فعاد إلى باريس . وهو سعيد بهذه العودة لأنَّه سيرى صديقه وسيأخذ مكانه بينهما كذا به في كل يوم . وهو يسأل صاحبه عن أمراته ، فيحصدثه هذا بأنها ذهبت إلى باريس تصيد الثعلب الأزرق لأنَّها مفتونة به ، ولن تستريح حتى تظفر بهذا الصيد . ولكنها لا تصيده من الغابات ولا من الحقول وإنما تصيده من المتاجر . فهي لا تلتمس الثعلب وإنما تلتمس فرو الثعلب . وهي تخرج في طلبه كل يوم إذا أصبحت . ولا تعود إلا إذا أقبل المساء . وهو يدعها وما هي فيه من صيد لأنَّه مشغول عنها ببحثه عن النبات .

وَيُعْرِضُونَ فِي الْعَلَمِ أَحْقَنَ بِإِصْنَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ الظَّاهَمِ فِي جَهَنَّمِ الْأَرْجُونِ الَّذِي أَخْبَطَ لَهُ وَاهِدَ الْفَقَاهَةِ الْكَاتِبَةِ الْمُحْسِنَ لِرَفْقِ تَرْكِمَ لِأَنَّهَا تُحْشِّهُ سُوَّا تَعْدُ بِعِصْمَتِهِ إِذَا كَانَ الْغَذَابُ سُفْلًا فَعَلَ مَعْنَى تَبَرِّعِهِ لِأَنَّهَا شَتَّاكِيَّ بِهِ لِفَتَاهَ الْمَادِرَةِ الْمُلْسَكَةِ الْمَصْرُوَّةِ الْعَالَمِيَّةِ مُعِيَّدَهُ وَيُنْظِمُ الْأَعْقَالَ يَقِيمُهُ كُلَّئِنَ تَهْبِيَّهُ لِهِمْ الْفَتَاهَ مِنْ الْمَوْعِدِ هَذِهِ الْلَّوْنَ اَمِنَ الْوَانِ الْطَّعَامِ هَذِهِ ثُمَّ تَقْرَكُهُمَا يَتَحَدَّثَانِ

وَمَلِكُ الْجَلِيلِ يَغْصُّ عَلَى صَفَّاتِهِ أَنَّهُ رَأَى سَيَارَةَ الرَّاقِصِ الْمُقْرَرِ وَرِيَالَتِهِ عَافِجَتِهِ . وَلَنْ يَسْتَرِيَعَ حَتَّى يَشْتَرِيَهَا مِنْهُ . وَقَدْ ذَهَبَ لِيَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ فِي مَنْفَكِ الْخَلْقِيَّ خَلَوْهُ يَعْمَلُ نُزُلَجَاجَيَّ الشَّمَبَا يَهْسِرُ الْوَاهِنَ مِنَ الْطَّعَامِ وَلَكِنَ الْخَادِمُ الْجَعَامُ لَمْ يَحْسِدْهُ لَفَتَاهَيَّهُ . شَغَلَتِ الْمَلَقُ غَوْهُرَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُهْبِهِ مُشْغَولُ بِأَحَدِي السَّيَادَاتِ لَا يُسْتَطِعُ أَنَّهُ يَسْتَقِبِلَهُ . ذَلِكَ أَنَّ رِيَالَتِهِ أَسْتَاذِ الرَّاقِصِ ، وَهُوَ أَجْنَبِيُّ حَمِيلِ الْعَالَمِيَّةِ . تَفَتَنَ بِهِ رَلْمِيزِ إِلَيْهِ عَادَةً

لِيَعْمَلُهُ يَهْسِرُ جَانَ فِي حَدَّيَّهُ وَيَقُولُ لَهُ أَنْهُ أَنْصَرِيَ الْمُحْمَدِيَّ بَيْتِ الْرَّاقِصِ إِلَى الْغَاهَةِ إِنَّ فَمَّا يَهْبِي إِلَيْهِ أَنَّ رَأَى الرَّاقِصَ فِي سَيَارَتِهِ وَمَعْهُ امْرَأَةً لَمْ يَرَ مِنْهَا إِلَّا سَاقَهَا وَحْدَأَهَا مَنْ يَعْمَلُ لِيَسْتَقْرِرَ لِرَجُلِهِ شَعْمَهُ صُورَقَ هَذَا الْعَذَابُ ، لَأَنَّهُ يَهْبِي بِصَفَهُ وَيَحْقُقُهُ وَصِفَهُ حَتَّى يَسْتَشِمَ صَاحِبَهُ جَانَ وَجَانَ هَذَا مُوبِسِقِي بَارِعٍ فَهُوَ أَلْمَسِقُهُ الْمُوْبِلِ الْبِيَانُ وَيَأْخُذُ فِي الْتَّوْقِيمِ وَقَدْ أَنْصَرَ فِيهِ صَدِيقَهُ الْمُوْبِلِ

لَرَهُمَا وَفِي هَذِهِ الْحَالِ أَذْتَقَبَ الْزَوْجَيَّةَ وَسَسَلَهُ وَكَاهَهُ قَدْ سَمَقَتْ تَوْقِيمُ الْبَيَانِ وَقَعْدَتْ وَجْهُ صَدِيقَهَا ، فَنَدَحَلَتْ فِي رَفَقِ وَوَقْتِ أَنَّ حَابِبَهُ وَأَخْدَتْ كُلَّ الْفَقَمَمَنِيَّهُ وَهُوَ يَوْقِعُ ، فَيَلْتَفِتُ ، ثُمَّ تَكُونُ التَّعْبَاتُ ، ثُمَّ الْحَدَيْثُ لَمْ يَقْعُدْ مَتَّهُ شَطَرَةً عَلَى سَاقَهَا وَحْدَأَهَا وَإِذَا هُوَ صَعَقَ أَوْ سَالَطَهُ لَاهَهُ بَهْرَقُ الْسَّاقِ وَغَرَقُ الْعَيَّاءِ . وَهُوَ يَعُودُ فِي صَفَهِ الْجَدَاءِ مَرَّةً أُخْرَى لِصَاحِبَهُ وَيَدْكُرُ الرَّاقِصَ وَسَسِمُ سَسِيلَهُ هَذِهِ شَعْمَهُ اِثْبَاهُمَا ثُمَّ يَهْبِي بَعْدَهُمَا دَاهِيَّهُ . فَلَذِ الْخَلَاءِ بَعْضِهِمَا إِلَى حَضْرَمَهُ كَانَ يَسْتَهِمَا حَوَارَ يَسْتَهِمَ يَسْتَهِمُ جَانَ صَاحِبَتِهِ بِالْأَنْمِ . وَهُوَ تَدْفَعُ لَهُنَّ رَفْسَهَا وَتَعْلُو فِي الْدَّنَاعَهُ

وهو يتهمها ويصرف في الاتهام حتى يفسد الأمر بينهما أو يكاد . ونحس نحن من هذا
الحوار أن الصلة بين هذين الصديقين ليست صلة مودة وصداقة وإنما
هي صلة حب يخفى كل منهما على نفسه وعلى صاحبه . ثم يدور
الحوار ويشارك فيه الزوج مرة أخرى فيذكر أمر الكاتبة المصورة
وهي بحسبها في انتطاعي وما تقرئ من أعداد هذا اللون إذا كان الغد . وإذا
جان يعلن أنه سيدعوا لراقص رياحتسو ليتناول معهم العشاء وليريذوق من
هذا اللون البديع

وكان المعقول أن يبقى جان حتى يتناول العشاء معهما ، ولكن ضيق
الصدر فهو ينصرف ويترك الزوجين لما بينهما من شأن .

* * *

فإذا كان الفصل الثاني فنحن في غد ذلك اليوم . وقد دنا انليل أو
كاد ، والزوجان يستظران مقدم جان ومقدم الراقص ، وسبيل مضطربة
محزونة تدخن فتسرف في التدخين ، وزوجها يحاول أن يتعرف من أمرها
فلا يظفر منها بشيء . وهو يعتذر إليها لأنّه منصرف عنها إلى علمه ونباته
وهي لا تكاد تسمع له فان سمعت فلا تكاد تجبيه . وقد أقبل جان فتلقاء
الزوج مبتهجا ، وتلقاء الزوجة محزونة مضطربة ، فإذا خلا بعضهما إلى
بعض كان بينهما حوار كحوار أمس فيه اتهام ودفاع ، ثم فيه ما يشبه
الاعتراف ، ثم فيه ثورة الصديق .. ولكن الراقص قد أقبل فيتلقاء الزوج
وجان وسبيل لقاء مختلفا : هذا مبتهج ، وهذه مضطربة منكرة ، وجان
يدبر في نفسه أمرا . فاما الراقص نفسه فقد أقبل لا يقدر شيئا ولا
يفكر في شيء . وهو يتكلم ويمضي في كلامه مثنيا على الزوج مرة وعلى
الزوجة مرة أخرى وعلى صديقهما مرة ثالثة وعلى البيت مرة رابعة ، حتى
إذا فرغ من هذا الحديث الطويل المضحك التفت إليه جان واحد يذكر
حب النساء له وكلفهن به ، والرجل ينكر ذلك في ضعف ورق . ولكن
جان يلعن ويذكر حظه عند هذه وحظه عند تلك .. ويصرف من هذا .
وهو في أثناء الحديث يرقب الراقص مرة وسبيل مرة أخرى وكل شيء
على وجه سبيل يثبت أضطرابها وتورطها

وقد خرج الأستاذ لبعض شأنه وخلا الثلاثة إلى أنفسهم ، فإذا الراقص قد عرف المكبلة ، وإذا سليل تطلب إليه أن ينصرف . فيتردد فتلع وتطرده طردا ، فينصرف وقد ثبت كل شيء ولم يبق شك في أنها قد أثبتت معه

ويعود الأستاذ فاذا لم ير الراقص سأله أين هو ؟ فيقال انه انصرف ويتكلف جان تأويل هذا الانصراف فلا يحفل الأستاذ بهذا . ولكن جان نفسه يريد أن ينصرف فيدهش الأستاذ لذلك ويسائل في شيء من الغفلة : « ماذا يحدث ؟ » فتجيبه امرأته في دعوه وهدوء : « يحدث انى قد خنتك » . فيتلقى هذا الخبر في دهش هادئ ويحاول أن يتبيّن الأمر فتركه امرأته معلنة إليه أن جان سيخبره بكل شيء لأنها استكشفت كل شيء .

فإذا خلا إلى جان لم يتردد هذا في أن يخبره بكل شيء في غضب وحقد وثورة ولا يعدلها إلا هدوء الزوج ودعته واطمئنانه . والزوج يرثى لامرأته ويشفق عليها ، ولا يؤثر إلا نفسه . فهو قد انصرف من امرأته إلى العلم وتركها مهملة لا يحفل بها . فليس غريبا أن تفتنه هذه المرأة . ثم يشور الزوج ولكن لا على امرأته ولا على نفسه بل على صديقه . ذلك لأن صديقه قد سافر وأهمل سليل وتركها وحدها وكان من الحق عليه أن يبقى معها وأن يرعاها ويحوطها . فإذا أنكر الصديق عليه هذا القول ولقته إلى أن هذا واجب عليه هو أجابه : « أنت تعلم أنني مشغول بالنباتات ،

وجان يغريه ويدرك في نفسه نار الحفيظة ، ينصح له مرة بالطلاق وأخرى بمحاربة الراقص . والأستاذ يسمع هذا كله في هدوء وسخرية . ثم يجيب بحديث له قيمة يمثل ذكاء وقطنة وبصرا بالأمر واعانا للقضاء . فالأستاذ يعلم حق العلم مصفر هذا الغيظ وهذه الحفيظة ، وهو يقدر حب هذا الصديق لامرأته ولا يتردد في أن يقول له : « إن

اكميَتْ مِنْ حِفْظِكِ فَلَا "نَهَا" خَانَتْكُنْ بِمُخْتَرِيَّكِ لَا مُوَلِّيَّكِ بِالشَّدَادِ يَتَرَجَّحُ فِي أَنْفُسِكُوْنْ
لَهُمْ تَبَقَّعَ لَوْدِيَّهُ طَوْرَ كَثَرَتْهُ الْمَتَبَالَقَهُ ثُمَّ يَنْسَفُنَّكَ اَحْسَدَتْهُ قَوْيَيَّهُ لِأَسْحَقَهُ فَخَفَنَ مِنْ عَلَوْنَهَا
أَعْلَمَ النَّاسِ وَلَوْكَفَتْهَا عَلَى، ثُمَّ يَفْتَطِهُ عَنْتَهُ بِعِمْوَيِّهِ عَنْ لَائِفُهُ وَالْمَنْكُورَةُ تَلَقَّعَ، تَنْخَفَنَّ
عَلَى الْحَيَاةِ وَتَصْرُفَنِي عَمَّا أَنَا فِيهِ مِنْ عَمَلٍ وَبِحَثٍ،

فَمَوْهِبِيَّنَ لِلْسَّقِيقِ؟ وَرَفِيَّهُ تَهْيَّيَّنَ سَالِيَّرِ وَجْهَهُمْ أَفَلَا مَطَافِلَهُ وَلَمْجَاهِلَهُ؟! هَذِهِ أَيْنَ
نَلَمْ يَنْهَا أَنْ تَدَهَّبَ، لَتَمْسِكَ أَنْتَ بِالنَّعْيَ أَكْلَهُ بِمَعْنَاهِهِ أَنْهُ بَيْلَهُ لَهُ نَلَجَ بِسَقْلَاتِهِ
الْمَلْأَقِيَّ، وَهُمْ يَنْطَلِقُونَ إِلَيْكَ أَنْ يَرَأْفَهُمْ كَمَا أَنْ هَذَا الْمَبْيَسَ قَلِيلُهُ نَأْيَسَ
وَخَدْهَا، فَيَقْبَلُونَهُمْ وَيَنْتَهُونَ تَشَهِّيَّهُنَّ لِلْحَرَوْجِ يَسْجُونَ تَلْقَفَتْهُ إِلَى جَانِ قَاتِلَهُ؛ وَلَفَدَ
أَرْدَتْ أَلْمَسْنَاهَا فَهَذِهِ هُنْيَ الْأَسَاهَهُ وَلَنْدَهُ يَوْدَتْهُ أَنْ مَوْلَانِيَّ فَعَدَ ظَفَرَتْ وَلَكِنْ قَدْ
يَسْتَحْسَبُهُمْ كَمَا يَسْتَهْبَهُمْ بِعَيْبِهِمْ لَهُمْ زَانَهُمْ هَذَا مَسْلَعُهُمْ هَذَا هُمْ يَعْتَدُونَ
أَنْ أَنْ تَأْلِمَ أَنْتَ وَسْتَالِمَ كَثِيرًا

* * *

بِسْمِكَهُ تَعْرِيَّهُ دَرَّهُ وَيَعْنَى أَنَّهُ يَعْنِي مَا نَلَمْ نَأْكُلَهُ أَنَّهُ
فَإِذَا كَانَ الْفَصْلُ ثَالِثُهُ فَقَدْ مَضَيَّتْ سِنَّهُ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْمُوْمَ وَتَغْسِيفُ كُلِّ
كُلِّ أَشْيَاءِهِ فِي مَأْبِتِ الْأَسْتَادَيَّهُ وَقَدْ يَنْتَهَيْنَ الْأَسْتَادَيَّهُ مِنْ رَكَأْتِهِ وَمَصْوِرِتِهِ
وَفَحْنِي نِوَاجِهَهُ فَجَاهُهُ أَوْلَاهُ الْفَصْلُ يَنْهِيَ الْخَلِبِمَ لِيَرْجِعَ فِي رَأْصِفِ الْسَّدَدِ
الْمُسِطَّرَةِ، وَتَسْخُلُ عَلَى زَوْجِهَا فَإِذَا هُوَ مُنْكَبٌ عَلَى كَتْسَهُ . فَتَتَعَجَّبُتْ إِلَيْهِ
فِي دِرْقِهِ وَلَكِنْهُ فِي سَبِيلِهِ، وَيَبْلُغُ، وَهُوَ لَكَعْنَ مَطْيَعِهِ وَلَكِنْهُ عَلَى كَرْهِهِ .

رَأَقْوَاهُي اسْتَطَلَبَ إِلَيْهِ الْمُخْلَفَالَّهُ أَنْ إِلَازِيَّنْ لَهُمْ يَجْبُونَ لِلْمُكْسَعِ، نَقْدَ الْمَصْهَارِيَّهُ لِلْمُكْبَرِ
يَلْتَحِقُهُمْ يَنْسَلِيَّهُمْ سَنَثَمْ، تَغْلِبُهُمْ هَذِهِ هُنْيَهُمْ يَلْمَعُونَ، الْعَلْمُ هُمْ يَمْسُطُهُمْ مِنْ تَفَانِ
تَعْيِنِهِ بِالْكِتَابَهُ وَالْتَّصْوِيرِ، وَانْهَا سَتَلَتْمَسْ لَهُ الْكَاتِبُ وَالْمَصْوَرُ . ثُمَّ يَعْنِيَهُمْ إِلَيْهَا
الْأَسْتَادَيَّهُ أَنْ قَدْ وَصَلَتْ إِلَيْهِ أَخْبَارُ مِنْ سَبِيلِهِ، فَيَظْهَرُ عَلَيْهَا الْحَنْقُ
وَالْمُوْجَدَهُ وَتَهِمُ بِالْتَّيَّلِ مِنْ هَذِهِ الْمَرَأَهُ فَيَمْنَعُهَا الْأَسْتَادَيَّهُ مِنْ ذَلِكَ وَيَنْبَهُهَا بِأَنْ
مُسْتَبِيلُ قَادِمَهُ الْأَيَّهُ لِتَتَقَقُّعُ مَعَهُ عَلَى زِيَادَهِ الْمَرَأَهُ الْهَدَى خَرَصَهُ لَهُمْ بِرَفِيعَهُ بَيْنِ
لَهَمْهَهُ لَهَوْهُهُ الْمَنْجَنَهُ الْبَيَّنَهُ مَنْلَعَوْهُهُ لَهُ الْمَسْهَدُ كَذَرَمَدَهُ الْمَلَكُوْلَاهُمْ يَسْعِيَهُمْ
بِجَاهِ الْخَيْرِ هُمْ يَسْتَهْبُونَ لَهُمْ خَيْلَ الْمُوْسَلِيَّهُ فَقَعْلَهُمْ يَنْهَا مَلَكُوْلَاهُ يَنْقُوْلَاهُ
لِلْأَزْوَاجَانِ هُلْبَعْهُونَ شَعَّاَهُونَ

وقد يجيئ أحيل لجان وعهد اليه حصولهم بهفلاً شهود المهمة فلما يحيث بمقابلها
ويجيئ شهري له قبليات أكثروا وقد تغيرت حالاته حتى في اذكره بما أوصى له
بعد ذلك خرج الزوجان ولها وحدها يتردد في الغرفة ذاتها جائياً بهما
يجهل مهوى التيهان ويأخذ على التوقيع الذي يعيشه يوقظ العفو الأفضل الأول
مه هنالك لها لم يجيء من هنا ما يراه شيئاً له لها
ولم يكتف هنا بطلصن الفضائل وتخالص من التشكيل والتقطيع والتحقق إلى
المخلص السريح المؤثر

هي هو هي الديانت بمحنة تسلّل في توقّعه وإذا سهلت خطواتها هي كانت تجده
وترافق كما كانت ترافقه، ويحس بها فلتفت وقد بلغ التأثير منه ومنها
لقصص مهضومة وفي كلها شيء لحظة وتحصل بها أنواعها في
عشرات العجائب الكبار التي لا ينتهي، ففيها آلات أسمى تطلعها وأحسن صفات الله ثم
هي من عذابه ورقابه كله ذو روحها ذكر القديم لعزمها فتقبرها فإذا وهو يعلق
على قلبه يطير بها على يد رفيقها عيشوش أمرأ فتشريفه، وفيمضي معه فراق
بسخريّة، أنه قد تفرج على الشر في ذيئتها يُؤجّبها غيرها على سلام

هي وسحرها يحصل منها بالإستهانك تقصد المكان نافذة والأمكنة طرابة وهي تخفيها
بذلك لتشاهد؟ أيضاً فهو ملوك الأحداث ونحو آخر ثم يفاجئه عدوها بها مدمنة هي
يشاهده؟ من تشريع لها ملوك لها فيهوبيه التي يukan سقراكمه كالإنسان يتعجل
نافذة مستلمها ذكرت عليه ملوكه لكي يعمد إليها منظر قد يقترب عندها، فتطلب
له قرارها لغيرها اليس يسب له يطلب الله وإن علمت أمرها كان المدحه
أليها مقربيها تمزقاً لا تقدر مالها عن ذلك أخير له باهلاً ليتسنى في استجاجه
كذلك المرعب وأنها مخطوبية وإنها مستروج بالشدة وبشكل شعبي

فقد أنت وقع هنا في نفس جان . وهي تريد أن تمضي ، ولكنها
لا تستطيع .. وهي تتحدث إلى جان حديثاً قصيراً فيه إبهام وغموض
وفي إجلاء ووضوح . ولكنها لا تلبث أن تفاجئه جان بأنها تعلم ما في
نفسه حق العلم ، وتقدر أن تالم ألا لا حد له . وهي تعلم من أمره
كل شيء ، وهو يعلم كذلك كل شيء . وقد أجلسته في المكان الذي تعود

الجلوس فيه من قبل . وجلست أمامه كما كانت تفعل وأخذت تتحدى
اليه لينة مرة عنيفة مرة أخرى ، معلنة اليه أنها أحبته منذ سنتين
حين كانت خطبها لزوجها . ولو قد دعاها في ذلك اليوم لأنسرعت
إليه ولكنه لم يفعل ايشاراً لمودة صاحبه . وهي ما زالت تعجبه وتري
زوجها صديقاً ليس غير .. وهي لم تخن زوجها وإنما خانته هو .
وإذا هو ينسكر أن تكون قد خانته ويزعم أنه كان مخطئاً « كذاباً » .
وهي تؤكد له أنه لم يخطئ ولم يكذب ، فيجيبها بأنها إن كانت آثمة فهو
يحب الاثم ويكره الفضيلة ، وإن كانت كاذبة فهو يحب الكذب ويكره
الصدق .

وينتهي بهما هذا المخوار إلى شيء من الذهول يدفع كل منها
إلى صاحبه . وإذا هما قد اعترضاً السفر معاً واستثناف حياة جديدة
فيها الحب الصريح الذي لا تكلف فيه ولا غشاء عليه . ولكنها تذكر
أنها تعرف من أمره ومن خلقه مما تعرف ، وأنها تؤثر أن يكون الزواج
بينهما قبل السفر . فلن يعيشَا خليلين . فيقيق عند هذا ويدركها
بخطبيها الغنى وما أنبأته به من الزواج . فتضحك وتعلن اليه أنه
هو خطبها وأنه سيكون زوجها وأنها قدرت ذلك كله منذ رأته . وهما يتهمثان
للخروج وإذا الأستاذ قد أقبل ومعه امرأته الجديدة فيدهش وتدھش
امرأته ولكنها تقبل على سبيل لتجيئها كارهة . وهي تلتمس لها
اسماً تدعوها به فلا تجده ، فتجيئها سبيل أن انتظري أياماً
فستدعيني مدام دي فلييه . فانظر إلى ابتهاج الأستاذ والى قوله :
« لقد أضمننا الوقت في انتظار هذا اليوم . وما كان أحراناً كما أن تصلا
إليه منذ أمد بعيد »

نورهان اليوتني

قصة تحريكية : للطفل بفرنسي

الضريح كابو



نعم هي

قصة فكاهية ولكن كلها حقيقة لا ينكرها أحد ،
ولن تخطئ إذا قلت إن الفكاهة هي هذه القصة من أنواع روح
القصة ولذاتها ~~لأنها لا تصل إلى الحقيقة~~ ،
وسيلة إلى ~~هذا~~ الجد الذي يحسن أنه يهدى إلى مبادرة ،
وألا يعمد الله الكاتب في غير احتيال وتكلف للطريق
المعوجة ، ~~أما جملة الكلام فكم المثير فيه~~ كم المثير في هذا
معاداً مهولاً ، فلابد من عرضه في صور جريمة لم يبال بها
الناس ، وأما لأنه من ~~هذا~~ الجد الذين تهبي الأخلق العالية
والآوضاع الاجتماعية أن يهجموا عليه الكاتب في
احتياجاته ، ~~فإن~~ نظارة القراء ، فهو من طلاق
يحتال على سمعك ما يرسخ دون أن
أو يسرد أو يكتب

والجد الذي يقصد ~~في~~ كاتبنا في هذه القصة ويتحقق
إلى إدخاله في القراءة والنظر ، ~~لأنه يخدم~~ في الواقع
فقد كتب الكلام حتى سنته النسوية ، ~~لأنه~~ في ذلك
دقائق لا يخلو منها شأنه أن ~~لأنه~~ على درجة
الآوضاع الاجتماعية ، ~~لأنه~~ على درجة خلق وخلق
ومخالفته لما في الناس من خلق ، ~~لأنه~~ لم يأت
لهم إلا بجهل وغباء ، ~~لأنه~~ من العصابة التي
القصاص ، ~~لأنه~~ من العصابة التي يكتب
اللعنة ، ~~لأنه~~ من العصابة التي يكتب
مجده ، ~~لأنه~~ من العصابة التي يكتب
لصلاح والطهير . وانشد تعلم أيضاً ~~لأنه~~ هذه المرأة على كثرة ما أدر
القصاص ، ~~لأنه~~ والأذباء والفلامسفة لا تزداد بهم ، ~~لأنه~~ الناس ينفقون
أمام ~~لأنه~~ أتفق ~~لأنه~~ الناس على أنه الأخلاق ~~لأنه~~ ينفعون ، ~~لأنه~~ يجب أن
تطمئن ، ~~لأنه~~ أريد أن أدفع عن هذه المرأة ، ~~لأنه~~ أريد أن أغير في
الأخلاق ، ولا أن أمس هذه العادات بخير ولا بشر ، فلست أنا من هذا

كله في شيء ، وما أنا بالذى يفكر في نقد النظام الاجتماعى وتغييره قليلا او كثيرا . إنما هي قصة أتعجبتني ، وأظن أنها ستعجبك ، بل أنتي أنت تعجبك ، ولهذا أخছها لك ، وأعرضها عليك في غير حكم ولا تأييد .

في هذه القصة خفة ورشاقة ، وفيها مجون ودعاية . ولكن من الذى حظر على الناس أن يعملوا إلى القصص الح悱 الرشيق الذى تزيده الدعاية خفة ويزيله المجون رشاقة فيقرعوه ويشهدو ؟ ومن الذى يستطيع أن يزعم أن الأدب لا يكون أدبا إلا إذا كان جدا كله ؟ ومن الذى يستطيع أن ينكر أن الدعاية والفكاهة قد تبلغان من التأثير في النفس ومن أذاعة الخير وتحبيبها إلى النفور ما لا يبلغه أشد الجد حموضة وعبوسا ؟

على أن قصتنا ليست من هذه الدعاية المقوقة ، ولا من هذه الفكاهة التي تضيق بها نفس الرجل الخير المتشدد في حب الخير . فهي تقارب العبرة وتتدنو منه فتسرف في الدنيا ، حتى يخيل اليك أنها ستتورط فيه ولكن الكاتب ماهر حريص على الخلق ، حريص قبل كل شيء على حس الجمهور ، وعلى حسه من ناحية الخير ، فهو لا يريد أن يؤذيه فهو يدريك من هذا العبرة حتى تقاد تلمسه ، ثم ما هي إلا حركة يدفع بها قلمه فإذا أنت بعيد من الاتهام كل البعد ، وإذا أنت لم تشهد منه إلا هذه الناحية التي تضحكك من الشر وترغبك عنه .

وهي فوق هذا كله تعرض لطائفة من الموضوعات الاجتماعية القيمة التي لن يوفق الناس لأن يتخدوا لهم فيها رأيا قاطعا . تعرض لموضوع الطلاق مثلا ، فيما لا شك فيه أن الناس سيظلون مختلفين في الطلاق ، يراه بعضهم خيرا لأنه يرفعه على الناس ويفصل بين الزوجين اللذين لا سبيل إلى أن يعيشَا مُؤْتَلِفِين ، ويمكنهم بذلك من حماية كرامتهم وشرفهم وأدابهم . ويراه بعضهم شرًا لأنه يقصم عروة قد أحکمها الدين كما يقول المسيحيون ، ولا أنه أبغض الحلال إلى الله كما يقول المسلمون .

وسيظل أولئك وهؤلاء في خلاف وجداول ما احتاج الناس إلى أن يكون بينهم الزواج والطلاق . ولكن هناك وجها من وجوه الطلاق لا يفكر فيه الناس كثيرا ، وربما لم يفكروا فيه بوجهه من الوجه ، وهم مع ذلك يحسونه ويجدون فيه اللذة حينا والآلم حينا آخر ، ذلك أن الطلاق في حقيقة الأمر وسيلة قانونية للفصل بين شخصين لا يستطيعان الحياة مؤتلفين ، كما أن الزواج وسيلة قانونية للجمع بين شخصين يعبان أن يعيشَا مجتمعين . ولكن المسألة هي أن نعرف أىستطيع الطلاق بعد أن يحقق هذا الفصل القانوني أن يتحقق فرقة أخرى صحيحة فيقطع الصلة قطعاً باتاً بين الزوجين كأن لم يعرف أحدهما الآخر ؟ كما أن هذه المسألة نفسها تعرض بالقياس إلى الزواج ، فالزواج يجمع الزوجين جمعاً قانونياً ، ولكنه قد يعجز في كثير من الأحيان عن أن يؤلف بينهما تأليفاً صحيحاً قوياً . ولعلك تذكر أنني قد حدثتك منذ حين عن قصة لهذا الكاتب نفسه عرض فيها للطلاق وعجزه عن أن يفرق بين الزوجين إذا جمع بينهما الحب الصحيح . وهذه القصة هي قصة « المذهبين » التي رأيت فيها رجلاً خان امرأته فأسرف في خيانتها ، حتى طلبت الطلاق وظفرت به وهمت أن تأخذ لها زوجاً آخر ، ومضى زوجها الأول في ائمه وعيشه ، ثم التقى فظهر أن الطلاق لم يفرق بين قلبيهما وإن فرق بين جسميهما ، وظهر أنهما مضطران إلى أن يستأنفا حياتهما الأولى .

وكاتبنا في هذه القصة التي نحن بصددها يعرض للطلاق من هذه الناحية وإن كان لا ينتهي إلى مثل النتيجة التي انتهت إليها في القصة الأخرى ، بل ينتهي إلى نتيجة مناقضة من وجه ما لتلك النتيجة . فسنرى زوجين لم يستطعوا أن يعيشَا مؤتلفين ، لأن المرأة خانت زوجها فأسرفت في الخيانة ، حتى طلب الزوج الطلاق فظفر به . ولكن هنا هذا الرجل طيب القلب ، خير الطبع ، فهو يعطف على زوجه بعد الطلاق ، ويمدها بما تحتاج إليه من معاونة ، وهو ينالها بالبر والمودة أكثر مما كان يفعل قبل الطلاق ، وهو يحسن أن هذا العطف وهذه المودة ينافسان أشد المناقضة ما الف الناس من عادة وقانونه ، فهو مضطرب بين أرضاء

طبعه وعاطفته وارضاء العرف . وهو يذعن في كثير من الاحيان للطبع والعاطفة ، ولكنه يذعن مرة للعرف فيفر من امرأته المطلقة ، ويغيل اليه أنه بهذا القرار سيريح نفسه من هذا الجهاد العنيف . ولكنك تعلم أن « الفريد كابو » صديق للمصادفة ، فهو يرى أن لها أعظم الآثر في تدبير حياة الأفراد والجماعات ، وقد بينت لك هذا في كل ما حلت من قصصه . وهو هنا يعرف للمصادفة هذا السلطان ويسخرها في قصته . واذا فيستطيع صاحبنا أن يفر من زوجه المطلقة ، فالصادفة كفيلة بأن تكرهما على اللقاء ، واذا فسيظل jihad متصلاً بين هذه العاطفة التي تعطف الرجل على زوجه بعد الطلاق ، وهذا العرف الذي ينكر ذلك ويراه اثما او شيئاً يشيه الاثم ، ولا بد من تدخل الصادفة لوقف هذا jihad عند حد ما .

فأنت ترى أن هذا الزوج من وجوه الطلاق خليق في نفسه بالعناية والدرس ، وتن الكاتب مهما يصطمع من الفكاهة والمجون لدرس هذا الموضوع وتقربيه إلى الناس فليس مسراً ولا غالياً في العبث . ذلك إلى أن الأمر في نفسه حقيقة من الحقائق الاجتماعية التي لا تتقبل الشك . فكلنا نعلم أن الطلاق كثيراً ما يعقب الندم والحسرة . وكلنا نعلم أن تدكـان لهذا أثره في آداب الأمم المختلفة ، في آدابنا العربية وفي الآداب الأجنبية على كثرتها واختلافها . واذا فهى حقيقة من الحقائق الاجتماعية يجب أن تدرس ، وأن يتلخص الآدباء إليها الوسائل المختلفة : قصصاً حيناً وتمثيلاً حيناً آخر ، جداً مرة ، وفكاهة مرة أخرى ، ذلك إلى أن هناك أشخاصاً من حق الأديب أو من الحق على الأديب أن يصورهم للناس ، فقد يكون في تصويرهم ، إلى جانب النفع الفني ، نفع خلقي واجتماعي . قد يكون هؤلاء الأشخاص أخياراً ، في تصويرهم ما يدعوا إلى القدوة ، أو أشراراً في تصويرهم ما ينفر منهم .

والحق أن الأشخاص الذين صورهم الكاتب فأحسن تصويرهم في هذه القصة قليلاً . هم أربعة ليس غير ، ومن حولهم أشخاص آخرون لا يمتازون بشيء . وهؤلاء الأشخاص الأربع قد أحسن الكاتب

تصويرهم حتى أصبح من اليسير جداً أن ننقل إليك صورهم في غير اطناب ولا اطالة .

فاما أولهم فهو « أدولف ديبوا »، رجل من أواسط الناس ، له ثروة ولكنها ضئيلة ، يعمل في ديوان من دواعين الحكومة ، خير الطبع ، رضي النفس ، مستقيم الخلق ، ضعيف الإرادة ، يكره الشر ولكنه لا يستطيع مقاومته في يسر ، ويحب الخير ولكنه يحب نفسه أيضاً ، فهو لا يستطيع أن يعتمد على نفسه في شيء وإنما هو يحتاج إلى من يعينه ويرشهده ويوجهه إلى سبيل الخير . وهذا الرجل هو الزوج الأول .

وأما الشخص الثاني فهو « البارون دى لاجامبيير »، شاب من الأشراف ، ضخم الثروة ، ولكنه كصاحبه خير ضعيف الإرادة ، لا يستطيع المقاومة ولا يقوى على الجهاد إلا في ناحية واحدة ، وهي الناحية المضادة لميول الأشراف وما توارثوا من عادة وسنة ، فهو يكره عادات الأشراف ولا يحرص على تقاليدهم ولا يحفل بها .

والشخص الثالث هي « ليونتين »، امرأة جميلة فتانية ، ولكنها كصاحبتها ضعيفة الإرادة خيرة ، غير أنها لا تستطيع مقاومة الشر ، أو قل لا تكاد تميز بين الخير والشر ، سلطان الغريزة عليها أقوى من سلطان العقل ، مجدة للفكاهة متدفعه فيها ، أو هي ترى الحياة كلها فكاهة ، حتى تعلمها المصادفة أن هذه الفكاهة قد تستحيل إلى جداً، فتستفيد من هذا الدرس ، وإذا هي صاحبة جد ولكنه جد باسم لا يكاد يخلو من الفكاهة .

والشخص الرابع هي الماركيزة « دى بوريساك »، شيخة من الأشراف ، هي عمة البارون دى لاجامبيير ، محافظة ، مترفة في المحافظة ، سيدة الخلق ، طويلة اللسان ، مبالغة مع هذا إلى المثير .

هؤلاء هم الأشخاص الذين تقع بينهم القصة . وهنالك اشخاص آخرون كثيرون تأتى بهم المصادفة ليتم تدبير ما يقع من الحوادث دون أن يكون لهم فى أنفسهم خطر .

* * *

فإذا كان الفصل الأول فنحن عند « أدولف » فى بيته فى باريس ، نشهد شابا قد أقبل يطالب بقسط من الاقساط المالية ، فتظن الخادم أنه يطالب بالقسط المستحق من ثمن البيانو الذى اشتراه سيدها ، فتندفع إليه خمسين فرنكا ، فيضحك ويطلب ألفين . فإذا سمعت الخادم هذا الرقم جرئت وفزعـت إلى سيدها ، فيقبل وبعد الشاب بالاداء بعد دقائق . وما هي إلا أن يصل صديق له عضـو فى مجلس النواب اسمـه « بلانتين » يحمل إليه هذا المقدار فيأخذـه ويدفعـه إلى الشـاب . والخـادم سـاخطة تلومـها لومـا عـنيـها ، فـهي تـعلم أـين يذهبـ هذا المال ، هو يذهبـ فى حاجـات زـوجـه المـطلـقة . ومع ذلك فقد أضاعتـ هذه المرأة على زـوجـها أكثر ثـروـته ، ثم خـانتـه فأـسـرفـت ، حتى إذا طلقـها اـتـخذـت صـنـاعـة المـوـسـامـات ، وهـى مع ذـلك لا تستـعـى أن تـلـجـأ إلى زـوجـها القـدـيم كلـما مـسـها الضـيق ، وزـوجـها القـدـيم لا يستـعـى أن يـعـينـها كلـما لـجـأتـ إليه . ثم تـنـصـرـفـ الخـادـم مـفـضـبة ، ويـأخذـ النـائـبـ فى النـصـبـ لـصـديـقهـ إلا يـفـعـلـ ، وـصـديـقهـ يـرـى رـأـيهـ ويـقـبـلـ نـصـحـهـ . ولـكـنـ الخـادـم تـعودـ فـتـعلـنـ إلى سـيدـهاـ أنـ زـوجـهـ مـقـبـلةـ ، فـيـضـيقـ الرـجـلـ ذـرـعاـ وـلـكـنهـ يـسـتـقـبـلـهاـ . فإذا دـخـلتـ رـأـيـتـ اـمـرـأـةـ خـفـيـفةـ الرـوـحـ ، حـلـوةـ الـحـدـيـثـ ، مـسـتـخـفـةـ بـكـلـ شـئـ ، قد أـقـبـلتـ عـلـى زـوجـهاـ القـدـيمـ مـطـمـئـنةـ وـائـقـةـ تـحـدـثـ إـلـيـهـ فـي غـيرـ تـكـلـفـ ، وـزـوجـهاـ يـخـشـىـ أنـ تـكـوـنـ قـدـ أـقـبـلتـ تـطـلـبـ بـعـضـ المـالـ فـهـوـ يـدـافـعـهـ عـنـ مـالـهـ . وـلـكـنهـ لـمـ تـقـبـلـ لـشـئـ مـنـ هـذـاـ ، اـنـماـ أـقـبـلتـ لـشـئـ آـخـرـ ، ذـلـكـ أـنـهـ غـضـبـتـ عـلـى صـاحـبـهاـ فـطـرـدـهـ ، أوـ غـضـبـ عـلـىـهاـ صـاحـبـهاـ فـانـصـرـفـ عـنـهاـ ، وـكـانـتـ قـدـ اـسـتـدـانـتـ فـعـجزـتـ عـنـ أـدـاءـ الدـيـنـ ، وـبـاعـ الدـائـنـوـنـ مـتـاعـهـ ، وـأـصـبـحـتـ وـلـيـسـ لـهـ مـأـرـىـ ، وـهـىـ تـبـحـثـ عـنـ بـيـتـ ، وـلـكـنهـ تـرـىـدـ مـأـوىـ حتىـ تـجـدـ هـذـاـ الـبـيـتـ وـتـهـيـئـهـ لـلـسـكـنـىـ . وـقـدـ فـكـرـتـ فـيـ صـدـيقـاتـهاـ وـلـكـنهـ

استحقت منهن ، فلم تجد الا زوجها . فيدافعتها الرجل عن بيته ، ويشجعه صاحبه على الدفاع . وتقبل المرأة رفض زوجها راضية غير مكتئفة في ظاهر الأمر ، حتى اذا انصرف النائب عنهمما أقبلت الى « البيانو » ، فأخذت تعزف لاعبة باكية في وقت واحد . وعجز صاحبنا عن المقاومة فأذن لها أن تبقى عنده . وهو يفكر في تدبير الأمر فسينزل لها عن غرفته وسينام في غرفة الاستقبال . أماهى فلاتريد أن يفسد النظام في غرفة الاستقبال بهذا السرير الذي سيضيق إليها ، وهي لا ترى بأسا ان تقاسم زوجها غرفته ، ولكن الزوج يرى في ذلك البأس كل البأس ، فتقبل منه ذلك ضاحكة غير حافلة . وهل تحفل بشيء ؟

وانظر إليها قد نهضت فنظرت في غرفة الاستقبال فلم يعجبها تنسيق المtauع ، فهي تقتصر على تغيير النظام ، تريد أن تنقل هذا المtauاع من مكانه وتضع مكانه متابعا آخر . وزوجها يرى رأيها وكأنه قد نسي الطلاق وخيل إليه أنهما في حياتهما الأولى . وانظر إليها بعد هذا تطلب إلى زوجها شيئا من النقود ، وتكلف الخادم أن تشتري شيئا من الزهر تزين به هذا البيت . ثم انظر إليها تداعب زوجها ، وهو يقاوم أول الأمر ثم تضعف مقاومته حتى يوشك أن ينزل ، لولا .. زيارة تفصل بينهما . فقد أقبلت صديقتان لزيارة « ليونتين » وكانت قد أنبأتهما أنها ستليجا إلى عمها فتقيم عنده حتى يجعل الله لها من ضيقها مخرجا ، فتقبلان وتقدم إليهما « ليونتين » ادولف على أنه عمها .

فإذا خلا النساء إلى أنفسهن قالت احدى الصديقتين لليونتين : إن الله قد هيا لها مخرجا من هذا الضيق ، فان البارون « ادوار دى لاجامبيير » الذى رأها منذ سنة مفتون بها ، وهو يلتمسها ويريد أن يتخدتها خليلة له ، وهو مقيم لزيارة بعد حين ، تقولان ذلك وتنصرفان . ويأتى الزوج وهو مضطرب فى دخلة نفسه ، واثق بالزلل أن أقام مع أمراته ، عاجز عن أن يرى لنفسه مخرجا من هذه الأزمة . ولكن صديقه النائب قد عاد يخبره بأنه مسافر ، فيطلب إليه أن يصطحبه ليخرج من هذه

الأزمة ، ويقبل النائب . وانظر اليه يعلن الى زوجه أنه مسافر الان لأمر طرأ ، وأن سفره قد يطول ، وانها مطلقة التصرف في البيت ما لم تسيء السيرة ، وأن خادمه متصله بشخصها ، وأنه ترك لها مقدارا من المال يقترب منه صاحبها ، وهو يهبي حقيبة وينصرف .

وما هي الا أن يقبل البارون ومعه صديق له أستاذ في مدرسة من مدارس الزراعة في الأقاليم . فإذا أستاذنا وأذن لها انتظرا لحظة نراهما فيها وحدهما فتعرف أن البارون على ذكائه ومهاراته في تصريف الحديث مفهوم أمام النساء ، ولا سيما حين يعجبنه ويقنن من نفسه .

وما هي الا أن تدخل « ليونتين » حتى يظهر اضطرابه وعجزه وحتى تسخر منه في نفسها ، ويظهر في الوقت نفسه لسن هذا الصديق الأستاذ وفضاحته ، فإذا « ليونتين » مفتونة بهذا الأستاذ . ولست طيل عليك بتلخيص ما يقع بينهم من حديث ، ولكن الأمر ينتهي بدعوة إلى العشاء وقبول لهذه الدعوة وخروج الثلاثة إلى حيث يطعمون .

* * *

فإذا كان الفصل الثاني فنحن في مدينة من مدن الأقاليم ، في دار الأستاذ السندي رائيه في الفصل الأول ، وقد أقبلت لزيارته واستشارته المركizza « دى بريساك » ومعها ابنة اخ لها جميلة يقال لها « أورتنس » . وأورتنس هذه تنبئ عمتها أنها كانت تفقد الحياة لولا أن رجلا أنقذها ورد عنها فرسا جامحا كاد يقتلها . وعمتها تسخر منها ومن صاحبها الذي أنقذها ، كما تسخر في غضب وسخط من ابن أخيها البارون « دى لا جامبيير » الذي تزوج امرأة مطلقة من باريس خارجا بذلك على تقاليد الأشراف وأصول الدين . وهذه الشيخة مغضبة محنة على كل شيء ، ترى أن لنظام الجمهوري مسئول عن كل الشرور حتى التي لا عمل للناس فيها . أليست الجمهورية هي التي استحدثت هذه العلل التي تصيب الكروم فتفسدها ! وقد أقبلت هذه المرأة تستشير أستاذنا

الزراعي في أحدهما !! ولكن الأستاذ قد أبطأ ، فتنصرفان على أن
تعودا بعد حين .

ويقبل الأستاذ ويقبل البارون ويتحدثان . فنفهم من حديثهما أن
البارون لم يكدر برى « ليونتين » حتى فتن بها واعترض أن يتخدلا له
زوجا ، تردد في ذلك أيام ثم صحت عزيته فتزوجها ، لم يحفل بأحمد
ولم يدع أحدا ، وهو سعيد بهذا الزواج منذ ثلاثة أشهر ، وامرأته سعيدة
أيضا . وهو يلتمس لها العذر فيما اقترفت من اثم قبل أن يتزوجها ،
فذنب ذلك على زوجها الأول ، ذلك الرجل المجرم الذي كان يشرب
حتى إذا سكر عاد إلى بيته فأداق امرأته ألوان العذاب . وآية ذلك أن
المحكمة حكمت عليه بالطلاق لا على زوجه . هو إذا راض عن حظه مقتطع
به ، وصاحب الأستاذ يهنته ويغبطه ، وهو يعلم زوجه اصطناع
البسكليت ، وهو معجب بجمالها فيما تتخذ لهذا الغرض من زى ، معجب
بذكائها وسرعة اتقانها لهذا الفن .

ثم نفهم من حديثهما أنه ساع لصديقه الأستاذ في أن ينال أحد
الأوسمة ، وأنه لا بد لذلك من عريضة يوقعها أعيان الأقليم . والأستاذ
قد هيأ هذه العريضة وسيمضيها البارون ويحمل عمتها على أمضائهما ،
فسيكون لذلك أثره ، وإن كانت عمتها ساخطة عليه مفاضلة له . وقد
أقبلت « ليونتين » في ذى البسكليت جميلة خلابة مبتسمة للحياة ،
راضية عن كل شيء ، حلوة الحديث ، لذينة الفكاهة ، فتتحدث حينا ،
ونفهم من الحديث أن زوجها مضطر إلى أن يغيب عنها ساعات تقضيها
هي في دروس البسكليت ، ثم ينصرف الزوج حينا ، فإذا بين الأستاذ
وبين « ليونتين » اثم قديم العهد لأنها أحبته منذ رأته وأحبها هو أيضا
ولكنه خائف ، أما هي فلا يعرف الخوف إلى نفسها سبيلا . وانظر إليها
قد أخذت تداعبه ، وهو يجيئها كارها ، ثم تدنو منه وما تزال تدنو حتى
تكون بين ذراعيه ، وهو يقبلها وهي تقبله ، وهي تكرهه على أن يضرب
لها موعدا إذا انصرف زوجها ، وهو يتأنى ، ولكنها تكرهه وتلح عليه
وتقول له في قبلة : « إلى اللقاء بعد حين » .

وفي أثناء ذلك يفتح الباب وظهور الشيحة ، فاذا رأت هذا المنظر انصرفت مغضبة وافتراق العاشقان ولم يحسا شيئا .

ثم يعود البارون وتنصرف امرأته الى البسكليت . وبينما هو في حديث مع الأستاذ اذ تستاذن الشيحة فتدخل في جد وحشمة ، وتطلب الى الأستاذ ان يزور زراعتها غدا او بعد غدا وتهم بالانصراف . ولكن ابن أخيها يستوقفها ويريد ان يتقرب اليها ، فيتركهما الأستاذ حينا فيتهدثان . وتفهم من حديثهما أنها لا تعرف بزواجه ، وانما ترى أنه اتخذ لها خليلة وليس في ذلك بأس . غير أن الشاب يطلب اليها توقيع العريضة فتأبى في غضب لأنها تزدرى هذا الأستاذ ، وكيف لا تزدريه وقد رأت بين ذراعيه منذ حين امرأة جميلة في زي البسكليت ما ترى الا أنها من مؤسسات باريس !! يدهش الشاب لأنـه كان يرى صديقه الأستاذ أبعد الناس عن العبث واللهو . فاذا ألح في هذا الدهش والاحت عنته في الوصف وانتفصيل . قطرق الشك اليه فيستووصف عنته . فتفصل الوصف ، فيستحيل الشك يقينا ، واذ هو مصعوق ، واذا عنته تقول في سخرية : أخشى أن أكون قد أسيأت إليك عن غير عمد . ولكن صاحبنا يريد أن ينتقم وهو يريد البينة قبل الانتقام ، وقد أخبرته عنته أن العاشقين تواعدوا على أن يلتقيا بعد حين ، فيخرج وتخرج معه عنته للاستعانة بصاحب الشرطة ، وقد عاد الأستاذ الى تعرفته ، وهو يحدث نفسه كارها لهذا الموعد ، معلنا أن الدرس والمرأة لا يجتمعان .

ولكن المرأة قد أقبلت . فتداعب وتعبت حتى تصرف الرجل عن درسه ، ثم تنسل في لطف الى غرفة النوم وقد تجردت من ثيابها ، وهي تدعو إليها صاحبها في دعاية ورشاقة ، وصاحبها يقبل عليها كارها . ولكن يسمع وقع أقدام ، ثم يحس طرق الباب ، ثم يستيقن انه الزوج قد أقبل ومعه صاحب الشرطة ، فيضطرب ويشتد اضطرابه ، ويحاول أن يحمل صاحبته على الفرار . ولكن كيف تفسر وهي عريانة !! أما هي فهادئة مطمئنة ، تأمر صاحبها ان يفتح الباب . وقد فتح الباب ، ودخل الزوج ودخل صاحب الشرطة ومعه كاتبه ، ولكننا لا نكاد نرى صاحب

الشرطة حتى يأخذنا الدهش ثم الأغرق في الضحك ، ذلك أن صاحب الشرطة هو « أدولف ديبوا » الزوج الأول لليونتين ، أرادت المصادفة أن يكون مدير الشرطة في هذه المدينة منذ أيام .

يأخذ صاحب الشرطة في كتابة المحضر مستعيناً بكتابته ، حتى إذا أراد أن يرى المرأة الخائنة أنيبيه أنها لا تستطيع أن تظهر له فيسجل ذلك في المحضر . وبعد حين يفتح باب الغرفة وتخرج « ليونتين » ... فقدر دهشها ، وقدر بنوع خاص دهش صاحب الشرطة وقد رأى أمرأته في هذا الموقف . ولكنهما يجتهدان في إخفاء هذا الدهش ، ويحاول الرجل أن يمضي في عمله فيأخذ في سؤال « ليونتين » فتطلب إليه « ليونتين » أن يأذن لها في توجيه الكلام لحظة إلى هذين الرجلين زوجها وعاشقها . فتسأله الزوج ماذا يريد ؟ يجيئها الطلاق في أسرع وقت . وتسأله الأستاذ ماذا يريد أن يصنع ؟ فيجيب أنه لا يريد شيئاً فهو رجل درس ، وكل ما يعنيه أن ينصرف إلى علمه . هو إذا متخل عنها ... هو إذا رجل لا شرف له ولا مروة وقد كانت أحبته لأنها كانت ترى فيه جداً واستقامة . أما زوجها فيسألها ماذا تريد أن تصنع هي ؟ تعجبه وما يعنيك من هذا ؟ فيقول : إنك ستظلين زوجي حتى يفرق الطلاق بيتك ، فمن الحق أن أعرف الأم تصريحين . عجيب ! سذهب إلى حيث كنت ، إلى بيت عمى فهو خير كريم . ولا يكاد صاحب الشرطة يسمع هذا حتى يملكه غضب لا حد له ، فهو يحس أن « ليونتين » ستعود إليه ، وهو إنما ترك باريس فراراً من « ليونتين » وهو يريد أن يتقيها ما استطاع إلى ذلك سبيله . وانظر إليه يأبى أن يمضي في كتابة المحضر على وجهه ، ويعلن أنه لم ير اثما وإنما رأى سيدة محتشمة عند الأستاذ . فلا تسأل عن سخط الزوج وحنقه . ولكن صاحب الشرطة ملتح ، ثم ينتهي الأمر بأن يطلب صاحب الشرطة إلى الزوج أن يتحسدثا لحظة على خلوة ، فيتفرق عنهما الناس ، ويأخذ « أدولف » في النصح لهذا الشاب بأن يعدل عن الطلاق ، وما يزال به يبغض إليه الطلاق ويحبه إليه العفو والمغفرة حتى بلغ منه ما أراد . وقد عادت المرأة ، فيترکهما لحظة يتم فيها الوفاق بينهما ، ويعود وقد

استقام له الأمر كما كان يحب ، فلن يكون طلاق ولا خصومة ، ولن تلجم إاليه « ليونتين » . ولكن الزوجين قد أحباه لأنه أصلح بينهما وأحبه الزوج بنوع خاص ، فهو يدعوه إلى العشاء ، وامرأته تلح في الدعوة . وإذا فقد كان يريد أن يفلت من « ليونتين » ، فأصبح مكرها على عشرة « ليونتين » .

* * *

فإذا كان الفصل الثالث فقد مضت أيام على هذه الحادثة . ونحن في قصر البارون نرى « ليونتين » تؤنب خدمتها في رفق وفكاهة ، وقد أقبل « أدولف » مدعوا إلى الغداء ، فتلقاءه « ليونتين » مبتهجة بلقائه وهو ضيق الصدر بهذه المودة ، ضيق الصدر خاصة بمكانه من البارون الذي يجهل كل شيء مما كان بين « أدولف » وليونتين ، وهو ينبع « ليونتين » بأنه قد غير اسمه الخاص عندما سأله عنه البارون ، وبأنه يتمنى طریقاً للانتقال من هذه المدينة حتى لا يضطر إلى معاشرة الزوجين . ولكن « ليونتين » لا تريد أن يفارقهما ، وهي لا ترى في شيء مما كان يأسا . ونحن نحس في كل أحاديثها أن قد تغيرت حقاً منذ تلك الحادثة التي رأيتها في الفصل الثاني ، تغيرت فأصبحت خيرة طيبة النفس ، ظاهرة الطبع شديدة البغض للاثم والثانية ، محبة لزوجها شديدة المرض على الوفاء له ، عافية عن الآثمين متتجاوزة عن آثامهم ، وقد أقبل الزوج فإذا هو أشد من أمرأته حباً لأدولف ووقاءً له واعترافاً بجميله . والرجل مضطرب ضيق الصدر بين هذين الزوجين . ولكن حب البارون لأدولف لا حد له ، فهو يريد أن يتمنى له زوجاً ويحسن به عمل هذه الحياة التي تتغصنها الوحيدة ، وامرأته تشاركه في هذا الرأي . وما هي إلا لحظة حتى يهتدى الزوجان إلى القرينة الملائمة . وما الذي يتمتع « أدولف » من أن يتزوج ابنة عم البارون « أورتنس » فهي جميلة غنية خيرة ! أما أدولف فلا يرى في هذا إلا نوعاً من المزاح .

ولكن « أورتنس » قد أقبلت ، فلا تكاد ترى « أدولف » حتى تدهش . فهو الذي أنقذها من الموت . وما يكاد أبن عمها يخلو اليهسا ويحدثها في

هذا الزواج حتى تظهر الرضا والاطمئنان ، فالقوم جميعا سعداء ، ولا سيما بعد أن أقبل النائب « بلانتين » يزور البارون فيلقى صديقه « أدولف » وصاحبه « ليونتين » ويكون فى هذا كله اضطراب غريب مصدره حرص « أدولف » على إلا يظهر اسمه الحقيقي ، وحرصه أيضا على إلا تظهر المعرفة و « ليونتين » . وتتكلف هؤلا القوم جميعا الحيلة فى اخفاء الأمر على البارون . هم ينجحون فى هذا التكليف ، وهم كما قلت لك سعداء ينتظرون الدعوة إلى المائدة . ولكن المصادفة لم تفرغ بعد من عملها ، فقد أقبلت عمة البارون الشيخة ، فخلمت إلى ابن أخيها لحظة تسأله عن أمر الطلاق ، فلا يستطيع أن يخبرها بأن قد تم الصلح بينه وبين امرأته ، فيزعم لها إن القضية تجرى مجريها . ولكن الشيخة قلقة لأن ابنة أخيها « أورتنس » مشغوفة بحب هذا الرجل الشرطى الذى أنقذها من الموت ، وهى تخشى أن ينتهي هذا الحب إلى الزواج . فإذا سألها ابن أخيها وأى بأس فى ذلك ؟ أجبت أنها الفضيحة ، فان هذا الرجل قد طلق امرأته . فيدهش الشاب لأنه كان يقدر أن صاحبه لم يتزوج ، فتركد أنه عمه ذلك وتخرج له وثيقة استخلاصتها من المحكمة فى باريس وفيها أن هذا الرجل واسمه « أدولف ديبوا » قد كان سكيرا يضرب امرأته ، فطلقت امرأته عليه ، ثم أثبتت لابن أخيها أن هذا الرجل هو بعينه الذى عين منذ أيام مدير الشرطة . فقدر أنت دهش الشاب واضطرابه حين يعلم أن صاحب الشرطة هو الزوج الأول لامرأته ، واسمع لعمته تقول له الآن كما قالت له فى الفصل الثانى : أخشى أن أكون قد أساءت إليك عن غير عمد يا ابن أخي ! . وقد انصرفت عنه وتركته فى هياج واضطراب . فانتظر إليه وقد دخل عليه « أدولف » ومعه « ليونتين » كيف يستقبل صاحبه مضطربا مسانحطا صاحبا ، يعلن إليه اسمه وصنياعته الأولى فى باريس وقضيته مع امرأته . . . والرجل يعترف بكل شيء فى وجوم ودهش ، حتى إذا فرغ من هذا أعلنت « ليونتين » أن « أدولف » لم يكن فى يوم من أيام حياته سكيرا ولا شريرا ، لم يضر بها ولم يسى إليها ، وإنما هي التى خانته فأراد الطلاق ، وكره أن يكون الحكم عليها فقبل أن يتهم نفسه وأن يقع الطلاق عليه هو . ثم تتبع امرأته بعد

الطلاق بالبر والمعطف ، حتى كان هذا الحادث الاخير . وانظر اليها ترافق بزوجها وتترضاه في خفة ودعابة وظهور حتى تأخذ يده فتضعها في يد زوجها الاول . وتدخل « اورتنس » ومعها النائب يستعجلان الغداء . فيضع البارون ذراع « ادولف » قبی ذراع « اورتنس » وقد سماه باسمه هذه المرة . فاذا سمع اثناء ذلك ظهر الدهش ، فينبئه صاحبه أن قد عرف الرجل كل شيء وهم يتقدمون الى المائدة والخادم مقبلة وفي يدهما زهر تقدمه الى سيدتها كأنما تهدى هذا الزهر الى هذين الخطيبين .



للافتاف النيون
هي الزيستة في

اضواء المدنية

جميع لافتات النيون
والزخارف الجميلة المصارة
يمختلف بلاد الشرق الأوسط

من تصميم وتنفيذ

شركة

الاعلانات: المصرية

الشرقية

فهامة ممتازة درصانة دائمة



ليس هذا العنوان ترجمة دقيقة للعنوان الفرنسي ، وربما لم يكن ترجمة مقاربة . فالعنوان الفرنسي يشير إلى نوع خاص من اللهو ، هو هذا **الضجيج الأمريكي** الذي شاع في المطاعم والملاهي والذي يسمونه الجازباز . وأذا كنت لم أعن بالترجمة الدقيقة لهذا العنوان ، فذلك لأن هذا العنوان نفسه لا يدل على القصة ولا يختصرها ولا يدل على جزء مهم من أجزائها ، إنما يدل على شيء إضافي من في القصة عرضًا . ومن حقنا أن نتساءل : لم اتخذ الكاتب لقصته هذا العنوان ؟ وما به لم يلتمس لها عنوانا يلائم موضوعها أو أشخاصها ملائمة صحيحة ؟ على أن هذه الخصلة ليست وحدها الخصلة الغريبة في هذه القصة ، فالقصة كلها غريبة في حقيقة الأمر : غريبة في تصورها ، غريبة في عرضها ، غريبة في نتيجتها ، ولكنها على ذلك قيمة لذاتها ، أو قول إنها لذلك نفسه قيمة لذيتها .

والحق أنك في حاجة إلى أن تقرأ هذه القصة مرتين ، وربما احتجت إلى أن تقرأها أكثر من مرتين ، لالتقلمها ففهمها سهل يسير ، ولا لتشعر بقيمتها الفنية فأنت شاعر بهذه القيمة متى بدأت في القراءة ، ولكن لتتبين الغرض الذي إليه قصد الكاتب حين وضع قصته . ولست أدرى أمن الميسير بعد القراءة مرة أو مرتين أو ثلاثة أن تقطع بالغرض الذي قصد إليه الكاتب . ومن يدرى ! لعله لم يقصد إلى غرض بعيد عن عينه ، ولم يفكر إلا في أن يعرض عليك قصته كما تصورها ، تاركًا لك أن تستنبط منها ما تشاء .

ومهما يكن من شيء ، فانت مضطر إلى أن تلاحظ في هذه القصة أمرين : أحدهما نعى شديد على العلماء الذين يقفون حياتهم على العلم وحده وعلى العلوم التي تمس الآداب بنوع خاص .

فموضوع القصة رجل من هؤلاء العلماء وقف حياته على اللغة اليونانية . والكاتب لا يعرض علينا أمر هذا العالم وحده ، ولكنه يعرض علينا من قريب أو بعيد أمر قوم آخرين يعملون في كلية من كليات الآداب منهم الأستاذ

ومنهم الطاب . والثاني صراع عنيف بين الحياة العلمية المباغة والحياة العملية التي لا تخلو من لذة ودعة ولذين . فهل قصد الكاتب الى أن يبغض الى الناس هذه الحياة العلمية الحسنة التي يسرق فيها بعض العلماء حتى يجعلوها أشبه برهبانية الرهبان ونسك النساكين ، مزدرین في سبيلها عواطف النفس وآهواها ، وحاجات الجسم وما تستتبعه هذه الحاجات من لذة وألم ؟ أم هل قصد الكاتب الى أن يسخر من هذا اللون من الوان البحث العلمي ، ويبين أنه اذا كان هناك نوع من العلم خليق بأن يقف الانسان عليه حياته وليس هو هذا النوع الذي يفرغ له الباحثون عن اللغات وعن اللغات القدمة بنوع خاص ؟ أم هل قصد الى أن يسخر من البحث العلمي بوجه عام ؟ أخشى أن يكون قصد الى هذا كله في وقت واحد ، أخشى أن يكون قد قصد الى ما يقصد اليه الشبان في هذا العصر الحديث ، ولاسيما بعد انتهاء الحرب الكبرى ، من تمجيد الحياة العملية والاعراض عن هذه الحياة العلمية الخالصة ، بحجة أن هذه الحياة العملية هي وحدها المنتجة ، وهي الملائمة لطبيعة الأشياء وحاجات الناس ومذهب المنفعة بعبارة موجزة .

ومهما يكن الغرض الذي قصد اليه الكاتب فان قصته لا تخلو من لذة قوية ونفع كثير . ولو لم يكن للكاتب الا هؤلاء الاشخاص الذين قد صورهم فأحسن تصويرهم ل كانت قصته خليقة بالعنایة ، فكيف وقد وفق فوق هذا لطائفه اخرى من المعانی تبشر بأن سيكون له في فن التمثيل مستقبل لا بأس به .

على أنني لا أحب أن أبدأ في تحليل القصة وعرض أشخاصها عليك قبل أنلاحظ أن الفصل الثاني من هذه القصة خليق أن يمحى ، فليسـتـ اليـهـ حاجةـ فـنيةـ ، وربما كان من الاتقان الفنى أن يتركـ الكـاتـبـ للـقارـيـءـ أوـ للـنـظـارـةـ تـقدـيرـ ماـ جـاءـ فـيهـ . علىـ أنـ هـذـاـ الفـصـلـ نـفـسـهـ لاـ يـخـلوـ منـ فـكـاهـةـ رـائـقةـ وـ تـفـكـيرـ عمـيقـ . ولـعـلـ هـذـاـ هـوـ الذـىـ حـلـ الكـاتـبـ عـلـىـ أنـ يـضـحـىـ بـالـفـنـ التـمـثـيلـ فـيـ سـبـيلـ الـفـنـ الـأـدـبـيـ الـخـالـصـ .

* * *

الأشخاص الذين يستحقون أن يعرضوا في هذه القصة أربعة ، أولهم

« جان بليز » وهو رجل في السابعة والخمسين من عمره ، أنفق حياته كلها في درس اللغة اليونانية ، ووفق في هذا الدرس إلى حظ من الفوز فتن به الناس جميعاً فتال أوسمة الشرف كلها من حكومته الفرنسية ، وهو يوشك أن ينتخب عضواً في المجمع العلمي وأن يختار أستاذًا لليونانية في السوربون . وهو في سبيل هذا المجد العلمي قد أخذ نفسه باللوان من الشدة في حياته ، فرفض الحب رفضاً قاطعاً وانصرف عن النساء وعن لذات الحياة كلها . ثم لم يكتف بهذا بل خيل إليه أنه من هذه الطائفة المختارة التي خلقت لتقود الإنسانية وترقيها . وهو مطمئن إلى هذه المكانة مقنع بأنه قد أصبح من الخالدين ، وهو يزدري الحياة العملية والذين يضطربون فيها ، لا يؤمن لهم إلا بأنهم خدم يهيئة العلماء حاجاتهم فيعيينوهم على تأدية ما يؤدونه من نفع لهذا النوع الإنساني . وهو بهذا كله مؤمن ، مقنع بآيمانه ، لا يقبل فيه جدالاً ولا نزاعاً . ولكن نفسه على شدة اقتناعها بهذا كله لم تستطع أن تقوله ولا أن تلطف من حدة شعوره فهو في جهاد متصل بين العلم والمهوى . وأكبر الظن أنه إنما أمعن في العناية بالعلم ووقف حياته عليه حين أحسن الاحتفاق في الحب وأشفق ألا يعجب النساء . وآية ذلك أن هذا الجهد قد بلغ من العنف أن آذاه وأضنه وظهرت آثار هذا الأذى في مجموعته العصبية التي نشعر منذ الفصل الأول بأنها قد أخذت تضعف وتضطرب حتى أشفقت عليه خادمه أن يكون قد أصيب بأحد أمراض المعدة . وقد وفق الكاتب توفيقاً غريباً لأن يعرض علينا شخصية هذا الرجل عرضاً قوياً ، فقد ألف هذا الرجل من شخصين مختلفين : أحدهما هو هذا العالم الذي عرضته عليك ، والآخر شاب يمثل هذا الرجل حين كان طالباً وحين كانت نفسه تنازعه إلى الحب والنساء ، وجعل الصراع بين هذين الشخصين مادياً خارجياً يرى بالعين .

الشخص الثاني عميد كلية الآداب ، وهو رجل متقدم السن عالم ولكن فيه عيوب أمثاله من العلماء الذين يشغلون المناصب ويحرصون على أن يرضي عنهم الجمهور والرؤساء ، فهو حسود مسرف في الحسد ، وهو

منافق ، غال في النفاق ، وهو إلى ذلك جبان عظيم الحقد من الجبن ، وهو يتقن العلم ويظهر الإيمان به ولكن في حقيقة الأمر يزدريه ويشك فيه .
الشخص الثالث فتاة في ريعان الشباب هي « سليل يواسيه » طالبة في الجامعة تدرس اللاتينية واليونانية ، جميلة ولكنها فقيرة ، تعنى بأن تعيش ، ولا تكاد تفكرا فيما يفكر فيه الفتيات من حب أولئك ، مستعدة كل الاستعداد للتضحية ، ولكنها لا تكاد تحس الحب حتى تظهر فيها الأثر ويشهد عجزها عن التضحية .

الشخص الرابع فتى صربي هو « ستيبانوفيتش » كان من جنود الحرب الكبرى ، أبل فيها بلاد الأبطال ، فلما انتهت عاد إلى مهنة التعليم التي كان يعيش منها ، ثم بدأ له فجاء إلى فرنسا يتم درس اليونانية ، وهو كبير النفس صبور محتمل المكروره في سبيل العلم ، لا يتزدد في أن يتخذ صناعة الحمال في محطة السكة الحديدية ليتمكن من الدراسة . وهو رقيق النفس قوى العاطفة ، ولكنه يعرف كيف يكتم حبه ، فإذا ظهر له أنه يستطيع أن يعلن لهذا الحب دون أن يتجاوز الحق والعدل مضى في ذلك غير هشيق ولا متعدد ولا ممحجم عن أشتعم أنواع القسوة .

هؤلاء هم أشخاص القصة ، فلننظر كيف يضطربون فيها .

* * *

نحن في مدينة جامعية من مدن الأقاليم ، في دار « جان بليز » آخر النهار ، وقد ذهب الأستاذ إلى الجامعة ليلقى درسه . فإذا رفع الستار رأينا خادمه تتحدث إلى صديق أقبل ليزوره ومعهما عميد كلية الآداب قد جاء وكأنه يحمل نذير سوء . ثم ينصرف هذا العميد منفرا بمدته . فإذا خلت الخادم إلى صديق سيدها أخبرته بأن سيدها متعب مضطرب الأعصاب قد تحدث إلى نفسه إذا جنح الليل ، وعللت ذلك باضطراب في المعدة ، وعلل الصديق ذلك بالوحدة .

ثم يأتي الأستاذ فإذا كانت بينه وبين صديقه التجوية المألوفة وجلسا يتحدثان فهمنا أن هذا الأستاذ قد ذهب مرأة إلى مصر فوجده في بعض

أديرتها نسخة قديمة كتب عليها الانجيل باللغة اللاتينية ، ثم تبين أنه قد كان مكتوبا قبل الانجيل شيء باللغة اليونانية ، فمحى الانجيل وأخضي نسخته لعمل كيميائي مكنه من كشف الأصل لهذا النص اليوناني فإذا هو كتاب من كتب أفلاطون يقال له « فايتون » . ولكن هذا الأصل كان مضطربا قد عبث به الزمان فلم تبق منه إلا كلمات وجمل منها التام ومنها المبتور ، فجد في ذلك حتى أصلحه وآتمه . وقد أنفق في هذا العمل أعواما طوالا ، ثم نشره فاضطراب له العلماء في أقطار الأرض وكادوا يجمعون على أن هذا الأستاذ قد أخرج للناس أقوم أثر من آثار أفلاطون من الوجهة اللغوية والأدبية والفلسفية . وعرفت الحكومة الفرنسية لهذا الأستاذ حقه فكافأته بالاؤسمة ، وهي تريد أن تنقله إلى السوربون وهو يوشك أن يكون عضوا في المجمع العلمي . ويحدث بهذا كله صديقه الذي لا يكاد يفهم منه شيئا لأنّه يعمل في التجارة . فإذا ظهر منه عجزه عن الفهم كانت بينه وبين صاحبه مناقشة رأينا منها كبريات الأئمّة بعلمه واذراءه لغيره من الحياة والأحياء .

وبينما هما كذلك إذ تقبل « سليل بواسيه » أحد تلاميذ الأستاذ يريد أن تستعير من أستاذها كتابا فيغيرها أيامه . ولكنهما لا يكادان يتحدثان حتى نحس من الأستاذ ميلا خاصا إلى هذه الفتاة وعطفا عليها ومن الفتاة اعجبابا بالأستاذ . والفتاة لم تأت في حقيقة الأمر لستعير الكتاب ، إنما جاءت لتعرض على أستاذها أن رفيقا لها من الطلبة هو « ستيبانوفيتش » قد ضاقت به سبل الحياة فهو مضطرب إلى أن يعود إلى وطنه ، وقد تعاون رفاته فيما بينهم فجمعوا له مقدارا من المال ، ولكنهم لا يعرفون كيف يدفعونه إليه لأنّه شديد الكبراء ، فهم يتوصلون بالأستاذ ليؤدي إليه هذا المقدار . فإذا سمع الأستاذ هذا ، رد المقدار إلى الفتاة ووعدها بأن يصلح من أمر الفتى ، ثم أخذ يلومها لأنّها لم تحسن كتابة الموضوع الذي طلب إليها كتابته باليونانية . وتنصرف الفتاة ، ويأتي الفتى الصربي مودعا الأستاذ ، فلا يمكنه الأستاذ من أن يتكلّم ، بل يفجّره بأن يعلن إليه أنه سيطبع كتابا من كتب « كسينوفون » ، وقد أعد لهذا الكتاب شرحا وتعليقا .

ولكن أوراقه في حاجة إلى الترتيب والنسخ ، فهو يكلفه هذا العمل ويأجره عليه ويدفع إليه بعض هذا الأجر مقدماً ، والفتى مرتبط بهذا لأنَّه يمكنه من اتمام الدرس وقادية الامتحان دون أن يؤذى كبريه .

فإذا خرج الفتى وهو الأستاذ أن يستأنف حديثه مع صديقه أقبل عميد الكلية ، فيتلقاه الأستاذ عابساً منقبضًا ، ويسرع العميد فينبئه بأنه جاء يحمل إليه شيئاً ويأخذ في تعزيته وتشجيعه . فإذا ألح عليه ليعرف هذا النبأ أعلن إليه أن العالم الانجليزي «كولسون» قد ذهب إلى مصر واستكشف فيها نسخة من كتابه «فايتون» وكانت نسخة صحيحة واضحة لا عيب فيها ، وظهر من قراءة هذه النسخة أولاً أن الكتاب ليس لأفلاطون وإنما هو ل نحو من أهل الإسكندرية كان يقلد أفلاطون في القرن الأول للمسيح أي بعد أفلاطون بأربعة قرون ، ثانياً أن كل ما اقترحه الأستاذ لاصلاح النص وتكملة جمله والفاظه وتصحيحها خطأ . وهذا العالم الانجليزي ينشر نسخته التي استكشفها ولكنه يرسل منها مسودة ليقرأها الأستاذ قبل أن تظهر للناس . ثم يدفع العميد هذه المسودة إلى الأستاذ ، ويأخذ هذا في قراءتها والاضطراب يملأه شيئاً فشيئاً ، وقد ظهر ذلك عليه ، فنهض صديقه ، وخرج العميد ليترك الرجل منفرداً إلى مسودته .

وفي أثناء ذلك يظهر فتى كأنما انشق عنه الحائط وهو رث شاحب ، فيقف خلف الأستاذ وينظر محزوناً كأنه يقرأ المسودة .

* * *

فإذا كان الفصل الثاني فقد مضت أيام على هذه القصة وظهر أمرها للناس ، وافتضح الأستاذ فضيحة منكرة ، وانقسم فيه العلماء الذين كانوا يعجبون به ، فمنهم من يتهمه بالجهل المنكر ، ومنهم من يتهمه بالتدليس القبيح . وقد كانت هذه الفضيحة صدمة للرجل حالت بينه وبين الذهاب إلى الجامعة أياماً . وكأنه قد استرد قوته فعزم أن يستأنف دروسه ، وأقبل الطلبة مضطربين يريدون أن يروه وأن يسمعوا وهم في

أمره مختلفون اختلاف العلماء والجمهور . ولكن العميد يحاول أن يؤخر استئناف هذا الدرس ، فيغري أحد الخدم بأن يصد الطلبة عن قاعة الدرس ، ويعلن إليهم أن الأستاذ قد أجل درسه ، ولكن بعض الطلبة يأبون إلا أن يقتربوا غرفة الدرس . وهم جلوس وقد رأى العميد أن لا بد من استئناف الدرس ، فأقبل يخطب الطلبة يعيّب أستاذهم وكأنه يرثي له ، ويغريهم به وكأنه يعطفهم عليه .

ويأتي الأستاذ فيتتخذ ثوبه الرسمي ويجلس إلى مائدةه ، وإذا الفتى الذي رأيناه في آخر الفصل الأول قد ظهر ووقف في آخر الغرفة تجاه الأستاذ . وببدأ الأستاذ يتكلّم فإذا هو يعترف بأنه قد أخطأ في كل شيء ، فليس الكتاب لـ «فلاطون» ، وليس تصحيحة لهذا الكتاب حقاً ولا مقارباً ، وإنما يستعمل على أكثر ثمانمائة غلطة . ولكن هذا الكتاب حقاً ولا مقارباً ، بالخطأ قد خدع الذين يعنون باليونانية جميعاً سواء منهم اللغويون والأدباء وال فلاسفة ، كلهم قبله ، وكلهم أظهر الاعجاب به . وينتقل الأستاذ من هذا إلى أن العلم ليس شيئاً ، وإنما هو وهم في وهم وضلال في ضلال ، وأن العالم أشبه الناس بالرجل الذي اهتدى إلى كنز في مكان مظلم فاتخذ المصباح ليصل إليه ، ولكنه شغل بالمصباح عن الكنز ، فأخذ يرفع ذبالته حيناً ويخفضها حيناً آخر . وليس العقل الإنساني إلا هذا المصباح الذي يشغل العلماء عن الحياة وما فيها من لذة ومتاع ، وإذا الأستاذ يبحث تلاميذه على الاعراض عن العلم والاستمتاع بلذات الحياة ، ويمضي في ذم العلم ومدح الله إلى حيث يوشك أن يكون متصوفاً ، ثم ينهض فيلقى عنه ثوب الأستاذية ، ويعلن إلى تلاميذه أنه مستقيل .

* * *

فإذا كان الفصل الثالث فتحن في بيت الأستاذ مساء هذا اليوم ، وقد تغيرت غرفته فخللت من المكتب خلوا تماماً . وهو جالس إلى مكتبه يتظر في أوراق ثم يمزقها ، وقد جاء العميد يسأله عن كلمات زعموا أنه قالها في درسه وهي لاتليق بالعالم ولا بالأستاذ ، فلا ينكرها بل يزيد عليها ويرفع إلى العميد استقالته من الأستاذية . ويلمع العميد عليه مخلصاً في أن

يسترد هذه الاستقالة فيأبى . وهنا تكشف لنا نفس العميد ، فهو يتخد العلم ورياسة كلية الآداب صناعة لا أكثر ولا أقل ، وهو لا يؤمن بعلم ولا يؤمن بجامعة وإنما يؤمن بالحياة : بأمراته وولده . وهو يشبه العلماء حين يظفرون بالحق فيفرحون ، أو يردون عنه فيحزنون ، بالآلطفال الذين يتحاربون لاعبين فيخيل إليهم أنهم يجدون واداهم يطلبون الفوز ويفرحون به حقا ويكرهون الهزيمة ويحزنون لها حقا . ولكن الأستاذ مصر على استقالته فينصرف عنه العميد . ويعمل الرجل إلى نفسه حينا ، فإذا الشاب الذى رأينا فى الفصلين الماضيين قد مثل أمامه ، فيكون بيته وبين الأستاذ حوار بدائع مؤثر حقا . فليس هذا الشاب فى حقيقة الأمر إلا الأستاذ حين كان طالبا وحين كان يكره نفسه على العلم ويصرها عن الحب واللهم . وقد تمثل هذا الشاب القوى الفتى المحروم فى شخص هذا الفتى ، وأقبل يعرض على الشيخ ذكرى هذا الحرمان والشيخ يدافع ثم لا يلبث أن يمضى معه فى الذكرى . فانظر إليه حين كان يستيقظ قبل آخر الليل فيقبل على اليونانية يقرأ ويكتب ويستظهر . وانظر إليه كيف كان يغدو مع الصبح فيسلك إلى الجامعة أبعد الطرق عن الفتنة منصرا عن ضوء الشمس وجمال الربيع وابتهاج المدينة . وانظر إليه كيف كان يلوى وجهه عن هذه الفتاة الحسنة تمر إلى جانبه . وانظر إليه كيف أحب وعيت الحب يقلبه ولكنه مع ذلك أبى أن يعلن حبه وأخذ يخادع نفسه عن هذا الحب . وأخذ يتجاهل ميل صاحبته إليه فلا يحييها ولا يظهر الميل إليها . وانظر إليه مع ذلك كيف أهوى مرة إلى زهرة القتها هذه الفتاة فاحتفظ بها منذ عشرين سنة فهى الآن جافة ذاتلة ولكنه لا يكاد يلمسها حتى تتفتح وتسترد نضرتها . ثم انظر إليه كيف يعتذر إلى شبابه فيزعم أنه لم يكن جميلا ولا وسيما ولا جذابا للنساء . ولكن حرفة يأتيها الفتني فإذا هو جميل وسيم حسن الطلعة مقتنع بأنه كان يستطيع أن يظفر بحب النساء . يعرض الفتني على الشيخ شبابه وما صنع فيه من لذة وما أهمل فيه من فرصة ، والشيخ يضطرب عليه شيئا فشيئا حتى يدنو من الجنون . وإذا هو يستغيث ، فتقبل ألمadam فلا ترى أحدا ويستخر الشيخ .

ولكن هذه « سبيل » قد أقبلت تعلن الى الأستاذ باسمها وباسم رفاقها دهشهم مما سمعوا ، فيؤكّد الأستاذ أنه لم يكن مازحا ولاعابشا ، ويعلن اليها أنه مستقيل ، فتلعج عليه فـى أن يسترد استقالته فيـاـين . ويكون بينهما حوار نفهم منه أنه يحب الفتاة ويود أن يجد لـبـه صـدـى فيـنـسـها ، وهو يتلمس هذا الصـدـى فلا يـجـده ، فهو يـضـطـرـبـ بينـ الـلـيـنـ والـشـدـةـ حتىـ اذاـ اـسـتـيـاسـ تـرـكـ الفتـاهـ تـنـصـرـفـ . ولاـيـكـادـ يـخـلـوـ الىـ نـفـسـهـ حتىـ يـعـودـ الـلـيـهـ الفتـىـ فـيـلـوـمـهـ لـوـمـاـ عـنـيـفـاـ لـأـنـهـ يـحـبـ هـذـهـ الفتـاهـ وـقـدـ تـرـكـهاـ تـنـصـرـفـ وـقـدـ كـانـ يـسـتـطـيـعـ أـنـ يـعـلـنـ الـلـيـهـ جـبـهـ ، فـيـنـسـكـرـ هـذـاـ الحـبـ ، ثـمـ يـعـتـرـفـ بـهـ ، ثـمـ يـعـتـدـرـ عنـ أـحـبـاجـامـهـ بـأـنـهـ مـتـقـدـمـ السـنـ وـقـدـ ظـهـرـتـ عـلـيـهـ آـفـاتـ الـكـبـيرـ . ولـكـنـ الفتـىـ يـقـنـعـهـ بـأـنـهـ مـاـ زـالـ مـحـفـظـاـ بـقـوـتـهـ قـادـرـاـ عـلـىـ أـنـ يـسـتـمـتـعـ بـالـحـيـاهـ ، وـالـفـتـاهـ عـاـئـدـهـ يـعـدـ حـيـنـ لـأـنـهـ نـسـيـتـ حـقـيـبـتهاـ ، وـهـىـ اـنـمـاـ نـسـيـتـهاـ لـأـنـهـ تـحـبـ الشـيـخـ ، فـاـذـاـ عـادـتـ فـيـلـعـنـ الـلـيـهـ جـبـهـ ، وـلـيـكـنـ بـهـ رـفـيـقاـ وـلـهـ مـلـاطـفـاـ وـفـيـ حـدـيـثـهـ الـلـيـهـ لـبـقاـ . وـقـدـ عـادـتـ الفتـاهـ تـلـتـمـسـ حـقـيـبـتهاـ ، فـيـدـعـوـهـاـ إـلـىـ الـبـقـاءـ حـيـنـاـ . وـمـاـهـىـ إـلـاـ أـنـ يـتـخـدـ طـرـيقـهـ إـلـىـ الحـبـ فـيـلـعـنـهـ إـلـىـ الفتـاهـ ، فـتـدـهـشـ وـيـطـلـبـ الـلـيـهـ الزـوـاجـ فـتـضـطـرـبـ ثـمـ تـرـددـ ، وـلـيـكـادـ يـسـتـيـئـسـ مـنـهـاـ ، فـيـلـعـنـ الـلـيـهـ هـذـاـ الـيـاسـ وـأـنـهـ سـيـقـلـ نـفـسـهـ ، فـتـشـفـقـ وـتـلـيـنـ وـتـضـعـفـ ، فـيـدـنـوـ مـنـهـماـ يـوـيدـ أـنـ يـقـبـلـهـاـ فـتـأـبـيـ وـتـفـزـعـ وـتـرـاجـعـ . فـاـذـاـ رـأـىـ الفتـىـ هـذـاـ قـامـ مـقـامـهـ فـيـ هـذـهـ المـدـاعـيـهـ وـالـمـلـايـنـهـ فـظـفـرـ مـنـ الفتـاهـ بـالـلـثـمـهـ التـيـ يـرـجـوـهـاـ ، وـاـذـاـ الفتـاهـ مـسـتـانـسـهـ مـطـمـئـنـهـ قـدـ جـلـسـتـ إـلـىـ جـانـبـ الشـيـخـ وـأـسـنـدـتـ رـأـسـهـاـ إـلـىـ كـتـفـهـ وـهـىـ تـنـسـمـ تـلـكـ الزـهـرـهـ الـتـيـ كـانـتـ جـاـفـهـ فـعـادـتـ نـصـرـةـ .

* * *

فـاـذـاـ كـانـ الفـصـلـ الـرـابـعـ فـقـدـ مـضـتـ أـيـامـ عـلـىـ هـذـاـ ، وـتـمـ الـاـتـفـاقـ بـيـنـ الشـيـخـ وـالـفـتـاهـ عـلـىـ أـنـ تـكـونـ لـهـ زـوـجاـ وـعـلـىـ أـنـ تـقـيمـ عـنـهـ أـيـاماـ ، ثـمـ يـسـافـرـانـ إـلـىـ حـيـثـ يـقـيمـ وـصـيـبـاهـ فـيـكـونـ الزـوـاجـ ، وـسـيـسـافـرـانـ الـيـومـ مـعـ الـظـهـرـ . وـئـنـعـنـ نـرـىـ الشـيـخـ قـوـياـ وـسـيـمـاـ حـسـنـ الرـزـىـ مـطـمـئـنـاـ إـلـىـ الـحـيـاهـ مـبـتـسـمـاـ لـهـ يـمـشـىـ فـيـ غـرـفـتـهـ مـشـيـهـ مـطـمـئـنـ الرـاضـىـ . وـلـكـنـ الـعـيـدـ قـدـ أـقـبـلـ يـعـلـنـ الـلـيـهـ أـنـ النـاسـ يـتـعـدـثـونـ بـمـقـامـ الفتـاهـ عـنـهـ وـيـنـكـرونـ ذـلـكـ ، وـقـدـ كـتـبـتـ فـيـهـ صـحـفـ

السوء واتهمت كلية الآداب كلها بالعبث والمجون ، وذلـك شر يرغـب الناس عن الكلـية وأساتـذتها ، وقد أصـبحـت الكلـية حـديثـ الناس وـشكـ فيـهاـ الجـمـهـورـ حتىـ انـ اـمـرـأـهـ قدـ أـعـلـنـتـ اليـهـ انـهاـ لـنـ تـدـعـهـ يـذهبـ وـحـدهـ الىـ الكلـيةـ .ـ ولـكـنـ الشـيـخـ لاـ يـحـفـلـ بـكـلامـ العـمـيدـ وـلاـ بـكـتابـةـ الصـحـفـ وـلاـ سـخـطـ الجـمـهـورـ ،ـ فـهـوـ سـعـيدـ ،ـ وـهـوـ يـرـيدـ أنـ يـتـخـذـ الفتـاةـ لـهـ زـوـجاـ ،ـ وـهـوـ سـيـمـيرـ حـذـهـ المـدـيـنـةـ وـجـامـعـتـهاـ وـجـمـهـورـهاـ .ـ

فـاـذـاـ انـصـرـفـ العـمـيدـ وـأـقـبـلـ الخـادـمـ رـأـيـنـاـهـ لـيـسـتـ أـقـلـ مـنـ العـمـيدـ سـخـطاـ عـلـىـ الـأـسـتـاذـ .ـ وـكـيـفـ لـاـ سـخـطـ وـهـوـ شـيـخـ يـرـيدـ أـنـ يـقـتـرـنـ مـنـ فـتـاةـ ،ـ وـهـوـ يـحـتـجـزـ الفتـاةـ عـنـهـ وـلـيـسـتـ زـوـجاـ وـلـاـ خـطـيـبـهـ ،ـ وـالـنـاسـ يـتـحـدـثـوـنـ .ـ أـلـيـسـتـ بـائـعـةـ الـفـاكـهـةـ قـدـ تـحـدـثـتـ اليـهـ فـيـ ذـلـكـ سـاخـطـةـ !ـ !ـ وـلـكـنـ الشـيـخـ لـاـ يـحـفـلـ بـهـاـ وـلـاـ بـبـائـعـةـ الـفـاكـهـةـ .ـ

وـانـظـرـ إـلـىـ الفتـىـ قـدـ أـقـبـلـ ،ـ وـيـسـأـلـهـ الشـيـخـ فـيـمـ جـاءـ فـيـأـخـذـ الفتـىـ فـيـ لـوـمـهـ :ـ أـلـيـسـ يـحـبـ هـذـهـ الفتـاةـ ؟ـ أـلـيـسـتـ هـذـهـ الفتـاةـ تـحـبـهـ ؟ـ فـمـاـ بـالـهـ لـاـ يـظـفـرـ مـنـهـ بـمـاـ يـطـمـعـ فـيـهـ الـمـعـبـونـ ؟ـ وـمـاـ بـالـهـ يـدـعـهـ تـقـضـيـ اللـتـيلـ وـحـيـدةـ فـيـ غـرـفـتـهـ وـهـوـ فـيـ غـرـفـتـهـ مـسـهـدـ يـضـنـيـهـ الـحـبـ وـتـعـذـبـهـ الشـهـوـةـ !ـ .ـ وـالـفـتـىـ يـغـرـيـهـ وـالـشـيـخـ يـدـافـعـهـ .ـ وـلـكـنـ انـظـرـ اليـهـ كـيـفـ أـثـرـ فـيـهـ الـأـغـرـاءـ ،ـ فـمـلـكـتـ الشـهـوـةـ عـلـيـهـ اـمـرـهـ وـدـنـاـ مـنـ غـرـفـةـ الفتـاةـ تـدـفـعـهـ اليـهـ الرـغـبةـ ،ـ وـكـادـ يـدـخـلـ لـوـلـابـقـيـةـ مـنـ شـرـفـ وـوـفـاءـ رـدـتـهـ عـنـ ذـلـكـ ،ـ فـيـنـهـ الفتـىـ وـيـكـبـحـ شـهـوـتـهـ وـيـؤـثـرـ اـنـتـظـارـ الزـوـاجـ .ـ

وـهـذـهـ الفتـاةـ قـدـ أـقـبـلـتـ فـيـلـقاـهـ بـاسـمـاـ ،ـ وـتـرـدـ تـحـيـتـهـ فـيـ دـعـةـ وـاطـمـنـانـ وـتـعـرـضـ عـلـيـهـ أـنـ يـكـوـنـ الزـوـاجـ فـيـ هـذـهـ المـدـيـنـةـ ،ـ وـأـنـ يـكـوـنـ الفتـىـ الـصـرـبـيـ منـ شـهـودـ هـذـاـ الزـوـاجـ .ـ ثـمـ تـأـخـذـ فـيـ الشـنـاءـ عـلـىـ الـصـرـبـيـ وـذـكـرـ بـلـائـهـ فـيـ الـحـربـ ،ـ فـيـحـسـ أـنـ فـيـ نـفـسـهـ مـنـ هـذـاـ الفتـىـ شـيـئـاـ ،ـ وـقـدـ خـرـجـ الـأـسـتـاذـ لـبعـضـ شـائـعـهـ عـلـىـ أـنـ يـعـودـ بـعـدـ حـينـ .ـ

وأقبل الفتى الصربي يريد أن يرد إلى الأستاذ كتابه وما له لأنها مسافر ، ولا يكاد يتحدث إلى الفتاة حتى تفهم أنه لا يسافر زهدا في العلم ولا عجزا عن الاقامة ، وإنما يسافر يأسا وقنوطا ، فهو يحب الفتاة ولكنه لم يعلن إليها جبه ، وقد مضى الوقت وجاء هذا الإعلان متاخرًا والفتاة تدافعه وتعتذر عن نفسها بضعف الشيخ ويأسه ، وإنها لا تعرف الحب ولم تحسه ، وقد أخذت نفسها بأن تعيش مع هذا الرجل كما تعيش المرضية مع المريض . ويهتم الفتى أن ينصرف ، فتمسكه ، ويمضيان في الحوار ، حتى إذا استيقن أن لم يكن بينها وبين الشيخ أثم التمس الحب عندما وفوجده في قلبها تستحق له الفتاة وتتراجع .

وهذا الأستاذ قد عاد فيرد الفتى إليه كتابه وما له ، ثم يعلن إليه فيلين لا يخلو من القسوة أنه لا يستطيع أن يتزوج من هذه الفتاة . وقد تركتهما الفتاة ، فيكون بينهما حوار عنيف فيه غيرة وحقد ، فيه غيرة الشباب الطامع في الحياة يريد أن يستقبلها في أمل ولذة . وفيه غيرة الشيخ اليائس يريد أن يظفر من الحياة بتصيب . وقد اتفقا على أن يحكمها الفتاة نفسها ، فتدعى ويرد عليها الشيخ حريتها ويسألاها أن تختار بينهما . فتسأله : وإلى أي حال تصير وحدك ؟ ٠٠٠ ويفهم الشيخ . فانظر إليه يائسا قد صعقه اليأس وانصرف عنه المعجان .

وانظر إلى الفتى قد ظهر يزجره وينهره ، وهو الآن لم يأت ناصحا ولا رفيقا ، وإنما جاء ثائرا محنتا يريد أن ينتقم لشبابه المضيع . وقد تغير المسرح بعض الشيء ، وأخذنا نسمع ونرى ضجيج الرقص وحركته وأصحاب اللهو يسرفون في لهوهم ، والموسمات يتهالكن على الناس فتنة واغراء ، والفتى يدفع الشيخ إلى هذا اللهو ، ولو مسمات يدعونه إليه وقد كاد الشيخ يقبل لولا بقية من شرف وكرامة فهو يأبى ويتراجع ، والفتى يدفعه متهرأ زاجرا متذرا معلنا إليه أنه قد أفسد عليه شبابه فليفسد على شيخوخته ! . ولكن الشيخ يأبى . وانظر إليه قد اعتصم آخر الأمر بكتاب يقيمه له ، فهو يلتمس عند العلم العزة بعد أن ينس من الحب . وكذلك فعل شبابا . ولكن الفتى ينazuه ويكون بينهما جهاد يصرع له

الشيخ . وتسعم الخادم فتسرع الى سيدها فاذا هو طريح ، فاذا أقبلت اليه
لتسعفه نهض مثاقلا وامرها أن تلتمس الطبيب فتخرج ويعدم الشيخ
الى مسديسه فيخرجه وهو يعتصم بالمسدس حينا وبالكتاب حينا آخر .
ولكن الفتى قد أقبل مرة أخرى ، وظهرت الحانة والرقص والفتى يدعوه
الشيخ اليها قيابي ، ويطلق مسلسه على الفتى فلا يصيّب منه شيئا .
وانظر الى الفتى فهو الذي يتناول المسدس وهو الذي يطلقه على الشيخ .
وانظر الى هذا الشباب المضيع وقد انتقم لنفسه من هذا الشيخ فهو
يسقط ضريعا .



استند

من
البيهقة
والمستحبة

لـ وليست

السيارات

لم تقدر ترهق ميزانيتك



نظريين ...

كوفيكات الجبورة للسيارات

بداري سينا راديو فسيينا فصر النيل

حفلة الساعة ٣ يوميًّا

الكترونيات تنشر: جبر الجبورة والجبورة والجبورة والجبورة والجبورة والجبورة والجبورة والجبورة

اندوانيت سايد

قصة ترجمة : للطابع الفرنسي

رومان كولوم



مثلت هذه القصة لأول مرة في أكتوبر سنة
سنة ١٩٠٣ ، وما يزال الممثلون يلعبونها إلى
الآن . وأكبرظن أنهم سيلعبونها زمناً طويلاً
أيضاً . ذلك لأنها من القصص التي تعجب جمهور
النظارة وتأخذ عليهم قلوبهم والبابهم ، وتشير في
نفوسهم من العواطف ما يدفعهم إلى تشجيع
الممثلين على الاحتفاظ بها واعادة لعبها من حين
إلى حين .

والحق أنك لا تكاد تمضي في قراءة هذه القصة حتى تلاحظ أمرين مختلفين ، ولكنهما خليقان بالاعجاب ، كفيلان بأن يطول بقاوئها في ملاعب التمثيل . أحدهما أن الكاتب قد رأى حين وضعها ، لا أقول أصول الفن ، وإنما أقول أصول المنطق ونظام التفكير الإنساني مراعاة دقيقة جداً . فأنتم تتنقل بين مناظرها وفصولها ، كما تتنقل بين قضايا القياس المنطقي المتقدن . قد وضع كل شيء فيها موضعه لا يستطيع أن يتجاوزه ولا ينبغي له أن يتقدم أو يتاخر . وأنتم لا تفرغ من قراءة منظر حتى تتوقع المنظر الذي يليه ، وما تزال كذلك طوال الفصل الأول وطوال الفصل الثاني ، حتى إذا كُنت تفرغ منه فجاتك المصادفة التي لم تكن تنتظر والتي لم تكن منها بد لتنشأ المشكلة التي تدور حولها القصة . فإذا كانت هذه المصادفة فقد شأت هذه المشكلة وتعقدت وانتهت إلى أقصى ما كان يمكن أن تنتهي إليه من العنف والشدة . ولكننا نعود في الوقت نفسه إلى هدوء المنطق ، وتنصل الحوادث أمامنا مطردة مستقيمة يتبع بعضها بعضاً وينتج بعضها من بعض حتى تنتهي إلى نتيجتها الطبيعية المعقولة ، وهي نتيجة محزنة ، يالم لها الجمود ، ويعجب بها ، ويعرض على أن تتكرر أمامه في الملاعب .

هذا أحد الأمرين . الآخر الثاني أن القصة كلها صراع عنيف بين طائفتين من العواطف والواجبات قد الفها أو ساط الناس واطمأنوا إليها وتعودوا أن يقبلوها كما هي لا يضعونها موضع المناقشة ولا الجدال . فيما يعجبهم أن يظهر الكاتب هذه العواطف والواجبات وقد أصطدمت وتناقضت ووقف

بعضها من بعض موقف العرب والخصومة القوية . فنحن نرى في القصة صراعاً بين الحب والصداقة ، وبين الحب والواجب ، وبين الصداقة والواجب ، وبين الحب المشروع والحب الذي لا يبرأ من الإثم والخيانة ، وبين الوفاء الزوجي وهذا الحب الأثيم ، ثم بين الشرف والمنفعة ، ثم بين الشرف والحب والحياة . وكل هذه العواطف والواجبات قد مثلها الكاتب تمثيلاً قوياً صادقاً ، وتحير لها أشخاصاً يتقمصونها تقمصاً ، إن را لك هذا التعبير . ونحن نلذ أن نرى هؤلاء الأشخاص يختصمون ويجهدون ببعضهم بعضاً ، ويجهدون كل واحد منها نفسه . ونحن نقف أمام النتيجة الأخيرة لهذا كله موقف المطمئن المستسلم الذي يقول مع الشاعر العربي القديم : « لا بد مما ليس منه بد » والذى يستطيع فى الوقت نفسه أن يمضي إلى ما وراء القصة ويعرف ما يتم بين هؤلاء الأشخاص من توادع وترابط يقومان على المزن والاستسلام لهذه القوانين الصارمة التي تدمر حياة الإنسان .

فإذا أضفت إلى هاتين المصلتين خصلة ثالثة هي الاتقان الفنى من الناحية الكتابية الصرفة وحسن تحير اللفاظ والمهارة فى تدبير الحوار ، استطعت أن تتبين السر فى أن هذه القصة لم تتجاوز شبابها بعد وإن كانت قد نيفت على العشرين .

ولنببدأ فى تحليلها كما تعودنا البدء فى تحليل هذه القصص بعرض أشخاصها عليك فى ايجاز لأنهم كثيرون .

أول هؤلاء الأشخاص وأحقهم بالعناية هي بطلة القصة التى سميت باسمها وهى « أنتوانيت سابرية » . نعرفها ولما نقرأ من القصة أسطراً ، ونعرف فى الوقت نفسه أنها امرأة قوية الشخصية لأنها بثت الحسد من حولها ، وأطلقت النساء بالقول المختلف فى سيرتها وحظها ووفاتها وما يتصل بذلك . وهي فى حقيقة الأمر امرأة قوية الشخصية ، عظيمة الحظ من الإرادة ، قادرة كل القدرة على أن تضبط نفسها وتسير سيرة تلائم الواجب والخلق ومكانتها الاجتماعية الرفيعة وإن لم تلائم مثلها الأعلى

في الحياة وحاجتها إلى ما يطلب النساء من اللذة ونعم العيش . هي متوسطة السن ليست شابة ولكنها محتفظة بجمال الشباب وروعته وقوته أيضا . خفيفة الروح ، جذابة ، راجحة الحلم ، يظهر عليها الهدوء والرزانة والرضا ، ولكن قلبها جنوة من النار مضطربة أشد الإضطراب وقلما يحس ذلك أحد غيرها . وهي كما قدمنا مالكة لهذا القلب ، قادرة على تصريفه كما تحب وحيث تحب إلا أن يعرض لها شخص آخر أشد منها قوة وأبعد منها أثرا .

تزوجت من رجل يشبهها من بعض الوجوه ويختلفها من بعضها الآخر ، وهو « جرمان سايرييه » قوى الإرادة مثلها ، متقد القلب مثلها ، ضابط لنفسه مثلها أيضا ، ولكنه قد عرف طريقه فمضى فيها اندفاعا ، وأذعن له الفوز في كل ما حاول من الأمر . كان ضئيلا فقيرا يعمل في سوق الأوراق المالية ، فماهى إلا أن اندفع في هذا الطريق حتى أصبح من كبار الماليين في أقل من عشرة أعوام . وهو اليوم زعيم من زعماء المصارف وملك من ملوك البورصة ، يتربى إليه الناس ويتهالكون عليه ويحسدونه ويترقبون به المكروه . وهو مطمئن إلى حظه ، واثق بالمستقبل ، لا يشفق ولا يخاف ، ولا يتردد ولا يحسب إذا أراد أن يقدم على شيء . وهو يحب امرأته حبا قويا حادا ولكنه غريب ، فهو لا يظهر لأمرأته هذا الحب على النحو المألوف ، وإنما هو مقتنيع بأنه يرضي امرأته وعراطفها وميولها إذا أغناها وضمن لها حياة متربعة خلابة تبعث الحسد وغبطة النساء . وهو يخيّل إليه أنه حصيّب من حب امرأته ما أراد ، لا يسأل نفسه أراضية هي أم ساخطة أقانعة أم محرومة ؟

وبين هذين الزوجين شخص ثالث هو « دوراي » متقدم في السن بعض التقدم ، قوى الإرادة جدا ، قادر على ضبط نفسه ، في قلبه جنوة تضطرم من الحب ، ولكنه قد سيطر عليها واستطاع أن يلطفها حتى يجعلها جنوة وفاء ومودة بريئة طاهرة أحبت « انتوانيت » وحاول أن يظفر بحبها فلم يوفق . ولكنه ظفر منها بالمودة فقنع ، ودرى من حياته بساعات ينفقها من كل يوم مع هذه المرأة في حديث برىء ونصح ومودة راضية ،

يجدان في هذا كله لذة لا تشبهها لذة . وانطلقت السنة الناس فيما بالوان القول ، ولكنها لا يعفان بذلك ، ولا يحفل بذلك الزوج نفسه لأنّه شديد الثقة . بامرأته ، شديد الثقة بصديقه .

ولهذا الصديق اخت شابة هي « ايلين » رائعة الجمال ، خلابة المنظر ، شديدة التسلط ، قوية الارادة ، مضطربة المزاج ، قد بلغت العشرين من عمرها ، وليس لها الا اخوها هذا ، فهو يقوم منها مقام الأب والأم والمربي . حتى تظفر بما يليق بها في الزواج . وهي تحسب رجلاً ليس أقل من الذين تقدموه قوة ارادة ولا حدة عاطفة ولا اضطراب قلب ، هو « رينه دانجين » ، غنى ، ضخم الثروة ، وسيم الطلة ، محبب إلى النساء بعيد الأثر في نفوسهن ، مفتون بالآدب والفن القراءة ، منصرف عن حياة أبيه الصناعية المالية ، قد أغضب أبوه أغصاناً شديداً وانقطع عما يتردد عليه أمثاله من الاندية ومجالس اللهو والعمل . تحب الفتاة هذا الرجل ، وهو يظهر لها ميلاً شديداً تحسبه الحب وليس هو من الحب في شيء ، إنما هو من العطف واللمودة والأنس إليها .

هؤلاء هم أشخاص القصة أو قل أبطالها كما تعود نقاد التمثيل أن يقولوا ، ومن حولهم أشخاص كثيرون قد اختطفهم الكاتب اختطاها ، ولهم لك بصورهم النفسية تلميحاً ، فبلسم في ذلك ما شاء من الاجادة والاتقان : منهم هذه المرأة الباريسية التي نجدها في أول القصة تتهدّى إلى زوجها ورجل آخر في دعاية ودل باريسين ، وهي تطلق لسانها في « انتوانيت » وزوجها وصديقتها ، وهي تظهر غيرة على الفضيلة والشرف والعفة والوفاء ، ولكنها لا تكاد تلمح الرجل الذي يعجبها حتى تبتذر هذا كله أبتدالاً وتنزل عنه في ابتسامة أقل ما توصف به أنها تحمل على الابتسام .

ومنهم هذا الصحفي الذي حملته صناعته على أن يتبع مثالب الناس ويُلم بدخاناتهم حتى أصبح صاحب الفتوى من هذا النوع من الغيبة ، يلجموا إليه المغتابون ليجدوا عنده ما يحتاجون إليه من الوان الطعن

والتشنيع . وهو على هذا كله يحاول أن يكون رجل جد وصدق ووفاء بال媿ة . فإذا سئل عن مثالب « أنتوانيت » أعلن في حزم أنه لا يعرف عنها إلا خيراً . ولكنه لا يكاد يتبع الأغراء في عين محدثه حتى ينسى الجد والصدق والوفاء ويقع في « أنتوانيت » بما تشاء صاحبته من الطعن والثلب .

ومنهم هذه الصديقة الوفية التي تخلص لصديقتها الحب والمودة وتنصح لها جادة رفيقة ، ولكنها أضعف من أن تنصر الواجب وتمضي في نصره إلى النهاية ، فهي لا تكاد ترى صديقتها مبتهة سعيدة بهذا الحب إلا ثم حتى تدعها وما تريده طالبة إليها إلا يصرفها الحب عن مودتها .

ومنهم هذا الشخص الآخر الذي نلم به المامدة قصيرة لأنه شائع بين الناس في جميع أطوارهم وببيئاتهم ، هذا الذي يحبك ويقدم إليك ما تحتاج إليه من معاونة وتأييد لأن له عندك حاجة ، فإذا لم يظفر منك بما يريد تخل عنك في سهولة وقسوة لا يحفل من أمرك بشيء ، وربما استحال عدوا لك لا يرضيه إلا أن تنزل بك النازلة ، لا يتاثر في شيء من ذلك بخلق ولا واجب ولا رحمة ولا شيء من هذه العواطف التي بتاثر بها أخيار الناس .

هؤلاء همأشخاص المقصة أو هم كثرة هؤلاء الأشخاص ، وأحسبنى استطيع بعد ذلك أن أحسن لك . وأحسبك تستطيع أن تفهم هذا التلخيص الموجز في غير مشقة .

* * *

نحن في ضاحية من ضواحي باريس ، في قصر فخم ، قد أستأجره الزوجان ليقضيا فيه الصيف . وهما يحتفلان هذا اليوم بعض الاحتفالات التي يقيمها الأغنياء ، وقد دعى إلى هذا الاحتفال سراة باريس وأصحاب الككانة فيها ومعهم النساء الحسنان يفتن الناس بعمالهن ودعابتهن وتنطلق المستهن بما فيه لذة وسرور .

ولا يكاد يرفع الستار عن هذا الفصل حتى نرى هذه المرأة الباريسية بين زوجها وصديقه ، تتحدث اليهما في أمر الزوجين ، فتفعل في الرجل بأنه موفق في حياته المالية وإنها تكره الموقفين وتشبههم باللصوص ، وتتفعل في المرأة بأنها آئمة تعين زوجها بالاثم على ما يسعى إليه من ثروة . فینکر عليها الرجالان هنا . ويأتي الصحفى فيستفتوه جمیعا في أمر « انتوانيت » فيجیبهم بالخير ، ولكنه لا يكاد ينظر في عین صاحبته حتى يیری الأغراء والاطماع ، فيتحول عن الوفاء ويقع في « انتوانيت » ، وبعد أن كان يريد أن ينصرف إلى صحيفته لأداء عمله نراه يؤثر البقاء ويكتفى بالتلیفون .

ونحن نرى المدعوين يت Ruddون في القصر وحديقته يقف كل فريق منهم وقوته على المسرح ، يتحدون أمام النظارة وقتا قصيرا ليبيوا فيه بعض ما قدمت لك من نفسية هؤلاء الأشخاص جمیعا .

فلنمر بهذا الفصل لا نقف منه الا عند منتظرين أو ثلاثة لا بد من الوقوف عندها حينا . نقف عند هذا المنظر الذي يمثل لنا « انتوانيت » قد أقبلت على صديقها « دوراي » مضطربة كأنها تلتسمه لتشكو إليه بعض الأمر ، فيسألها فتتردد ، ثم تخبره في استحياء بأن « جاملاني » هذا المالي العظيم الذي لابد لزوجها من معونته قد أرادها على السوء فامتنعت عليه في رفق ، فانصرف مفیضا محتضا . ونقف عند هذا المنظر الذي يمثل لنا « دوراي » وهو يقدم صديقه « رینه دانجين » إلى صاحب القصر ، ويتمثل لنا صاحب القصر وهو يعرض على هذا الرجل الاشتراك معه في بعض الأعمال المالية فيعتذر إليه . ثم نمر مسرعين بهذا المنظر الذي يمثل لنا « انتوانيت » وقد لقيت هذه المرأة الباريسية التي رأيناها في أول القصة ومعها صاحبها الصحفى قد استسلم لها استسلاما ، فيقع بين المراتين حوار فيه الحسد والمتعریض المر ، وفيه من تناحية « انتوانيت » الدفاع عن النفس في رشاقة وترفع . ثم تخلو « انتوانيت » إلى صديقتها فتتحددثان ، فنفهم من هذا الحديث أنها لا تحب زوجها ولا تظفر عنده بما تريده ، ولكنها مع ذلك حريصة على الوفاء له ،

لم تخنه ولن تستطيع أن تخونه ، وهي تعاشره وتشاطره الحياة ، وإذا قدر لها أن تطفر بالحب فلن تلوق لذته حتى تقطع الصلة بيته وبين زوجها . ثم نقف آخر الأمر عند هذا المنظر الذي يمثل لنا « أنتوانيت » وقد لقيت « دينه دانجين » ، فلم يكادا يتهدنان حتى وقع من نفسها ووُقعت من نفسه ، وكان بينهما هنا الحب الفجائي الذي يسميه الفرنسيون « وقع الصاعقة » ، وإذا هما مضطربان أشد الإضطراب ، يقع بينهما حوار قصير يريدان أن يتناولا به كل شيء فلا يتناولان فيه إلا أنفسهما وسوء حظهما فيما مضى من حياتهما ، وينتهيان وقد تواعدوا على المودة .

* * *

وتمضي ثلاثة أشهر ، ويرفع الستار عن الفصل الثاني . فإذا نحن في القصر نفسه آخر النهار ، وقد جلسـت « أنتوانيت » إلى منضدة ترتب طائفة من الأوراق ، ودخلت عليها صديقتها التي رأيناها في الفصل الأول ، فتسأـل « أنتوانيت » فيـم كتـبت إلـيـها تـدعـوها لـزيـارتـها . وتجـيبـها « أنتـوانـيت » بما كـناـ نـتـوقـعـهـ فيـ آخرـ الفـصـلـ الـأـولـ مـنـ آـنـهاـ قدـ أحـبـتـ صـاحـبـهاـ حـبـاـ لاـ تـجـدـ إـلـيـ مقـاـومـتـهـ سـيـيلاـ ، وـأـحـبـهاـ هـوـ كـذـلـكـ ، وـأـنـتـهـيـ هـذـاـ الحـبـ إـلـيـ نـتـيـجـتـهـ الطـبـيعـيـةـ ، وـهـيـ آـنـهاـ قدـ اـعـزـمـاـ السـفـرـ مـنـ فـرـنـسـاـ إـلـيـ حـيـثـ يـجـدـانـ الـحرـيـةـ . وـهـيـ لـمـ تـخـنـ زـوـجـهـاـ بـعـدـ ، وـمـاـ يـنـبـغـيـ لـهـاـ آـنـ تـخـونـهـ ، وـهـيـ تـعاـشـرـهـ وـتـعيـشـ فـيـ بـيـتـهـ . فـإـذـاـ ذـكـرـتـ لـهـاـ صـدـيقـتـهاـ آـنـ هـذـاـ لـاـ يـعـقـيـهـ مـنـ الـآـثـمـ ، فـهـيـ مـدـيـنـةـ لـزـوـجـهـاـ بـالـلـوـفـاءـ حـتـىـ يـطـلـقـهـاـ ، وـزـوـجـهـاـ يـحـبـهـاـ وـهـوـ لـمـ يـسـيـ « إـلـيـهاـ » ، وـلـيـسـ مـنـ حـقـهـاـ تـؤـذـيـهـ أـوـ تـسـوءـهـ ، أـجـابـتـ بـلـسـانـ هـذـاـ الحـبـ الـقوـيـ الـآـثـمـ آـنـ زـوـجـهـاـ لـنـ يـطـلـقـهـاـ آـنـ طـلـبـتـ إـلـيـ ذـلـكـ ، وـاـنـهـ هـيـ لـاـ تـحـبـهـ ، وـهـيـ تـحـبـ هـذـاـ الرـجـلـ ، وـلـهـ حـقـهـاـ فـيـ الـحـيـاةـ وـلـذـاتـهـ ، فـمـاـ يـنـبـغـيـ لـهـاـ آـنـ تـضـحـيـ بـنـفـسـهـاـ وـصـاحـبـهـاـ فـيـ سـبـيلـ هـذـاـ الزـوـجـ الـذـيـ لـاـ تـحـبـهـ . وـفـيـ الـحـقـ آـنـ الـحـبـ قـدـ فـتـنـ هـذـهـ الـمـرـأـةـ ، وـأـنـتـهـيـ بـهـاـ إـلـيـ هـذـهـ الـآـثـرـةـ الـتـيـ يـنـتـهـيـ إـلـيـهـاـ العـشـاقـ عـادـةـ ، فـهـيـ تـضـحـيـ بـزـوـجـهـاـ وـصـدـيقـهـاـ « دـورـايـ » ، وـأـخـتـهـ « آـيلـينـ » ، الـتـيـ

تحب هذا الرجل . ولا عذر لها في ذلك الا أنها تحب ، وأن صاحبها يحبها ، وأنها كانت تنتظر هذا الحب ، فما ينبغي أن تمنع عليه وقد أتيح لها . وصدقيتها تسمع هذا فلا تقتنع به ، ولكنها مترددة بين الدفاع عن الواجب والاحتفاظ بمودة صديقتها ، فتستسلم وتتمنى لصديقتها التوفيق . ولئن ضعفت هذه الصديقة عن أن تقف في وجهه الحب الآخر وتحمل ثقل الدفاع عن الواجب ، فلن يضعف عن هذا صديقتها « دوراي » ، فقد أقبل و معه أخيه . فما هي إلا أن يخلو إلى صاحبته ويتبين ما عزمت عليه حتى ينفجر انفجارا : يلوم صاحبته لوما عنيفا ، لأنها تضحي بزوجها ، ولا أنها تضحي به هو ، ولا أنها تندفع مع الآثرة إلى غير حد ، وهو يرعد حينا ويستعطف حينا آخر ، ويستسلم مرة أخرى إلى البكاء . ولكن الانتصار على هذا الرجل يسير ، فهو متهم في غضبه للواجب دفاعه عنه ، هو لا يدافع عن الزوج ولا عن الزواج ، وأنما يدافع عن نفسه لأن صاحبته اصرفت عنه ، وستدعه وتنصرف إلى حيث تستنصر الحب في دعة وأمن ، في حين يشقى هو بالوحدة والأسى والحرمان . هو يدافع عن نفسه ، وإذا هو أثر ، وإذا فليس هو بالصديق حقا . ولو كان صديقا حقا لقبل التضحية في الم طبعا ولكن في رضا وأذعان وما أسرع ما تنتصر عليه وتلزمها الحجة ، وقد تقدم إليها وانصرف الزائرون ، وأقبل حبيبها فاتفقا على أن يفرأ بعد حين قصير ، ينتهزان غيبة زوجها في لندة ويمضي بهما الأتوبيس إلى حيث يركبان السفينة إلى أمريكا . ويدعها صاحبها على أن ينتظروها أمام القصر ، وهي تدعو خادمتها فتصدر إليها أوامر قصيرة تتصل بهذا السفر وتصرفها . وانتظر إليها قد نهضت وتهيأت للخروج إلى حيث ينتظرونها صاحبها وهي تلقى بنظرة وداع على الحجرة وما فيها . وإذا فسيظل الواجب مهيضا وسينتصر عليه الحب الآخر ! وستمضي هذه المرأة مع رفيقها وسيعود الزوج فيرى نفسه في هذا القصر وبين هذا الترف وحيدا . يتقوض من حوله كل شيء ؟ .. كلا ! وما الذي يمكن الصداقة أن تدافع عن هذا الواجب ؟ انظر إلى صاحبتنا تخطو ل天涯 من الحجرة ، ولكنها

تصيغ وتتراجع مذعورة ، لأنها رأت رجلاً وهذا الرجل هو زوجها وقد أقبل من لندرة قبل ميعاد العودة . ولكن انظر اليه أنه مضطرب قد انهت قواه فقد ما كان يمتاز به من شدة وصلابة وثقة بنفسه وبالدهر . وامرأته تسأله : فيم عجل هذه العودة ؟ وهو يتتردد في اجابتها ، حتى إذا وجد القوة على الكلام أخبر امرأته بأنه في ضيق مالي منكر ، لأن شركاء قد أسلموه واجمعوا على خيانته . وكان ذعيم هذه الخيانة « جامانى » الذي رأيناه في الفصل الأول يريد أنتوانيت على السوء وينصرف محنة لا أنها امتنعت عليه . والرجل لا يتبيّن سبب هذه الخيانة ، أما نحن فنعرفه حق المعرفة . ومهما يكن من شيء فان صاحبنا مضطرب إلى نصف مليون من الفرنكات يجب أن يؤديه بعد ثمانية أيام ، وقد سلك إلى هذا المقدار كل سبيل فلم يظفر به . وهو أن لم يؤده مفلس ثم مقبوض عليه ثم ملقي في غيابات السجن .

يقص هذا كله على امرأته وهي تسمعه في شيء يشبه الهدوء ، ولكنه يدل على ثورة عنيفة داخلية . وانظر اليها وقد تغيرت تماماً ، فهي تشجع زوجها وتنصح له بالجلد والمضى في الجهاد ، وتعلن اليه أن ثمانية أيام ليست بالشيء القليل . وأنه واجد فيها مخرجاً من هذا الضيق ، ويقع هذا الكلام من قلب الرجل موقعاً حسناً ، ويمنحه قوة وجلداً فيعد باستئناف الجهاد . وانظر اليه وقد نهض قوياً مستعداً للحرب ، وانصرف إلى باريس وترك زوجه في شيء يشبه الذهول . ينصرف الرجل وتغلق الباب من ورائه ، وإذا صديقه أقبل يتبعه ، فتعلن اليه أنها لن تسافر الآن . ويكون بينهما حوار عنيف ، نفهم منه أن هذه المرأة كانت تظن أنها تستدع زوجها غنيماً قوياً يستطيع أن يتعزى عن الحب بالثروة والقوة . فاما الآن وقد أعدم وضعف فلا تستطيع أن تدعه . وهي تحب صاحبها ، ولكنها تطلب إلى هذا الحب أن يمهلها حتى يسترد زوجها توقعه وثروته . ولكن الحب عجل لا يمهل ، وصاحبها يعلن إليها في عنف أنه منصرف عنها إلى حيث لن تراه . وأنها لم تجب كما يحبها . وانظر اليه وقد ول منصراً . واستولى الجزء على هذه المرأة ، فهي لعبة بين الحب وشهوته ، وبين الواجب وامرها الذي لا يرد .

انها تدعى صاحبها ملحة عليه ، فإذا أقبل عليها تضرعت اليه في أن يبقى فيابى ، وإذا هي قد غيرت من خطتها فجأة وضاحت بالآمانة الزوجية في سبيل الحب من ناحية وفي سبيل الوفاء لزوجها والاشفاق عليه من ناحية أخرى ، وإذا هي تلقى بنفسها بين ذراعي صاحبها وقد استسلمت لللائم .

* * *

وتمضي من الأيام الثمانية سبعة ولم يجد الرجل لنفسه مخرجا من ضيقه . ونحن الآن في مصرفه وقد أقبل يائسا مستسما مستعدا للإفلاس والمحاكمة والسجن . وأقبل عليه صديقه « دوراي » يتبئه بأنه قد سعى عند كثير من المالين فلم يوفق لشيء ، ولكنه وفق أخيرا للرجل لا يعمل في المال ولا في البورصة ، ولكنه مستعد لتقديم هذا المقدار ، وسيأتي بعد حين ليعرض المال على صديقه . وهذا الرجل هو « رينيه دانجين » فإذا سمع صاحبنا اسم هذا الرجل أخذه غضب شديد واعلن أنه لن يقبل منه هذه المعونة . فإذا دهش صديقه لذلك أعلن إليه بعد تردد أن هذا الرجل قد أكثر التردد على قصره والتقارب من زوجه وقد عرف الناس ذلك وتحدثوا به ، فإذا عرف الناس أنه قد أعاشه فسيتحدثون أنه قبل هذه المعونة ثم إنما بين المحبين من صلة . وهنا يغضب « دوراي » ويقف موقفا بدليعا في الدفاع عن « انتوانيت » ، فهو مؤمن بطهارتها ، مؤمن بأنها لم تخن زوجها وما كانت لتخونه حتى تفارقه ، وهو يمضى في هذا الدفاع إلى ما بعد حد ممكн ، فيعلن إلى صديقه أنه إن كان قد وصل إلى هذا الحد من الضيق فذلك لأن امراته امتنعت على « جامانى » ويعلن إلى صديقه أنه هو قد حاول أعواما أن يصل إلى « انتوانيت » ، فلم يظفر منها بشيء . وقد كاد يقنع صديقه ببراءة زوجه وطهارتها . وكاد يقنعه بأنه يستطيع أن يقبل هذه المعونة ، وقد دعا الخادم دamerه أن يتحدث إلى زوجه في التليفون يطلب إليها أن تحضر ، وأقبل الرجل يعرض معونته ، فإذا خلا إلى صاحبنا طلب إليه هذا : أستطيع أن تقسم لي بشرفك أنني أستطيع أن أقبل هذه المعونة منك دون غضاضة أو

تعرض للدنيا ؟ فيقسم له ويهسيء « الشيك » ويهسيء هو صكًا بهذا المقدار .

وتقبل « أنتوانيت » ، فينبئها بأنه قد أخفق في سعيه كله ، ولكن هذا الرجل يعرض عليه ما هو في حاجة إليه . فتحاول أن تشكر الرجل مضطربة وقد تم كل شيء ، ولم يبق إلا أن يمضي صاحبنا الصك . ولكنه يتوجه إلى امرأته وصاحبها قبل أن يمضي ويسألهما في قوة والحاد : أي مضى هذا الصك ؟ فأما الرجل فيجيبه : نعم . وأما المرأة فيأخذها الأغماء . وأما صاحبنا فقد فهم كل شيء . وانظر إليه محتقا قد ألقى ما في يده وأخذ ينתרه الآثم بشدة وعنف ، وما زال بالرجل حتى أخرجه وهو الآن أمام امرأته وحدها يأمرها أن تصرف فتسقط عطف فلا يزيد استعطافها إلا سخطا وحنقا . ومع ذلك فالرجل في محنة منكرة وقد جاهد أسباب وضعف عن المقاومة ، وهو في حاجة إلى من يؤيده ويشد ذره ويعينه على هذه الأيام المرة التي يستقبلها . فانظر إليه وقد عفا أو كاد يعفو عن امرأته ، ولكنه يريد منها أن تصرف عن هذا الرجل وتسأه وتبقى له هو وحده ويسأله أستطيع ذلك ؟ فلا تجد إلى جوابه سبيلا . فإذا ألح عليها في السؤال عرف منها أنها لا تستطيع . . فانظر إليه ضعيفا مستسلما مغضبا مع ذلك شريفا ، يطرد زوجته وهي تأبى عليه ، وتعرض عليه ما تستطيع من أن تعيش معه حليفة معينة ولكن في غير حب ، لأنها لا تملك هذا الحب ولا تستطيع اخضاعه لرادتها . وهو يأبى عليها ويلع في طردها ، فتنصرف معلنة إليه أنها ستنتظره في البيت ، فإذا تركته نهض إلى أبواب الغرفة فغلقها ، ثم يعود إلى مكتبه ويخرج منه مسدسا ويرتب طائفة من الأوراق وقد طرق الباب فكان جوابه طلقة المسدس الذي تختتم بها مثل هذه القصص .

كتاب الجميع

الاسم

المجهة

اسم الكتاب

استُلمَ هذا الكتاب بعونِ رايسنر الى دار المهرجان
للتوزيع بمبايع نجيبة الرجااني - فتحه مرفقا به
طابع يرجيه من فئة الفضة خودمشن . يرسل
اى عنوان من الاعداد التي يتضمنها الفهرس
. هالصادر من البريد .

كتاب للجميع صدر منه حتى الآن

- ١ - «أبار في الصحراء» : مجموعة قصص مصرية للأستاذ محمود كامل الملحمى
- ٢ - «الضاحك الباسكي» : أحاديث عن الثورة المصرية للأستاذ فكري إبراهيم
- ٣ - «الف ليلة الجديدة» : المخرج جديد للأستاذ عبد الرحمن الجميسى
- ٤ - «نساء من خزفي» : مجموعة من القصص المصرية للأستاذ سعيد مكلوى
- ٥ - «صنوق الدنيا» : صورة فكرية للمرحوم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى
- ٦ - «فرعون الصغير» : مجموعة من قصص مصرية طلية للأستاذ محمود تيمور
- ٧ - «الشرق والغرب» : مجموعة قصص للدكتور محمد عوض محمد
- ٨ - «قصایا الحب» : مجموعة من اغرب وأمتع القصایا للدكتور فائق الجوهري
- ٩ - «جيشنا في فلسطين» : تسجيل تاريخي لحرب فلسطين للصاعي السيد فرج
- ١٠ - «الف ليلة الجديدة» : المجموعة الثانية للأستاذ عبد الرحمن الجميسى
- ١١ - «في المرأة» مختار المزايا في السياسية الأسبوعية للشيخ عبد العزيز البشري
- ١٢ - «غاديات رائعتان» : مجموعة قصص مصرية للأستاذ محمود ظاهير حلبي
- ١٣ - «سائع الحب» : مجموعة قصص واقعية للأستاذ احسان عبد القدوس
- ١٤ - «دموع وضحكات» : مجموعة قصص واقعية للأستاذ حلمى مراد
- ١٥ - «عندي تعجب المرأة» : مجموعة قصص واقعية للأستاذ عباس حماله

- ١٦ - . حاجى بابا الاصفهانى ، : عن جيمس موريه للاستاذ مرسى الشالى
- ١٧ - . جرائم ومرارات ، : مجموعة من اشهر القضايا للاستاذ يوسف حلمى
- ١٨ - « الطريق الى السلطة » ، : عن الفيلسوف الامريكي هنرى نوك للصاغ ثروت محمود
- ١٩ - . موعد مع الجنة ، مغامرات الابطال انصرىن فى حرب فلسطين للاستاذ حلمى سالم
- ٢٠ - . نجيب الريحانى ، : دراسة وافية : بققة للاستاذ عثمان العنتيل
- ٢١ - . صور من الريف ، صور سادقة حياة الريف للاستاذ محمد زكي عبد القادر
- ٢٢ - . الحب فى التاريخ ، : اشهر قصص الحب التاريخية للاستاذ سلامة موسى
- ٢٣ - . عشرة ايام في السودان ، للدكتور محمد حسين عيسى كل
- ٢٤ - . من وراء القضبان ، للاستاذ احمد حسين العسافى
- ٢٥ - . مارد من الشرق ، : صور من الهند للاستاذ احمد قاسم جودة
- ٢٦ - . خبايا سياسية ، : اسرار السياسة المصرية بقلم المرحوم الدكتور محمد عزمى
- ٢٧ - . جنة الم卜ون ، فصول في الأدب والحكمة للدكتور طه حسين
- ٢٨ - . بائع الحب ، راقية جديدة من الأدب العاطفى للاستاذ احسان عبد القوى
- ٢٩ - « حياة ثانية » قصة تصور متع الشباب وما فيه للدكتور ابراهيم عبد
- ٣٠ - . ادركنى يا دكتور ، صور واقعية لأدق الاسرار فى حياة الناس للدكتور ابراهيم ناجي
- ٣١ - . مشاكل الحب والزواج ، : ارشادات قبل الزواج وبعده للدكتور فائق الجوهري
- ٣٢ - « قصص تشيلية » ، فصول في النقد والتحليل من مسرحيات فرنسيه للدكتور طه حسين
- ٣٣ - . الوان من الحب ، مجموعة قصص عاطفية تحليلية للاستاذ عباس حافظ
- ٣٤ - . يوميات مجنون ، : مجموعة مختارة من كبار الكتاب للاستاذ عبد الرحمن الحميسى

- ٣٦ - « مهازل الحياة » . مجموعة من القصص من مختلف بلاد العالم للأستاذ حبيب جاماتى
- ٣٨ - « فاتنة الشيطان » . مجموعة من الصور الواقعية للحياة للدكتور سعيد عبد الله
- ٣٩ - « شهر فى نيويورك » : دراسة ممتعة للحياة فى اميريكا للأستاذ احمد ابو الفتح
- ٤٠ - « الجاسوسية فى مصر » : مجموعة من اسرار وحوادث الحرب الخفية
- ٤١ - « نساء فى حياتى » : قصص حياة اثنى عشرة امرأة للأستاذ امين يوسف غراب
- ٤٢ - « فكرى اباظه على الراديو » : نقدات سياسية واجتماعية للأستاذ فكرى اباظه
- ٤٣ - « الشباب والجنس » محاولة علمية لتحليل الجهل الجنسي للدكتور فائق ابو همزة
- ٤٤ - « القدر » : قصة تلوين ترجمها الدكتور طه حسين
- ٤٥ - « حكايات مصر » في سبيل الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية للأستاذ احمد ابو الفتح
- ٤٦ - « المكافعون » . مجموعة من سير ابطال الوطنية والفكر للأستاذ عبد الرحمن العيسى
- ٤٧ - « دنيا المرأة » : الدور الحظير الذى تلعبه المرأة فى حياة الرجل للأستاذ محمود سعفان
- ٤٨ - « العقل والهوى » دراسة نفسية للحب لم يسبق تشرها للأستاذ احمد الصاوى محمد
- ٤٩ - « اسرار النفس » : خلاصة مبسطة لآراء اساطير علم النفس للأستاذ سلامه موسى
- ٥٠ - « طريق الحرية » . كتاب الوطنية الصادقة والكلام فى سبيل التحرير والكرامة
- ٥١ - « جواسيس وفداةيون » . سجل لما يحدث وراء الستار فى المخرب الكبير .
- ٥٢ - « بسمات ساخرة » . صور من حياتنا الواقعية للأستاذ محمود طاهر حقى .
- ٥٣ - « البراعة والعقاب » . بحث من واقع الحياة فى الجريدة للأستاذ محمد سعيد خضر
- ٥٤ - « حكليات عالمية » عن المصادرات التى كان لها اكبر الاثر فى الاكتشافات العلمية
- ٥٥ - « السرور والنفس » . بحث عن المسموم وتأثيره للدكتور امين مصطفى عبد الله

- ٦٥ - « الغرب ما رأيت » للأستاذ حبيب جاماتى عن اعجوبة ما شاهده فى رحلاته القيمة
- ٦٦ - « أصول المحب » للدكتور فائق الجوهري - وهو تقديم لكتاب « الإلهة والآلاف »
- ٦٧ - « ملك خند شعب » : صفحات خفية عن حياة فاروق الطاغية . . .
- ٦٨ - « حمار الحكيم » : قصة فلسفية ساخرة تتناول المجتمع المصرى بالنقد والتحليل
- ٦٩ - « أرض الاحلام » : ملخص دقيق وتحليل رائع لأربع كتبان عالمية
- ٧٠ - « أدب الشعب » عرض جميل أخذ لأدب الشعب للأستاذ حريم الفهراوى
- ٧١ - « أديب » بحث في الأدب لعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين
- ٧٢ - « في ظلال المشتقة » : مذكرات الأستاذ احمد حسين التي اعترف فيها
- ٧٣ - « الخشيش منوع » : بحث يجمع بين الثقافة والطراوة عن المخدرات وتأثيرها
- ٧٤ - « المتساوية الممرراء » : أول كتاب من نوعه يكشف عن الجوايس الروس
- ٧٥ - « الفاحش الباكى » : طبعة جديدة للأستاذ فخرى اباظة
- ٧٦ - « ٣٠ عالما في كفاح الجريمة » : اسرار عن الغرب حوادث الجريمة الواقعية في مصر
- ٧٧ - « أدب التورة » : عرض لطلاع المفكرين الذين مهروا لأكبر التورات في التاريخ
- ٧٨ - « ثورات التحرير الكبيرى » : بحث عن أكبر ثورات التحرير في العالم الشرقي والغربي ، القديم والمديث ، وعن الأفلاؤ والأجرام السanguine للواء احمد شوقي
- ٧٩ - « اطباء ومرضى » : بحث عن الطب وتاريخه والصلة بين الطبيب والمريض
- ٨٠ - « رحلة الى السماء » دراسات فصصية للدكتور ابراهيم مصطفى
- ٨١ - « نقوس للبيع » نقد وتحليل لعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين
- ٨٢ - « طريق الخطايا » : مجموعة فصصية واقعية ترسم بالطابع المصرى الامسي

٧٤ - « امة تبحث » : للأستاذ احمد حسین عن رحلته الى الهند و مشاهداته

في الحياة المصرية - الهندية

٧٥ - « مع المعرضين » : حوادث رهيبة لافى عصابات الاجرام فى ريف مصر

٧٦ - « حقائق واحلام » : رحلات مع الزمن وقراءة من الكتب للسيد فتحى رضوان

٧٧ - « مع الزمان » : مجموعة رائعة من قصص ابطال التاريخ فى الشرق

٧٨ - « قضايا جنسية » : مجموعة من القضايا المشهورة التي وقعت بين يدي القضاء المصرى

٧٩ - « مع الناس » : مقالات ممتعة في احوال الناس وعاداتهم وأمزجتهم

٨٠ - « اشباح وارواح » : مجموعة قصص واقعية من عالم الروح للأستاذ احمد نهمي ابوالخير

٨١ - « مذكرات جحا » : مجموعة رائعة من ثوارد جحا و دراسة لحياته

٨٢ - « نساء العالم » : طباع النساء في جميع شعوب العالم للأستاذ البرحالة محمد ثابت

٨٣ - « جسراً قوم جنسية » : مجموعة قضايا واقعية مشهورة نظرها القضاء المصرى

في السنوات الاخيرة للدكتور محمد فايد الجومري

٨٤ - « صلحان بجهولة » : ادق الاسرار عن الثورة المصرية للقائمقام انور السادات

٨٥ - « ساحر النساء » : مجموعة قصص عاطفية للأستاذ امين يوسف غراب

٨٦ - « شيخ المنشاقين » : نقد وتحليل للأستاذ احمد الصاوي محمد

٨٧ - « فحّكات ايليس » : قصة تصور اغراء الشيطان للأستاذ سلاح ذهنى

٨٨ - « قصة الاطياف الطائرة » : بحث وتحليل للأستاذ عبد القادر السماحى

٨٩ - « راهبة من الزمالك » : مجموعة قصص رائعة للأستاذ سعد مكاوى

٩٠ - « قلب غانية » : قصة تصور حياة الغانيات للأستاذ محمود تيمور

- ٩١ - نسأة. أمم القضاء . للأستاذ انور العمروسي
- ٩٢ - سمرة هانم ، مجموعة قصص مصرية للأستاذ يوسف جوهر .
- ٩٣ - « الحاسوبية والحب » ، مجموعة من اخطر قصص الحاسوبية للأستاذ اديب اسكندر
- ٩٤ - « خبير بالنساء » ، باقية من روانع القصص العالمي للأستاذ عباس حافظ
- ٩٥ - « عشاق أمم القضاء » ، للدكتور فائق العوهرى
- ٩٦ - « لاعبات بالنار » ، للأستاذ محمود كامل العمامى
- ٩٧ - نهاية رجل - للأمير الای محمد عبد الفتاح ابراهيم

موعدنا مع ..

الكتاب القادر



بتقلم

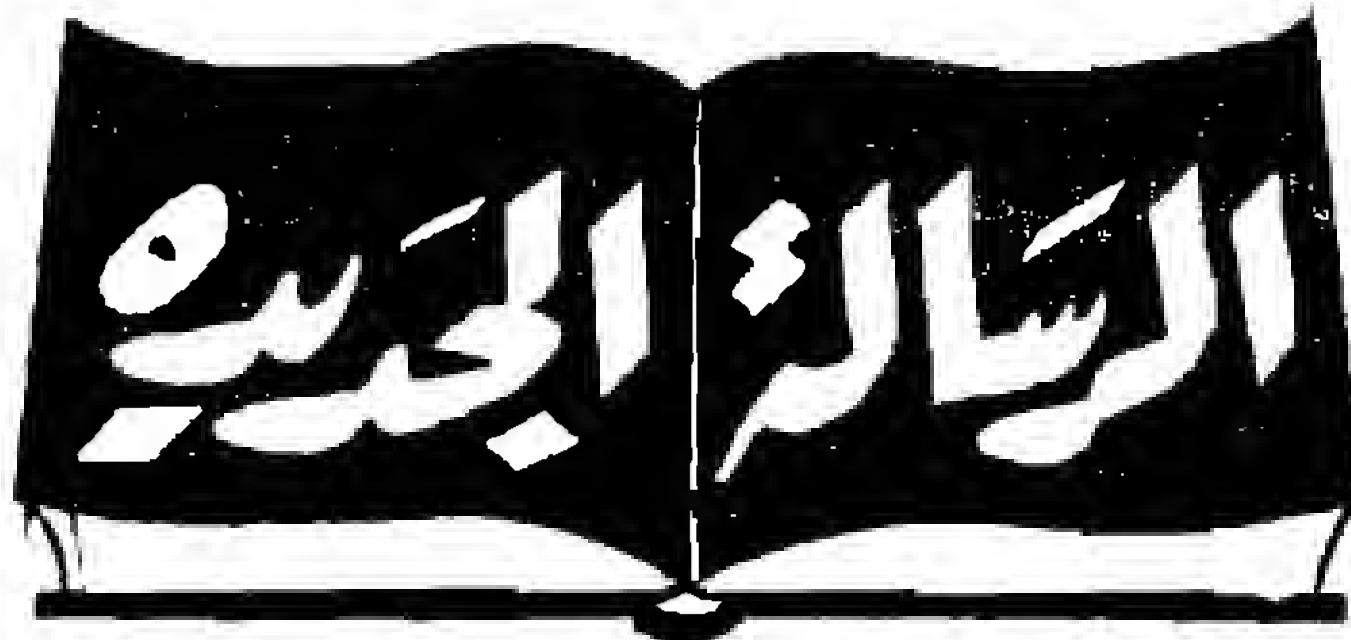
مُحَمَّدُ الْبَدْوِي

في أول فبراير

ذوق القارئ وفهمه الجديد

للأدب .. والثقافة .. والفن

كتشب عليه



لأنها تخرج به

من عالم النياز البغيض الصدر بالواقع

إلى عالم الواقع القريب الصدر من النياز

كتاب الجميع

كتب فتية بيروت نهضة
تصدر عن دار التحرير للطبع والنشر
مدير المحتوى : السيد ابراهيم
رئيس التحرير ، دكتور فائق الجوهري

مصر والسودان : تلسا او بوجب المؤن او حوالات بريد او شيكات
سوريا بالطائرات	١٢٠ فرشا سوريا
لبنان ٦	١٢٠ فرشا لبنانية
العراق ٦	١٢٠ فلس
المملكة الأردنية الهاشمية ٦	١٢٠ فلس
المملكة العربية السعودية ٦	٩٥ فرش سعودي

طريقة الدفع :

الاشتراكات :

التقرير المصري والسوداني من سنة ١٢٠ على ١٠٠ فرشا
سوريا ولبنان بالطائرات ١١٠٠ فرش سوري او لبناني
الأردن والعراق بالطائرات ١٣٠٠ فلس

ثمن العدد : مصر والسودان ١٠٠ مليم
خارج مصر حواله مصرية على احمد بنوك القاهرة

المكاتب بعنوان ٥ شارع نجيب الريحانى ٢٧٤٧

يقع عليها مع شركة الاعلانات الهرة - ش ٣٠٠
شارع جلال بالقاهرة

الاعلانات

يناير ١٩٥٦

العدد ٩٨



دار الجماعة للتوزيع
دار التوزيع إلى جميع القراء